دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب

العدد الأول . السنة الثانية
ربيع الأول 1378
شتنبر 1958



مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الثانية
ربيع الأول 1378
شتنبر 1958

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



اخذت هذه الصورة في يوم 20 غشت المنصرم ، يوم الذكرى الخامسة لثورة الملك والشعب . وهي تمثل جلالة الملك سيدي محمد الخامس في الطريق الى ساحة مسجد اهل فاس . حيث لبى داعي ربه اول شهيد في معركة الاستقلال المسلحة : **«علال بن عبد الله»**

يبدو في مقدمة الصورة مع جلالته : صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير مولاي الحسن ، وصنوه الامير عبد الله ، ورئيس الحكومة ووزير الخارجية السيد الحاج احمد بلا فريج .

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة **«دعوة الحق»** ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
«دعوة الحق» الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط .
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : **«دعوة الحق»** ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع ـ بادارة المجلة .



بالنسبة للظروف العصيبة التي تجتازها بلادنا اليوم ، لا نجد ما نفتتح به هذا العدد الاول من السنة الثانية ، خيرا من ان نعيد هنا نشر فقرات من الخطاب التاريخي العظيم ، الذي القاه جلالة الملك سيدي محمد الخامس ، في يوم 20 غشت المنصرم ، يوم الذكرى الخامسة لثورة الملك والشعب .

فقد ابى جلالته في هذه المناسبة التاريخية العظيمة ، الا ان يضع النقط فوق الحروف ، والا ان يدعو جميع افراد شعبه الوفي الى كلمة سواء بينهم جميعا ، أن يتذكروا واجباتهم كمواطنين اولا ، وان يضعوا بذلك مصلحة الوطن العليا فوق كل اعتبار شخصي او طائفي او غير ذلك . وكانت دعوة عامة ، بمقدار ما كانت تنضح بالصراحة والصدق والاخلاص ، وبمقدار ما كانت تنضح ايضا بالاشفاق على مستقبل هذا الوطن ، من ان تتلاعب به الاهواء والمصالح والاغراض

*

قال جلالة الملك في خطابه الكريم :

.. فالبرور بشهدائنا ، والوفاء للمبادىء السامية التي ضحينا جميعا في سبيلها ، ونلنا بها ما نلنا ، يوجبان علينا ان نعتز بقوميتنا ، ونطهر من الحزازات أنفسنا ، ونحافظ على اخوتنا وتضامننا واتحادنا ، وان نترفع عن سفاسيف الاقوال والافعال التي تلهي عما قطعنا منذ استقلالنا من مراحل ، وتحول دون تقدير المنجزات المحققة تقديرا واضحا .

*

واذا كان لنا نحن ما نرجوه بهذه المناسبة ، فهو ان يظل كل مواطن ـ يرى نفسه مستحقا لشرف المواطنة ـ مستحضرا لهذه الدعوة الطيبة الكريمة ، وان يراعيها باستمرار ، وان يعمل على تنفيذها بكل الوسائل . بسلوكه الشخصي ، وبالتذكير بها ، وحمل المواطنين الآخرين على اعتناقها والعمل من اجل تنفيذها .

ان احدا لا يستطيع ان ينكر اننا نعيش في ازمة . ازمة لا تتحدث عنها الصحف ولا ترددها الاذاعة ، ولكن شررها يتطاير هنا وهناك ، ولن ينقص اغماض الطرف عنها شيئا من حقيقتها الواقعة ، وهي انها حديث كل مجلس ، وكل ناد ، وكل مقهى ، وكل مكتب ، وكل منزل ، وكل مكان يلتقي فيه اثنان ، ازمة لا يكاد معظم المواطنين يعرف شيئا واضحا عن اسبابها ودواعيها وحقيقتها ، ولكن الجميع مع ذلك يتحدث عنها بالظن والتخمين ، وتمطيط الظواهر والدلائل والاشاعات .

وازمة من هذا النوع ، خليقة ان تفسح المجال للظنون السيئة ، وللرجم بالغيب ، ولسريان الحقد والكراهية ، دون ان تكون هناك اسباب واضحة معقولة

ولعل اخطر الازمات ، سواء بالنسبة للفرد او الجماعة ، هي الازمة الغير الواضحة الاسباب والدواعي . الازمة التي يجد الانسان نفسه احيانا اسيرها ، دون ان يستطيع لها علاجا ، لانه لا يعرف لها داعيا حقيقيا فيكون في امكانه ان يحاول تلافيه او تجنبه او القضاء عليه .

والازمة التي نعيشها اليوم ، قد وضعت لها اسماء كثيرة ، ولكنا لا نجد لها اسما صحيحا خيرا مما دعاها به صحافي ناشىء ، وهو انها « **أزمة ضمير** » .

*

نعم ، انها « **أزمة ضمير** » ومطلوب من كل مواطن منا ، سواء كان في صف القيادة ، او كان مجرد جندي بسيط ، ان يخلو الى ضميره بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية ، وان يحاول في اخلاص استخراج خبيئة هذا الضمير ، وان يجرب مرة اخرى ـ كما كان يفعل من قبل ـ ان يحاسب نفسه حسابا عسيرا ، وان يحملها على الجادة الواضحة ، هذه الجادة التي كان يحمل نفسه عليها عن طواعية ، يوم ان لم يكن في استطاعتها ان تفضي به الى غير الحرمان والتنكيل والعذاب القاسي الاليم .

مطلوب من كل مواطن منا سواء كان في صف القيادة او كان مجرد جندي بسيط ، ان يعود الى هذه الجادة ، فقد جربها من قبل ، وحققت له معجزة ، معجزة استقلاله وحريته وكرامته ، وهي خليقة اذا التزمها اليوم — كما كان يفعل من قبل — ان تفضي به الى التحرر الكامل ، والى الرفاهية والسعادة والعزة .

ان اي ضمير سليم لا يستطيع ان يعتبر الخروج عن هذه الجادة ، الا كفرا بنعمة الله ، والا نكوصا على الاعقاب ، وخيانة للمبادىء ، وتراجعا للوراء .

والشعب المغربي لم يرض نفسه بعد ، على ان يقبل ممن يرشحون انفسهم لزعامته ، ان يكونوا مجرد بشر بكل مساوىء البشرية ، انه يريدهم شيئا فوق ذلك ، يريدهم شيئا فوق البشر ، فقد لقن في دروس الوطنية الاولى ، ان الوطنية معناها نكران الذات ، معناها التضحية ، معناها البذل عن سخاء ، معناها الخضوع للحق ، ذلك لان الحق فوق القوة ، وفوق انانية الافراد ، وفوق النزعات الطائفية ، وفوق كل اعتبار مهما يظهر من وجاهته او اهميته .

لقد قيل للشعب يوما : **ان الحق هو الله** . ومن ثم اصبح من حقه ان يتعصب لهذا الحق الذي ساقه الى النصر ، وان يكفر بكل من يريد ان يغشه فيه او يزوره عليه ، او يحول انظاره عنه .

*

على ان الشعب ليس مشتطا فيما يطلبه ، انه لا يطلب من الذين يريدون ان يعلموه الوطنية ، اكثر من ان يكونوا هم انفسهم وطنيين ، فاذا كانوا كذلك ، فلن تكون هناك ازمة اخرى غير الازمات الحقيقية الواقعة ، **ازمة الحدود ، وازمة الاحتلال العسكري ، وازمة الاقتصاد الوطني**، وغير ذلك من الازمات التي لن يعجزنا ان نتغلب عليها ، اذا استطعنا ان نحتفظ دائما بنفس الروح التي خضنا بها الازمة الكبرى من قبل ، نفس الروح التي حققنا بها معجزة الاستقلال ، نفس الروح التي ارغمنا بها فرنسا واعوانها الذين يمدونها بالسلاح ويشايعوها في المحافل الدولية على ان يعترفوا باستقلالنا وسيادتنا ، وحقنا في الحرية والكرامة والمساواة ، نفس الروح التي مزقنا بها الخط الوهمي الذي كان يفصل بين الشمال والجنوب، نفس الروح التي رقصنا بها على الحدود نفس الروح التي اكرهت الاقطاعيين واعوان الاستعمار على ان يركعوا في ذلة ، وان يقبلوا الارض ، وان يطلبوا المغفرة ، نفس الروح التي اعادت الينا ملكنا من منفاه ، نفس الروح التي حملت **« علال بن عبد الله »** على ان يهاجم الدمية الآدمية بسيارة عتيقة بالية وهو يعلم انه الموت لا محالة ، نفس الروح التي حطمنا بها ارادة الاستعمار ، فجعلنا من يوم 20 غشت عيدا وطنيا مجيدا ، وكان الاستعمار يريده ماتما حزينا تشيع فيه امة بكاملها الى القبر ، ويهال عليها التراب ويعود قاتلوها ليشربوا في ماتمها نخب انتصارهم عليها ... نخب انتصارهم على الحرية والانسانية والعدالة .

*

هذه الروح التي حققت كل هذه المعجزات خليقة ان تحقق اكثر منها ، اذا استطعنا ان نحتفظ بها سليمة نقية طاهرة ، ولن يحتاج اي مواطن منا في سبيل الاحتفاظ بهذه الروح سليمة نقية طاهرة ، الى اكثر من ان يخلو الى ضميره ، وان يحاسبه في صراحة وتجرد ونزاهة ، وان يغسل عنه ما عسى ان يكون قد علق به من الادران ، وان يعيده الى ما كان عليه من قبل ، يوم ان كنا جميعا — جنبا الى جنب — نخوض معركة الاستقلال .

عوض الحق

مأساة لاهور - أو : الندوة الدولية للإسلاميات

للأستاذ محجوب بن ميلاد - تونس

تفضل الاستاذ محجوب بن ميلاد ، فبعث لنا بهذا المقال القيم الذي كتبه بعد عودته من الباكستان ، حيث مثل تونس فى ((المؤتمر الاسمي بلاهور)) .
وقد طال تردد قلم التحرير امام بعض الفقرات من المقال التي انتقد فيها حضرة الكاتب بعنف مواقف بعض الممثلين لاقطار اسلامية اخــرى فى المؤتمر .
لكننا قررنا اخيرا ان ننشر المقال كاملا ، شاكرين لحضرة الكاتــب التونسي الكبير ، ولكي نتيح ، فى نفس الوقت، لحضرات السادة الذين تناولهم الكاتب بالنقد ، او لغيرهم ممن يهمهم الامر ، فرصة الرد على ما ورد فى هذا المقال ، ان بدا لهم ذلك .
وكل هذا من شانه ان يخدم الحركة الفكرية فى العالم العربي والاسلامي ، وفى المغرب العربي على وجه الخصوص .

دعوة الحق

ساعة الدين ، ساعة الفكر

قد يبدو لبعضهم ان الساعة ليست ساعـــة الحديث عن شؤون الدين او عن شؤون الفكر او عمـا يعقد من المؤتمرات فى انحاء المعمورة عن شؤون الدين وشؤون الفكر . فالناس جميعهـم ، بمشـارق الارض وبمغاربها فى شغل شاغل عن كل ذلك بما يقاسونه من الفواجع الدامية والمآسي الكافرة والكلوم القاتلة .

طغت على عقولهم اهداف السياسة على اختلاف مذاهبها وتنوع مشاربها فلا هم فى نفوسهم يبصرون ولا هم عن مصائرهم يتساءلون .

هي القوى تصرع القوى . والكتل تجابه الكتل ، والاحلاف تقاوم الاحلاف ، والاطماع تكشر عن انيابها وتنصب افخاخها وتطوق المعمورة باسرها بسلاسلها فلا تعرف للمبادىء حرمة ولا للحق سلطانا ...

وليس من شك فى ان التاريخ لم يشاهد قط فى سالف احقابه سباقا هائلا كهذا السباق الذي نشاهده اليوم فى سبيل القوة ، وفى سبيل الهيمنة سيمـا اذا اعتبرنا ان العدة العسكرية والاجهزة الحربيـة وادوات الهدم ووسائل السحق بالبر والبحر والجو معا ، بلغت من الاتقان والعزة بفضل تقدم العلم وتقدم الصناعة ما لا اذن سمعت ولا عين رات ولا خطر على قلب بشر ..

ففي نطاق هذا السباق الهائل فى سبيل القوة وفى سبيل الهيمنة نشاهد ما نشاهد من التناحر، والتشاجر والتنافس فى ميادين الاثم والعدوان ...

ولا حرج تضيق به الصدور ولا وخز تستيقظ به الضمائر . اين الضمائر ؟ امام بحران اضحت تتخبط فيه انسانية معذبة تشكو الجوع وتشكو العرى وتشكو الجهل وتشكو فوق كل هذا ظلمة الاهواء ... فلا امن ولا طمانينة ولا رحمة ولا اشفاق ، وانما هو الذعر فى

القلوب والغصة فى الصدور والحرقة فى النفوس والبلبلة فى العقول وسياط القسوة فى لحوم العباد ... تنطق بألف لسان ولسان فتعرب عن بوار المبادىء وعن بوار البضاعة الانسانية فى أسواق « الضمائر المتهافتة » ...

وفى نطاق ذلك السباق الهائل فى سبيل القوة وفى سبيل الهيمنة تثير « سياسة الاطماع » جلبة وضوضاء تملا بها الفضاء حتى يلتبس الحق بالباطل ، او حتى لا يسمع انين المعذبين وصيحات المكلومين واحتجاج المتهنين وحشرجة المحتضرين ... ولئن هي اخرست ابواق جلبتها وضوضائها الى حين فاصخت لانين المعذبين وصيحات المكلومين واحتجاج المتهنين وحشرجة المحتضرين واتاحت لها الفرصة ان تسمع فانما هي ترمي من وراء ذلك الى ان تستغل ابشع استغلال واكفره ذلك الانين وتلك الصيحات وذلك الاحتجاج وتلك الحشرجة ، فتفوز بتنفيذ ما سطرته الانانية من البرامج المظلمة ...

ليس من شك فى انه يبدو لاول وهلة ان اوكد الواجبات فى مثل هذا الجو وفى مثل هذه الظروف انما ينحصر فى الاسراع بمواساة الجريح واطعام الجائع ونصرة الضعيف وتعزيز جانب المتهن ...

وليس من شك فى انه يبدو لاول وهلة ان الحديث عن شؤون الدين وعن شؤون الفكر فى مثل هذا الجو وفى مثل هذه الظروف انما يدل على ضرب خفي من السخرية او ينم عن اخص خصائص العقلية البيزنطية فى اهتمامها بسفاسف الامور فرارا من الواقع ومن قسوة اشواكه او تنصلا من الاضطلاع باعباء « المسؤولية الانسانية » ...

الا انه يكفيك ان تفكر قليلا فيما نلمسه من رسوم التطاحن بين مختلف المذاهب والتعاليم وفيما نشاهد من امارات الفوضى فى الاوضاع سواء أكانت سياسية اواقتصادية اواجتماعيةاوعقلية اوخلقيةبجميع انحاءالكرة الارضية ، لتدرك ان الاقوياء المتجبرين ليسوا باسعد حالا من الضعفاء المتهنين ؛ اعني انهم جميعا يشكون ادواء ان كانت تختلف فى ظاهرها فهي واحدة فى باطنها ... لكونها كلها متفرعة عن اصل واحد ، او لكونها كلها رموزا لحقيقة واحدة لك ان تسميها « تهافت الضمير الانساني » او « كسوف الحق » فى العصر الحاضر ... على وجه كرة ارضية موحدة !

يكفيك ان تفكر قليلا فى كل هذا لتدرك ان مصير البشرية جمعاء اصبح واحدا بوحدة لم يشاهد التاريخ مثلها قط فى اي حقبة من احقابه الغابرة ... ناهيك ان البشرية جمعاء اصبحت بين امرين اثنين لا ثالث لهما: اما ان تهتدي الى « نظرة » جديدة او مجددة للحياة كفيلة بان تضمن لهيكلها كله السلامة والبقاء فى نطاق حرمة شاملة لا تمييز فيها ولا تفرقة بين عنصر وعنصر ولا بين جنس وجنس ... واما ان تبيد جميعها فلا يبقى منها اي عنصر ولا اي جنس ...

يكفيك ان تفكر قليلا فى كل هذا لتدرك ان الساعة هي ساعة الدين وساعة الفكر ، وساعة التفكير فى شؤون الدين وفى شؤون الفكر ، وفيما يمكن ان يكون للدين وللفكر من المفعول فى سبيل انقاذ البشرية مما تشكوه من الادواء ورسوم الفوضى والتهافت ، ومما يهددها من جسيم الاخطار الكامنة فى القنابل الذرية والاسلحة العصرية ...

واني لاذهب الى ابعد من هذا فاقول قولا جزما بان المحنة التي هي محنة الدين ومحنة الفكر فى الساعة الحاضرة ، لهي على الاطلاق أعظم المحن التي عرفاهما منذ ان كان الدين ومنذ ان كان الفكر على وجه الارض ... ذلك ان « الحق » لم يعرف فى اي عصر من العصور الدائرة كسوفا أكمل ولا اخطر ولا اشد وبالا على البشرية من هذا الكسوف الذي يبتلي به اليوم ، نظرا الى ان الاخطار التي اضحت تهدد العالم باسره من جراء احتدام الاهواء . وانتشار القوى الظلامية ومن جراء اكتشاف اسرار الطاقة الذرية ، ليس يمكن درؤها الا اذا ما وجد « الضمير الانساني » فى أعمق اعماقه حيث يتجدد ايمانه بالحق على ممر العصور « فضلا من القوة » او « زادا جديدا » يردع به الطاقة الذرية فيفوز بفضل ذلك الفضل ، او بفضل ذلك الزاد ، بالهيمنة الحقيقية على ما عسى ان تثيره فى النفس البشرية من الزهو والغرور والجشع الذي لا حد له ..

اليس معنى هذا ان مسؤولية الدين ومسؤولية الفكر لهي اعظم ما تكون واثقل ما تكون واشرف ما تكون فى اليوم الحاضر ؟

انتفى الاعتدال فى العصر الحاضر بين « قوة » الضمير و «قوة» الصناعة من جراء كسوف الحق ، فاضحت الانسانية قاطبة تحس بمتلف الحنين الى «العمل المنقذ» الذي يجدد لها عهد الامن وعهد الطمانينة وعهد السلام بتحقيق « اعتدال حي » بين « قوة الضمير » و « قوة الصناعة » ...

وبالرغم مما تنشره « العناصر الحية الواعية » بالاقطار الاسلامية من صفحات البطولة وصحة النظر وزكاة الاخلاص ، فالشعوب الاسلامية فى عمومها ما زالت تشكو « ازمة روحية خطيرة » نتيجة ما لم يزل هنالك من آثار ادراك قاصر واحساس عليل وارادة منحرفة ورثتها عن بائد العهود ...

ومما يؤسف له ان الاقطار الاسلامية لم تنتبه بعد لخطورة الامر ، ولا هي وفقت الى الاهتداء الى طرق النجاة او سبل البعث ... او قل ان الاقطار الاسلامية على اختلافها عربية اللسان وغير العربية متفاوتة الحظوظ فى شعورها او فى عدم شعورها بخطورة المشكلة وفى توفيقها او فى عدم توفيقها الى الطرق الموصلة الى ما فيه الفوز والنجاة والبعث ...

وان ذلك ليتضح جليا لمن حظى بحضور « الندوة الدولية للاسلاميات » بعاصمة لاهور ، وكان له من اليقظة الفكرية والثقافة الفلسفية ما يمكنه من الاقتدار على النفاذ الى جوهري عناصر القضية ...

وانه ليمكن لي الجزم بان جمهورية الباكستان اشد الاقطار الاسلامية على الاطلاق شعورا بمأساة القيم الاسلامية فى العصر الحاضر ...

وان ذلك ليرجع الى اسباب عدة ، اهمها ان الباكستان حظى فى العهد الاخير بان كان له مفكر اسلامي اصيل هو محمد اقبال العظيم . فكان لتعاليمه ولما اذاعه من الكتب والدواوين الشعرية والمحاضرات الفلسفية ، اقوى الاثر فى لفت الانظار الى خطورة المشكلة الدينية بالاقطار الاسلامية عامة ... ولقد كان لكفاحه الفكري اطيب النتائج وابعد الاصداء ... من ذلك تأسيس الجمهورية الباكستانية نفسها ، ومن ذلك كذلك نشاطها اليوم ، وهي طبقة قلما نجد لها نظيرا فى بقية الاقطار العربية لما تمتاز به من اصالة التفكير وعمق النظر والحرص على جوهري الامور والغوص عن كنه المبادىء والقيم الاسلامية فى انبجاس انوارها المتجددة ... امثال محمد علي ، والدكتور خليفة عبد الحكيم عميد المعهد الثقافي الاسلامي بلاهور ، والاستاذ ابو الاعلى المودودي امير الجماعة بغربي الباكستان ...
وانه لمن المضحك جدا ان نشاهد الفقيه المصري

ابا زهرة وهو البعيد كل البعد عن تصور حقيقة المشكلة يشارك فى المؤتمر ، فيناقش ويجادل ويهاجم ، وتنتفخ اوداجه حقيقة لا مجازا « دفاعا » عن القيم الاسلامية ، ويتطاول فيلقي « الدروس » على امثال الدكتور خليفة عبد الحكيم ...

اضف الى ذلك كله ان الطبقة النيرة من مفكري الباكستان تشعر حاد الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقها فى ميدان خدمة القيم الاسلامية العليا فى العالم العصري بعد ما كان من تاسيس الدستور الباكستاني على المبادىء الاسلامية ...

وان انت ذكرت هذه الامور ادركت انه ليس عن صدفة ان كان الباكستان هو الذي اهتم بعقد الندوة الدولية للاسلاميات ، فدعت جامعة البنجاب مختلف الاقطار الاسلامية ومختلف الدول الغربية التي لها حركة مرموقة من حركات الاستشراق ، فضيفت وفودها واحتفت بها ، وانفقت ما يقرب من ثمانين مليون فرنك على ما قيل لي ، لسد حاجات المؤتمر والمؤتمرين ، وذهبت حتى الى دفع نفقات السفر جئة وذهابا لاعضاء الوفود كافة ...

الندوة الدولية للاسلاميات :

اما المواضيع التي قرر النظر فيها أثناء جلسات الندوة وخصصت لبحثها والنظر فيها محاضرات المحاضرين فهي المواضيع التالية :

1) امكان مساهمة الاسلام فى اقرار السلام العالمي
2) العناصر الاساسية فى الثقافة الاسلامية
3) البناء الاقتصادي للمجتمع فى الاسلام
4) دور الاجتهاد فى الاسلام
5) الاسلام والعلاقات بين الاديان
6) مفهوم الدولة فى الاسلام
7) موقف الاسلام من العلم
8) تأثير الغرب الاقتصادي فى الاقطار الاسلامية
9) اثر الاسلام فى تاريخ الغرب والثقافة الغربية
10) موقف المجتمع الاسلامي من الافكار والقيم الاجتماعية الحديثة ...

وهي مواضيع كما ترى حرية بان تتيح لذوي العقول فرصة من أسعد الفرص لتصفية الحساب الفكري الاسلامي ومعالجة ازمة القيم الروحية الاسلامية فى العصر الحاضر ...

وهي هي المواضيع التي حررت فى شانها الف صفحة القيتها محاضرات بمذياع تونس ، ونشرت القليل منها فى « تحريك السواكن » .

لذلك امكن لي ان اقول فى مقدمة المحاضرة التي القيتها بالندوة الدولية للاسلاميات :

وان انت تجاوزت قشور الالفاظ ومعميات الاصطلاحات العلمية والفلسفية وعرجت الى القمة التي تشرف على المذاهب والتعاليم والملل والنحل في تضاربها وتدافعها وتضادها ، ادركت ان مهمة الدين ومهمة الفكر في جوهر مطامحهما ولب مقاصدهما ؛ ليست هي دائما وابدا سوى السعي النير الحثيث الدائب في سبيل تحقيق اعتدال النفس البشرية وسط عالم شؤونه لا تنفك تتجدد ، ولا تنفك تعرض الغازها على العقول للنظر فيها والكشف عنها ...

الشرق والغرب أمام ضرورة تصفية حسابهما الفكري :

وذلك ما ادركه اقطاب الفكر بالعالم الغربي غداة الحرب العالمية الثانية ، فهبوا في نشاط عجيب يحاولون تصفية حسابهم الفكري لحسم الازمة الروحية التي تشكوها الاقطار الغربية ، وسعيا وراء تحقيق اعتدال النفس الغربية في العالم الجديد .

والكتب التي قد الفوها حول هذا الموضوع الخطير اصبح يعسر تعدادها ... ناهيك انهم لم يتركوا مسألة لها اتصال بالانسانية وبمصير الانسان ، بالفكر وبشؤون الفكر ، بالدين وبمهام الدين ، بالحضارة وبقيم الحضارة ، لم يعطفوا عليها بالبحث والتحليل والمراجعة ، ولم يكتفوا بالنظر في الحضارة الغربية وفي قيم الحضارة الغربية سواء اكانت يونانية المصدر او مسيحيته او رومانيته او عصريته ، بل عطفوا أصدق العطف على مختلف الحضارات الشرقية القاصية منها والدانية ، يتجسسون وراء اسرارها ويحاولون الغوص عن قيمها الخالدة ، علهم يجدون ما يشبع جوع الارواح او يرضي شره العقول ...

ولعل أبرز مظاهر هذا النشاط الخصب تلك المؤتمرات الدولية التي ما انفكت تنعقد في كل عام منذ سنة 1946 ، سنة مطردة الى يومنا هذا ، بعاصمة جنيف بسويسرة حول مختلف عناصر القضية وتسمى: « Les Rencontres Internationales de Genève ». ولقد نشرت جميع الدراسات والبحوث في كتب نفيسة هي بحق من أهم المصادر بالاضافة لمن أراد ان يعرف شواغل المفكرين الغربيين في هذا الصدد (1) !

وليس من شك في ان مشكلة « ازمة القيم » ان كانت خطيرة بالاضافة الى الاقطار الغربية فهي بالاضافة الى الاقطار الاسلامية أخطر ... ناهيك ان المجتمعات الاسلامية امتحنت في القرون الاخيرة بما تعرفه من علل الانحطاط واسقام الافلاس والوان القهر وصنوف الاستعباد ، مما طمس معالم قيمها وشوه ملامحها وكاد يفقدها روحها ..

وبالرغم مما بذلته وما زالت تبذله من جبار المجهودات في سبيل استرجاع عهد الاخلاص لذاتها ولما تنهض عليه ذاتها من طريف المبادىء والقيم في نطاق استقلال الذات وحرمة الذات وقوة الذات وخصب الذات في ميادين الحق والخير والجمال ، فهي ما زالت تشكو « تهافت ضميرها » من جراء ما ورثته عن عصور التقليد والانحطاط من ركام الخرافات والاباطيل والترهات ، ومن جراء ما عرفته ايام استعبادها من ضروب العدوى الغربية .

---

(1) راجع :

1946 : L'Esprit Européen.
1947 : Progrès technique et Progrès moral.
1948 : Débat sur l'Art contemporain.
1949 : Pour un nouvel Humanisme.
1950 : Les Droits de l'Esprit et les Exigences Sociales.
1951 : La Connaissance de l'Homme au XX^e siècle.
1952 : L'Homme devant la Science.
1953 : L'Angoisse des Temps présents.
1954 : Le Nouveau Monde et l'Europe.
1955 : La Culture est-elle en péril ?...

Ed. de la Baconnière - Neuchatel (Suisse).

« قد اتفق لي فيما مضى من الاعوام ان حظيت بشرف المشاركة في اعمال مؤتمرات عديدة تتعلق باغراض تربوية او فلسفية ، فكنت في كل مرة اشعر بشتى العواطف والاحاسيس والخواطر تزدحم في النفس وتبعث فيها ما تبعث من الحماسة والنشوة ، وكان لي في كل ذلك مايجذب الي النزول في حلبة الفكر ، اقدح زنده واستجدي جوده ، واستمد من مدد نوره لتحليل مشكلة حفت بها ضروب اللبس ، او توضيح معضلة تشعبت مسالكها ، او تبديد اوهام تراكمت على الاذهان فسدت عليها الافاق ، او كسر سدود ناهضت الهمم فاغلقت في وجهها أبواب الحق والخير والجمال ...

ولكن نفسي لم تكتظ قط في سالف المؤتمرات بما تكتظ به في هذه الساعة بهذا المؤتمر من صنوف الاحاسيس ، ولا استشعرت بما تستشعر به من عزة الموقف وخطورة الامر وثقل المسؤولية ...

واني لاشعر بالخصوص بان جنس اتصالي بهذا المؤتمر ليس جنس اتصالي ببقية المؤتمرات ...
فهو يلتصق بلحم فكري ولحم احساسي ولحم ارادتي باوثق ما يكون الالتصاق ، ويلتحم بها بأشد ما يكون الالتحام ... حتى انه ليمكن لي ان اؤكد ان تفضلتم فسمحتم لي بذلك انه مؤتمري الخاص !

اقول هذا شاعرا بما في هذا القول من الدعوى ومن الغرور .

الا اني ما كنت لاعرب وسط جمعكم المحترم عن هذه الدعوى ولا عن هذا الغرور ، لو لم يكن في ذلك اصدق التنويه بالهمم التي ابت الا ان تسهر على تنظيم هذا المؤتمر ، فاضطلعت بمهام عقده واعتنت بتوفير اسباب نجاحه ...

وهل يمكن ان يكون هنالك فخر لها اعظم من فخرها بمؤتمر تعقده فتحوم جلساته ومحاضراته ومناقشاته لا حول الاراء الجافة والخواطر المجردة والكليات الجامدة ، بل حول ما يلتصق هذا الالتصاق بلحم المشاركين فيه ارادة وفكرا واحساسا ؟

وهل يمكن ان يكون فخر لها اعظم من فخرها بمؤتمر تعقده فتدور جلساته ومحاضراته ومناقشاته ، حتى الاصداء لما يخامر ضمائر اعضائه المسلمين من ملح الشواغل الفكرية ، حول مصير المجتمع الاسلامي ومصير قيم المجتمع الاسلامي في العصر الحاضر ؟ ...

ولئن قلت ان هذا المؤتمر مؤتمري الخاص ، فلان المسائل والقضايا والمواضيع التي قرر عرضها على العقول في جلساته ، قد عطفت عليها بالبحث والتنقيب مدة سنوات عديدة ، فما تركتها ولا تركتني الى ان اصبحت شغلي الشاغل وهمي الملازم تتبعني كظلي حيثما حللت ، وتهيمن على مشاعري كلما فكرت ، وتسد علي الافق كلما ساءلت النفس عن المصير ! ..

ولا غرو ، فهي مسائل وقضايا ومواضيع حيوية بالاضافة الى المجتمع الاسلامي ، وبالاضافة الى القيم التي هي دعائمه ، وليست هي مجرد الفرص تنتهز لبعث ميت الاصداء ومجاج الاراء وغث الانظار حول الماضي وشؤونه .

واني لحريص كنه الحرص على ان أؤكد هنا رايا اومن به ارسخ الايمان وهو ان « الفكرة الحية » التي تفيض عنها القريحة السليمة الخصبة ، لهي اداة للهدم مثلما هي اداة للبناء ، لها من الاقتدار على الهدم على قدر مالها من الاقتدار على البناء ... تنطلق من الفؤاد المضطرم انطلاق السهم ولها رنينة فتشق لنفسها الطريق هادمة بانية راقصة فواحة ساطعة ...

هي من معدن الايمان ...
بل هي الايمان بالايمان الذي يقلقل الجبال ...
تنقض على شؤون الواقع انقضاض الاعصار ، فتحطم ما بلى من اوضاعه وتعفن من شؤونه وفسد من اركانه ووهن من اصوله ، فتمهد بذلك السبيل امام معجزات البعث ...

وليس من شك عندي ان مايجري من النقاش والبحث والنظر في جلسات هذا المؤتمر ، انما يجب ان تكون ضالته « فكرة » من هذا الجنس ان اردنا للمؤتمر نجاحا!

فهي هي الكفيلة بان تبعث المجتمع الاسلامي بالمشرق والمغرب البعث الحقيقي ، فيصبح من جديد بعد ليل اتصل دهورا « دارا عقلية » مجتهدة نيرة المبادىء منغمة القيم منسقة المفاهيم متجانسة الشؤون رحبة الاجواء ، حتى نتنفس فيها ملء الرئتين ، بينها وبين واقعنا الجديد اشد الالتحام واقوى الاتصال واروع الوشائج ، كي يمكن ان تعضد ذلك الواقع ، وكي تستمد من ذلك الواقع قوة وصلابة (1) ...

1) راجع مجلة الفكر عدد 10 شهر جويلية سنة 1957 محاضرة عن « الفكر الاسلامي بين الامس واليوم ، او شؤون دارنا العقلية »

وانه ليلذ لي ان اعرب عن هذا الراي في وطـــن محمد اقبال العظيم ...

رحم الله تلك النفس الزكية لما كانت تطفح به من حرارة الايمان النير ، ولما كان في بصيرتها من ومضات البعث ، وعظم الله اجر الدكتور عبد الوهاب عـــزام الحاضر بيننا ، لادراكه ايام كان سفير مصر بالباكستان ان سفارة مصر بالباكستان ، هي قبل كل شيء سفارة محمد اقبال في العالم العربي الاسلامي ... »

ويجب علينا هنا احقاقا للحق ان نعترف بان ما جرى من النظر والبحث والنقاش في جلسات المؤتمر ، لم تكن دائما ضالته فكرة من ذلك الجنس ولا رايا من ذلك المعدن ... بل يجب علينا ان نجزم بان اكثر البحوث واكثر المناقشات كانت ميت الاصداء يردد ، ومجاج الاراء يلفظ ، وغث الانظار يذاع عن الماضي وشؤونه ، وضربا مهولا من الدماغوجيا بلغ من الاسفاف والخلط والمغالطة والتهريج ، ما حمل كثيرا من ذوي الهمم الصادقة على عدم المشاركة في الجدال ، او على سحب دراساتهم ، حتى لا تذاع في مثل ذلك الجو ...

وانا اذ اقول هذا لست افكر فيما القاه المستشرقون من البحوث ، فهم غير مطالبين بان تضطرم نفوسهم بما يجب ان تضطرم به نفس العالم الاسلامي من الغيرة على القيم التي هي قيمه ... فاقصى ما يطلب منهم في هذا الميدان انما هو اتباع سنن البحث العلمي النزيه، والتقيد بأصول البحث العلمي النزيه ، من دقة واخلاص للحق وحرص على جوهري الامور دون العرضي منها .. ولقد اظهروا من كل هذا ما لو قابلهم بعض « العلماء » الاسلاميين ممن شاركوا في الندوة بعشره لاعتبـــروا انفسهم مجازين ! ...

اقول هذا وانا خجل لان بعض أولئك « العلماء » الاسلاميين لم يتحاشوا من ان يصبوا عليهم جام حقدهم وازدرائهم وسوء فهمهم ، دون ما اقامة وزن لادب او للطف او لكرامة ... فكانوا ابشع مثال لعقول اخرى بان تكون عقول عوام لا عقول علماء تنتسب للعلم وتعرف له حرمه ...

وقد يكون اقبح مثال لذلك ما كان من الدكتـــور مبارك وزير التربية بسوريا سابقا ... فانه هاجـم المستشرق الامريكي الدكتور (غوستاف فون غرونباوم) اثر القائه محاضرة رائعة عن مفهوم «الامة الاسلاميـــة» كانت آية من التحليل النير الدقيق استعرضت اخص خصائص الامة الاسلاميــــة من الناحية الفلسفيـــة الاصولية ... هاجمه مهاجمة الغلظة والعنـف ... وخطاه اشنع التخطئة وقوله ما لم يقل قط ... وكان هو المخطيء في جميع ما قال ، لعدم فهمه الفلسفة والاصطلاحات الفلسفية .. ولما اعربت له عن دهشتي امام موقفه اعترف لي بانه لايفهم الانجليزية ، وبانه اعتمد في مناقشة آراء المستشرق الاميركي تلخيصا مشوها لمحاضرته ..

وقل مثل ذلك عن الاستاذ مصطفى الزرقا استاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بالجامعـــة السورية ووزير العدلية سابقا بسوريا ..

وقل مثل ذلك واكثر عن الاستاذ عمر بهاء الاميري سفير سوريا بالباكستان سابقا ..

فقد عملوا جميعا من حيث لايشعرون لافساد المؤتمر ... والغريب انهم كانوا يظنون انهم يحسنون صنعا في سبيل «الدفاع» عن الاسلام والقيم الاسلامية .. ودحضا لما كان يوجه الى سوريا اذ ذاك من التهم حول التحاقها بالمعسكر الروسي .. وما دروا ان الخطر الحقيقي الوحيد الذي يهدد الاقطار الشرقية انما هي تلك «الظلمة العقلية» التي تتجسم فيهم ..

ولا تظن اني اقصد من هذا الكلام التجريـــح ، فاشخاص هؤلاء واضرابهم لاتهمني لا كثيرا ولا قليلا ... وما كنت لاذكرهم في هذا الحديث لو لم يكونوا شر الممثلين لشر بعض مشاهد مأساة لاهور ..

واني لارتعد فرقا والله اذ افكر في ان امثال تلك العقول كان بين ايديها مصائر التربية ومصائر التدريس ومصائر العدلية بقطر شقيق .

واني لارتعد فرقا والله اذ افكر في ان مصائـــر القيم الروحية الاسلامية في الاقطار العربية في العصر الحاضر ، قد لاتجد لمعالجتها الا مثل هـذه العقـول العامية المنحرفة .

واني لارتعد فرقا والله اذ افكـر في ان الهمـم الصادقة التي تسعى في سبيـل النهوض بالشـرق وبقيمه الخالدة ، وتكافح جزيل الكفاح لتخليص الشرق وتخليص قيمه مما غمرهـا به الدهر من القطـــران سترتطم مساعيها بما تثيره في طريقها من العقبات عقول فوضوية كهذه العقول التي ينطق على اصحابها قول الغزالي : «مثلهم كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب ولا هي تترك الماء يخلص للزرع..»

فليس بمثل هذه «الظلمة» في العقول يمكن ان يبعث الشرق وتبعث قيمه .. وليس بمثل هذه الدماغوجيا يمكن ان يصفي حسابه الفكري والروحي.

بوارق الامـــل :

وبعد فهل فشل المؤتمر من جراء هذه الظلمة الطاغية ؟ وهل ذهبت كل المساعي لتنظيمه ادراج الرياح ؟

الحقيقة هي ان المؤتمر كان مفيدا جدا من عدة نواح . اهمها انه اتاح فرصة نادرة لاجتماع العدد الكثير من نواب الحركات الفكرية والدينية بمختلف الاقطار الاسلامية وغير الاسلامية .. وبالرغم مما هنالك من فوارق تكاد تكون جوهرية بين «اجناس» العقول المجتمعة ، بل بفضل تلك الفوارق ، يمكن للبيب ان يجس «نبض» المجتمع الاسلامي ، وان يعرف بالضبط صنوف الشواغل الفكرية والروحية ؛ الرجعية والتقدمية ، المظلمة والنيرة ، التي تتجاذب العقول الاسلامية وتتنازعها !

وانه ليمكن لك ان تصنف العقول التي شاركت في المؤتمر .. فهي لاتتجاوز ثلاثة اصناف :

ا) صنف من العقول هي من عهد الافلاس والى رسوم الافلاس تنتمي . وهي في اوضاع الافلاس تتمرغ .

ب) صنف العقول التي هي من العهد الجديد والى العهد الجديد تنتسب وتسعى لتحقيق ما لم يتحقق بعد .

ت) صنف العقول المخضرمة التي لها رجل في العهد البائد ورجل في العهد الجديد وهي في ميدان الحيرة والبلبلة تتيه تيه النعامات في الصحارى ... آيات بيانها الدجل والنفاق والجبن العقلي .

وليس من ريب في ان المؤتمر الذي ضم كل هذه الاصناف من العقول ، من شانه ان يحدث صدمة عنيفة في نفوس البعض . ومن شانه ان يحفز البعض على مواصلة العمل . ومن شانه بالخصوص ان يربط وثيق الصلات بين عقول الصنف الثاني، فيزداد عددهم ويقوى ساعدهم ويستعين بعضهم ببعض ويستنير بعضهم ببعض ، فتحطم بعض السدود العصية وتتفتح بعض الآفاق الجديدة .

وفيما يخصني شخصيا فقد كنت سعيدا حقا بالمشاركة في هذا المؤتمر ، فقد مكنني من الاجتماع بنخبة نيرة من ذوي الثقافة الحقيقية والتكوين الصحيح من ابناء الباكستان خاصة .. ولقد كان سروري عظيما جدا اذ اكتشفت هذه الطبقة من العقول الصافية والضمائر الحية والارادات الصادقة ... والحديث معها فيه لذة . وفيه حبور . وفيه ما ينعش الامل . وفيه ما يبعث الرجاء .

اخص خصائص هذه الطبقة من ذرية محمد اقبال الكبير ، فهمها انمصير القيم الروحية الاسلامية ليس ينحصر في نشر ما الف القدماء مهما كانوا عظاما من الكتب ، ولا فيما سطروا من قوانين ، ولا فيما استنطبوا من اصول ، وانما هو في عمل ابتكار طريف يحقق «التنغيم» بين الحساسية الاسلامية الجديدة الحاضرة مع المبادىء الاسلامية الخالدة ومقتضيات العصر الذي هو عصرنا .. وهو عمل لايقوم به العوام واشباه العوام . وانما يقوم به اصحاب الاجتهاد الحقيقي او اصحاب التجديد الحقيقي .

وهل دعوت في كل ما اذعت من المحاضرات بمذياع تونس مدة ثلاث سنوات لغير هذا ؟ وهل يرمي «تحريك السواكن» لهدف غير هذا الهدف ؟

وهل يمكن ان يتم شيء من ذلك ما لم تبدد حنادس الليل المتراكمة على «دارنا العقلية» وما لم تبعث قوية ، سالمة ، يقظى «الذمة الاسلامية» او «الضمير الاسلامي» ؟

وليس من ريب في ان انبعاث الذمة الاسلامية قوية سالمة يقظى لمن شانه ان يضيف الى «القوى الروحية» في العالم الذري قوة من جنس تلك التي انطلقت من صحراء الجزيرة ما يقرب من اربعة عشر قرنا مضى ، موجا عارما سرى بسرعة البرق فانار مشارق الارض ومغاربها ..

فما على الهمم الصادقة التي تعمل لتقريب ذلك اليوم السعيد ، الا مواصلة السير جاعلة هدفها الاول: القضاء على «السرطان» المهول الذي ينخر العاطفة الدينية بالاقطار الشرقية على الشكل المريع الذي شاهدناه .

بين الجمود والجحود



9

اطلت الفكرة كثير في تنظيم المؤتمر تنظيما ناجحا يجمع اطراف ما يتداول فيه ، خوف ان يستولي عليه الاختلال وعدم النظام ؛ فاستشرت ابراهيم في كيفية تنظيمه ، فقال : اكتب انت اولا ما ظهر لك في كيفية نظامه ثم اعرضه علي ، ففعلت ذلك ، فتلخص لنا بعد مداولة ما ياتي :

1) الرئاسة لهذا العبد وفقه الله .

2) ممنوع ان يحضر غير الاخوة الاربعة ؛ الا انا والفقيه احمد بن عبد السلام .

3) المداولة راسا لاتكون في اصل النقط التي تتخذ اساسا للمناظرة الا بين الرئيس والدكتور ، ولا يشاركهما في المناظرة احد ، الا في وقت الاستدلال ، فلكل من الحاضرين ان يسوق دليلا او نصا مما يستحضره بعد استئذان الرئيس بعلامة اصطلحنا عليها ، ومن كانت له ملاحظة كيفما كانت فليقيدها في مذكرة امامه حتى يعرضها على الرئيس بعد انقضاء الجلسة ، ثم للرئيس الحرية التامة في القائها على البساط للمداولة حولها ، وفي طيها بالكلية ان لم ير فيها فائدة ترجع على المقصود بالمؤتمر بالنفع المجدي .

4) يتولى كتابة محضر المؤتمر ابراهيم ، ويجتهد ان لايغادر صغيرة او كبيرة مما راج الا ذكرها .

5) يذكر الرئيس في آخر كل جلسة ما يظهر له ان يكون موضوع المداولة في الجلسة التالية .

6) تؤخر الملاحظات ان لم تكن في لب الموضوع ، الى ان يتم كل ما يتعلق بمسائل الموضوع ، ان راي الرئيس فائدة ما ، في تلك الملاحظة .

7) ممنوع مقاطعة من يسترسل في حديثه حتى ينتهي منه ، فان ذلك اوفق لادب المناظرة ولتمام الحجج والبراهين .

8) على ابراهيم ان يهيىء مجلس المناظره بمقاعده ومناضده ـ كما يظهر له وفق ذوقه ـ في كل الجلسات المتوالية .

9) يجب كل الوجوب ترك كل ما يمس بأي دين او معتقد او راي او عادة ، فلا هزء ولا سخرية ولا لي وجه ولا صفير ولا تصفيق ولا قيام ولا تصعير خد ، فينبغي ملازمة الادب التام والاحترام الزائد ومجانبة الغضب وتوجيه الكلام توجيها ينافي سوء الادب .. ومن خالف هذا فان الرئيس له ان يخرجه .

10) يجب ان يعرف ان الحاضرين كلهم متساوون ، فلا تفاوت بسن ولا دين ولا زي ولا باي شيء ، فلا يعلو الا من علت حجته ، ولا يسفل الا من خانه الحظ في براهينه ، ومن ضاق ذرعا بكل هذا بعد ان قبله ، فلينسحب عن المجلس بالتي هي احسن .

11) الاجتماع مرتان في اليوم ، في الصباح ، وفي العشي .

هذا هو برنامج المؤتمر بعد المداولة حوله ، وفيه نقط ، ما كتبت فيه الا من اجل السيد العربي ورفيقه، فانهما لايعرفان قط انظمة الاندية ، ولا ادب المناظرة، وقد عرفنا مما كنا نراه في مماحكة بعض علمائنا في مناظراتهم ، مجازفة تتخطى فيها حدود الادب ، ولذلك حاولنا ان نلجم صاحبينا بما ذكرنا ، لعلهما يقفان عند الحدود ، والا فلو اطلقنا لهما العنان ، لافسدا علينا

الخطة التي نسلكها الى استرجاع حماد الى حظيرة الاسلام ، فاننا ان نجحنا في ذلك ، يكون امر غيره من الاخوة جللا هينا يسيرا غير عسير .

دخلنا في الساعة التاسعة في يوم السبت 29 من شهر جمادى الاولى الى قاعة الاجتماع ، فوجدنا ابرهيم قد نظم المقاعد وكتب على كل مقعد اسم صاحبه ، وجعل مقعدي في الصدر ، وفي مقابلتي مقعد الدكتور ، وعن يميني الشيخ الصوفي وعن يساري الفقيه ، ومقعد ابرهيم عن جانب الدكتور ويبتعد عنه قليلا ، ووجدنا الماء البارد مهيئا ، ولفائف التبغ امام مقعد الدكتور ، وحقين فيهما ما يستنشقه الفقيه والشيخ الصوفي ، وما في حق الفقيه هو المسحوق المعهود استنشاقه (التنفيحة) ، وما في حق الشيخ مسحوق عطر هياه ابرهيم للشيخ ، يذهب به ما يجده من اثر تدخين الدكتور الذي سيضيق به صدرا ، مع نصحنا للدكتور ان يقلل منه . كنت انا والدكتور أول الداخلين ، فأعجبني من الدكتور تظاهره بالادب التام نحو اخيه الاكبر ، فقد ادى له ــ والحق يقال ــ ما عليه حين حياه ، وان كان الشيخ لم يوف للدكتور نصيبه ، بل اشمأز عنه ، وانف من ان يكثر معه الخطاب اللين الى الحد الذي تقضي به العادة عند اللقاء بعد فراق طويل ، فتوجست خوفا ان يفسد علينا الشيخ ما نحن فيه ، ولكن لاتكالي على الله تناسيت ذلك .

جاء الشيخ وقال لاخيه ابراهيم : انني لا آلف ان اجلس جلستكم هذه اكثر من عشر دقائق . فبادر ابراهيم فأتى بحشية وتكاة فبسطهما له ، فاستوى الشيخ كما يريد وارتفق .

ثم قمت فالقيت خطبة الافتتاح ونصها : الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم ، ووضع في صدره نورا يعرف به النهار المشمس من الليل البهيم ، وهداه الى سواء السبيل ، بعقل وضعه بين جنبيه ، وجعل له السمع والابصار والافئدة يدرك بها ما خلفه وما بين يديه ، وخلق من بين بني آدم من الرجال العظام من جبلهم على ارشاد الحيارى ، واستصحاء السكارى ، حتى يعرف المتطلب للحق ، ان كان عند المسلمين او اليهود او النصارى .

اما بعد فاننا اجتمعنا في هذا المجلس لنبحث في حقيقة واحدة هي موضوع اجتماعنا لاغير ، الا وهي الاسلام ، ننظر فيه هل هو دين الحق ؟ وهل يليق بالمتمدنين اليوم ؟ وهل هو دين الرقي ؟ وهل يتسع صدره للمدنية التي تبهر اليوم الابصار ؟ أم هو غير ذلك كله فينبذ ؛ فان بعض من حضر معنا يرغب ان يعرف هذه الحقيقة ، ولذلك وحده عقدنا هذا المجلس الذي سيستمر كل يوم مرتين ، حتى يصل الى هذه الحقيقة . وتلافيا لانتشار الابحاث وبلبلة الافكار ، وللحرص على لزوم النظام وادب الخطاب والوصول الى النتيجة التي هي طلبتنا اجمعين ، احطنا هذا الاجتماع بهذا القانون ، كما ظهر لمن شرفتموه قبل ، وجعلتم اليه ادارة هذا المجلس وتسيير هذه المحاورة الى آخرها ، وهاكم بنود هذا القانون التي تتطلب من كل واحد المحافظة عليها ، ونحن نشكره على ذلك سلفا منذ الآن ، وانما جعل الامام ليؤتم به ، وانا استسمحكم ايها السادة في نص ذلك القانون وهو . . . الخ .

ثم تلوت القانون كما تقدم ، وبعد تمام تلاوته طلبت من الحاضرين ان يعلنوا الموافقة عليه ان ارتضوه بطيب نفوسهم ، فقال الشيخ : ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم . صدق الله العظيم .

وقال الفقيه : ان من الواجب والمحتم على جميع المومنين ــ فاعلم ــ ان يخضعوا فيما ابيح للامام ، وان يروه واجبا على التمام .

وقال الدكتور : قال العلامة القانوني فلان الهولندي : الخضوع للقوانين بطيب نفس من مميزات المهذبين المتمدنين الاجتماعيين ، والانسان مدني بالطبع .

ثم قلت : ان كانت هناك ملاحظة تتعلق بهذا القانون فانني اتقبلها ، لان امورنا كلها شورى .

فقال الشيخ : وشاورهم في الامر كما يقول الله لنبيه عليه الصلاة والسلام . وقال الفقيه : ان الله يقول في صفة المؤمنين : وامرهم شورى بينهم .

وقال الدكتور : ان المدنية الفاضلة التي يحلم بها الفلاسفة ابدا ، لايرون اساسها الا الشورى .

ثم اعلنت اختتام جلسة المفتتح ، وموعدنا الرابعة في العشية ، والموضوع كلمة في الاسلام مجملة .



ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب .
قرآن كريم

ان مصالح الامة كمصالح الملة ، يحتاج قيامها على احسن حال الى الاخلاص والكفاءة والنشاط ؛ ولا يخفى ان الاخلاص للمبدا يعتمد التفاني فى خدمته ، ونشر الدعوة له ، وحياطته وصيانته عن تلاعب اصحاب الاغراض والاطماع الشخصية به ، مهما كلف الحال المومنين به من تضحية بالنفس والمال فما دون ذلك . وان الدولة والامة اذا طال فيهما عهد لاستقرار قد لا يعرف غير النابهين المومن الصادق من المداهن المنافق، فيكثر المدعون للاخلاص والعمل به ، دون حاجة الى اقامة الحجج والبينات على صدق الصادقين وكذب المداهنين المتملقين ، ولكن اذا اضطربت الحال ، وابرزت الخطوب انيابها ، واظهرت الظروف الحرجة صعابها ، هناك فقط يعرف اخوان الكذب والرخاء من اهل الصدق والوفاء . فجزى الله ايام الشدة كل خير ، فهي المعيار الحقيقي والامتحان الصادق للاخيار والاشرار ، وكم من محنة فى طيها نعمة ، يعلم بها الامين من الخائن والصادق من الكاذب والطيب من الخبيث ، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيي عن بينة ، كما قال الله تعالى : احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .

وان فى تقلبات الاحوال من انتصار وانكسار لعبرا ومواعظ لاهل الاستبصار ، لا ينبغي ان يهمل الاتعاظ بها الاحرار ، ولنا معشر المسلمين فى سيرة نبينا ما يضيء امامنا السبيل ، ويكون فى عهد الاستقلال خير دليل ، فقد نصر الله المسلمين على اعدائهم يوم غزوة بدر وهم اذلة ، فبواهم من الكرامة والعزة مكانة مرموقة ، انتشر لهم بها الذكر الجميل ؛ وابقى الله ذكرى غزوة بدر علما على انتصار الاسلام الخالد فى كل تاريخ وجيل ، فقال راس المنافقين اذ ذاك عبد الله بن ابي بن سلول : هذا امر قد توجه ودخل فى الاسلام كما فى صحيح البخاري ، ولكن الله سبحانه ، اقتضت حكمته ان تاتي بعد ذلك النصر غزوة احد ، كامتحان لصدق ايمان الصادقين وافتضاح نفاق المداهنين ، ليقوم بناء الاسلام على اساطين المخلصين ولا يتولى شؤون اهله الا من عرف بالصدق وقوة اليقين ، قال الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد : ان المسلمين لما اظهرهم الله على اعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم فى الاسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا ، فاقتضت حكمة الله عز وجل ان سبب لعباده محنة (يعني غزوة احد) ميزت المومن والمنافق ، فاطلع المنافقون رؤوسهم فى هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتمون ، وظهرت مخبآتهم ، وعاد تلويحهم صريحا ، وانقسم الناس الى مومن وكافر ومنافق ، وعرف المومنون ان لهم عدوا فى نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم ، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ، قال الله تعالى : ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اي ما كان الله ليذركم على ما انتم عليه من التباس المومنين بالمنافقين حتى يميز اهل الايمان من اهل النفاق ، كما ميزهم بالمحنة يوم احد ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء ، وانهم متميزون فى علمه وغيبه ، وهو سبحانه يريد ان يميزهم تمييزا مشهودا فيقع معلومه الذي هو غيب شهادة ، وقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب كما قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من

رسول) فحظكم انتم وسعادتكم بالايمان الذي يطلع عليه رسله ، فان آمنتم به واتقيتم كان لكم اعظم الاجر والكرامة »

وقد وقع امتحان الامة المغربية في ايمانها وفي ولائها ، والوفاء بوعودها ، وبيعتها لامامها والجالس على عرشها ، والمحافظة على اسلامها وعروبتها ، فكان امتحانا صعبا ، اقام بين الخيانة والامانة حربا ، انتهت ببيان وتمييز الصادقين المخلصين ، من اعوان الظلمة الخائنين ، كما ميز الله في غزوة احد المنافقين الخبيثين من المومنين الطيبين ، فهل كان لهذا التمييز اثر في العهدين العهد النبوي الكريم وعهد استقلال المغرب الفخيم ؟ الجواب عن هذا السؤال واضح من السيرة النبوية ومن مرحلة التطهير التي تسير فيها الحكومة المغربية ، فان رسولنا العظيم لم يكن يولي المنافقين على المسلمين اية ولاية ، وكذلك لم يكن يولي من لم يحسن اسلامه ، الا ما كان من بعض المؤلفة قلوبهم الذين كانت لهم بين قومهم عصبية وشوكة ، مثل عيينة بن حصن واشباهه ، فانه كان يداريهم ويتالفهم بالعطايا حتى ينقادوا لحكم الله ورسوله ، ويحسن اسلامهم .

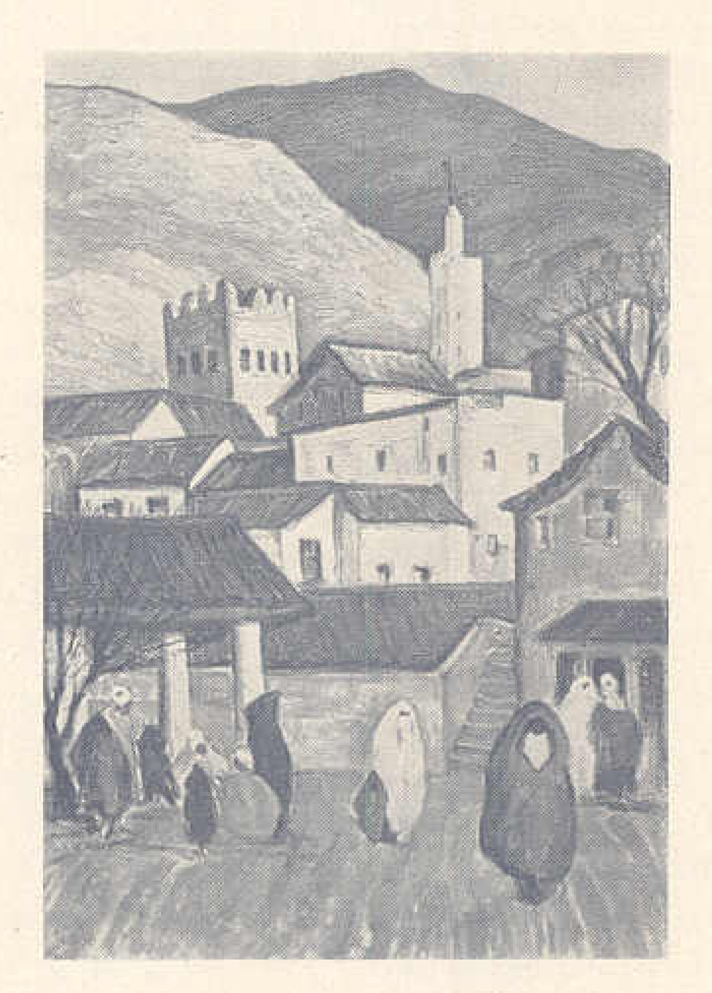
وما عمل تطهير الادارة ودواليب المصالح العامة في دوائر الحكومة المغربية من المتعاونين مع الاستعمار ضد مصلحة العرش والشعب الا تطبيق لما توحي به السيرة النبوية التي هي قدوة المسلمين في الاسترشاد بهدايتها لاتباع الحق واقامة العدل ، فاذا كمل هذا التطهير الذي ينادي به الشعب ويقتضيه الاخلاص لمصالح الامة ، فستسير المصالح العليا للامة في الطريق المستقيم ، وما الطريق المستقيم في هذا الموضوع غير التمييز التام بين المصلحين والمسيئين المفسدين ، لان الله سبحانه لم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ولم يجعل المتقين كالفجار ، وهذا الاطلاق يشمل الحالة الدينية والدنيوية .

ولا ينبغي ان اهمل في هذا الحديث الاشارة الى ما يخشى ان يجري في الاوساط من المساعي والوسائط ، لغض الطرف عن بعض المتعاونين حتى تبقى لهم جميع اعتباراتهم المجادلة عن الخائنين ليست محمودة في دنيا ولا دين ، قال الله تعالى : ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما .

ثم اذا تم هذا التطهير الذي تشكر عليه الحكومة الموقرة كل الشكر ، فستبقى هناك مشكلة اخرى او قضية هامة اخرى يتساءل عنها كثير من المخلصين ، وليس من حقي ان اسبق الحوادث فادلي فيها بقول فصل ، ولكني اطرحها على بساط البحث بمناسبة تاليف لجنة مراجعة تشريعات العهد البائد ، والقي حولها بعض التوجيهات راجيا ان تاخذها اللجنة التي يعنيها الامر بالدراسة الوافية ، تلك هي امتيازات وتعويض قدماء الموظفين في العهد البائد مع الموظفين في العهد الجديد ، فان امتيازات اولئك الموظفين القدماء ثبتت حسب نظام استعماري كانوا فيه مستسلمين لارادته ، وكان الموظفون الجدد في المعارضة بل في المقاومة، معطلة مصالحهم ، معذبة اجسامهم وارواحهم ، لا يحفظ لهم مال ولا يستقر لهم بال ، ينتقلون بين السجون والمنافي ، ويعيشون عيشة المحروم والعافي ، حتى اذا طلع فجر الاستقلال ، وجد اولئك المناضلون للاستعمار الموظفين القدماء المستسلمين للاستعمار سبقوهم في جميع الاحوال ، وادخرت لهم ارصدة المعاش للمآل ، فهل من الحق والعدل ان يقر هؤلاء على ما اعطاهم وخولهم النظام الاستعماري فيعطي لهم من ميزانية عهد الاستقلال ، ويبقى الابطال على هامش التعويضات محرومين ، قد يقال ان الحق يقضي بالتسوية بين الموظف القديم والموظف الجديد ، ومحو آثار الامتياز تماما بينهما في العهد السعيد ، وقد يقال ان الاولى ان يعطى الموظف الجديد امتيازا جديدا نظرا لسوابقه الحسنة وجهاده في شتى الميادين ، وهذه مسالة قد اثارت انتباه الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء مال الى ابن بكر الصديق فقسمه بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والانثى ، فجاء ناس من المسلمين فقالوا يا خليفة رسول الله انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ، ومن الناس اناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت اهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم ، فقال : اما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما اعرفني بذلك . وانما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش

فالاسوة فيه خير من الاثرة ، فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاء الفتوح ، فضل وقال : لا اجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه ، وفي رواية اخرى : ان ابا بكر رأى في هذا المال رايا ولي فيه رأي آخر ، لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ، ففرض للمهاجرين والانصار خمسة آلاف خمسة آلاف، وفي نفس هذه الرواية وفرض لابناء المهاجرين والانصار الفين الفين ، ثم قال وفرض لاهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة ، فعمل عمر بهذا خلافته ، رواه ابو يوسف في كتاب الخراج .

وهذا ما يؤكد جانب مراعاة السوابق الحسنة لاهلها ومحو آثار الامتياز الاستعماري ، والحكومة الآن بيدها حق التشريع والنظر المطلق في مصلحة جميع الطبقات ، ومن جهة اخرى فان هذا النقل يبين لنا ان العفو الذي صدر من النبي (ص) في حق اهل مكة يوم الفتح حيث قال لهم اذهبوا فانتم الطلقاء ، لم يسوهم باهل السابقة في الاسلام في نظر الصحابة . وان كان الكل موعودا بالخير والحسنى كما قال الله تعالى : لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى. وبهذا نعلم ان ما يلهج به بعض الفقهاء من عفو النبي عفوا مطلقا عن المعارضين له حتى يتمتع المعارضون للامة والعرش بكل مزايا العهد الجديد لا محل له في هذا الموضوع ، لان عمر بن الخطاب لم يخولهم حق التسوية مع السابقين الاولين طول مدة خلافته ، وفق الله ولاة امورنا للنظر الصحيح في مصلحة الدولة والامة .



الحوتة ــ شفشاون

معرض محمد صبري
الرباط

دراسات في تاريخ الأدب المغربي

سابق البربري

للاستاذ عبد الله كنون

ابو سعيد بن عبد الله . هكذا كناه ونسبه في تاج العروس وقال :روى عن مكحول وعنه الاوزاعي ، فهو اذا من تابعي التابعين ، وممن سكن دمشق ، اذ ان مكحول دمشقي والاوزاعي هو امام اهل الشام . ويأتي في اخباره مع عمر بن عبد العزيز ما يؤكد ذلك .

ولما ذكر في الذخيرة السنية ان زناتة تنتسب الى بن بر قيس عيلان قال : وفي ذلك يقول سابق المطماطي حين قتال البربر للروم بافريقية ايام سليمان بن عبد الملك .

ايا معشر الروم ارحلوا عن بلادكم
وخلوا لنا عنها بطون المراحل

فقد قصدتكم بربر بسيوفها
واحلافها اهل الرماح الذوابل

قبائل من بر بن قيس وخندف
وذي يمن في عزها المتطاول

ومعلوم ان مطماطة احدى قبائل زناتة ، وزناتة من البربر . فهل ان سابقا البربري هو هذا المطماطي ؟

اما العصر فهو عصر واحد . واما الشعر فهو ما اشتهر به صاحبنا . وزيادة على ذلك فان نسج هذه الابيات يوافق المنوال الذي نسجت عليه جميع اشعاره التي سنرويها بعد .

ولكن الذي يشوش علينا في جعلهما شخصا واحدا، هو ان ابن خلدون يذكر في عداد قبيلة مطماطة سابق بن سليمان بن حراث كبير نسابة البربر ، وينقل عنه كثيرا وكذا يذكره الزياني في رحلته ، ويفهم منه انه وقف على كتابه في تلمسان ، وان كان اسمه عنده يقع فيه تخليط، وعلى كل حال فهو من مطماطة كما نسبه صاحب الذخيرة ، وهو عالم بالانساب كما تقضي بذلك ابياته التي اوردناها في نسبة القبائل البربرية الى بر بن قيس ،

ولا يختلف عن صاحبنا الا ان هذا هو ابن عبد الله والآخر هو ابن سليمان . . ومع ذلك فلم نر من وصف صاحبنا بانه نسابة البربر او ان له كتابا في هذا الموضوع ، خاصة وان زمانه كان سابقا عن وقت تاليف الكتب في الجملة .

وقد اشتهر صاحبنا بقول الشعر والاجادة فيه بحيث سارت بعض اقواله مسير الامثال ومنها هذان البيتان :

قد ينفع الادب الابناء في صغر
وليس ينفعهم من بعده الادب

ان الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولا يلين ولو لينته الخشب

نسبها اليه غير واحد .

والمعتقد ان له ديوانا شعريا يحتوي جميع ما قاله في الادب والاخلاق والحكم والمواعظ ، اذ هي المواضيع الغالبة على شعره . ولم نقف له على شعر غيرها باستثناء الابيات الثلاثة السابقة ، وبيت غزلي نسبه اليه في الكشاف غلطا وهو لجرير .

وهاك ما جاء في فهرست ابن خير دليلا على ما ذكر :

(اخبار سابق البربري واشعاره) حدثني به القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله قال انا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال انا ابو اسحق ابراهيم بن عمر بن احمد البرمكي قال قرىء على ابي عمر محمد بن العباس بن زكرياء بن حيوية قال قرىء على ابي الحسن احمد بن جعفر بن محمد من كتابه هو يسمع ، وانا اسمع فاقر به ، قال كان سابق البربري فذكر اخباره وقصيدا واحدا ثم قصائده بروايات مختلفة . قال ابن العربي تقيدت في مواضعها عندنا والحمد لله . ولا يوجد هذا الكتاب الآن او على الاصح

لا نعرف عنه خبرا . ومن المؤسف حقا ان يضيع هذا الاثر الادبي النفيس لشاعر ربما كان هو اول من نبغ من هذا المغرب العربي بقول الشعر فى لغة الضاد والاجادة فيه . وهذا النبوغ المبكر ، على اثر اتصال البربر بالعرب ان دل على شيء ، فانما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية الى الشعب العربي ، وصدق النسابة الذين يرجعون البربر الى اصول عربية من عدنانية وقحطانية . وما اصدق ما ينسب الى تماضر بنت قيس عيلان ترثي اخاها برا ، وتذكر بعده عن وطنه

كأني وبرا لم تعز ديارنـــا
بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وشطت ببر داره عن بـــلاده
وطوح بر نفسه حيث يمما

وازرت ببر لكنة اعجمية
وما كان بر فى الحجاز بأعجما

نعم لقد استعجم بر لما غاب عن بلاده وتوحد فى ديار الغربة ، وها هو لما اجتمع ببني ابيه واخواله واعمامه يستعرب ثانية ويتفتق لسانه فى اسرع ما يكون بلغة الضاد . ويصبح سابق بين عشية وضحاها من اشعر اهل زمانه ، وطارق من افصح خطبائهم .. ولماذا لا يكون ذلك: واسمعيل ابو العرب المستعربة يمثل لنا نفس القصة ، وانما يعرضها عرضا معاكسا لقصة بر؟

اما انه قد آن لنا ان نهتم جديا بالمسألة ، ونعرض قضية عروبة البربر على الباحثين النفسيين ، ونحلل هذه اللهجات البربرية تحليلا فلولوجيا ، فلا يمكن ان يكون هذا التعليق الشديد بالعرب ، وهذا البيان المعرب بلغتهم ظاهرتين عاديتين لا ترجعان الى عناصر نفسية واصول لغوية متحدة او مشتركة . والا فلماذا لا يعتز الفارسي الا باصله ، ولم تكن الا كلا ولا ، حتى عاد الى فهلويته يمكن لها فى بلاده بعد ان كان بلغ فى العربية شاوا لا يلحق ، على حين ان البربري فى عنفوان مجده واقبال دولته لا يحيد عن الانتماء الى الاصول العربية التي يعتقد انه منحدر منها وما يزال كذلك الى الآن يـدل بعروبته ويرفع من شان عربيته ؟ ...

المسألة مهمة جدا فلينظر فيها بجد ..

ونعود فنروي بعض ما وقفنا عليه من شعر صاحبنا سابق ؛ فى مطالعاتنا ، طول عدة سنين . وهو جملة من القصائد والقطع النفسية فى الادب والاخلاق نزفها الى الناشئة المغربية على انها اثر من الآثار الادبية الرفيعة التي انتجها ابناء هذه البلاد الخصبة ، وان كان بعضهم ما يزال يتشكك فى ان لبلاد المغرب ادبا .

قال سابق يزهد فى الدنيا ، وهما مما انشده له الجراوي فى كتابه صفوة الادب المعروف بالحماسة المغربية :

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت
ان السلامة منها ترك ما فيهـا

والله ما قنعت نفس بما رزقت
من المعيشة الا سوف يكفيهـا

اموالنا لذوي الميـراث نجمعهـا
ودورنا لخراب الدهـر نبنيها

قس بالتجارب احداث الزمان كما
تقيس نعلا بنعل حين تحذوهـا

والله ما عبرت فى الارض قاطـرة
الا وصرف الليالي سوف يفنيها

ومما انشده له الشريشي فى شرح المقامـات ، ولعله هو والابيات قبله من قصيدة زهدية طويلة :

نلهو ونأمل اياما تعـد لنـا
سريعة المر تطوينا ونطويهـا

كم من عزيز سليقى بعد عزته
ذلا وضاحكة يوما ستبكيهـا

وللحتوف تربي كل مرضعـة
وللحساب برى الارواح باريها

لا تبرح النفس تنعى وهي سالمة
حتى يقوم بنادي القوم ناعيهـا

ولن تزال طوال الدهر ظاعنـة
حتى تقيم بواد غير واديهـا

اموالنا لذوي الميراث نجمعهـا
ودورنا لخراب الدهر نبنيهـا

وقال ولعله من هذه القصيدة ايضا :

اين الملوك التي عن خطبها غفلت
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

غرت زمانا بملك لا دوام لـه
جهلا كما غر نفسا من يمنيهـا

وصبحت قوم عاد فى ديارهـم
بمفظع يوم عادتهم عواديهـا

وتبعا وثمود الحجـر غادرهـم
ريب المنون رميما فى مغانيهـا

فكيف يبقى على الاحداث غابرنا
كانا قد اظلتنا دواهيهـا

ومن قوله في الحكمة على طريقة المعاريض :

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن
على الاثم والعدوان ممن يعاون

وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا
عليك ولا يحتال من لا يداهن

ولا تك ذا لونين يبدي بشاشة
وفي صدره ضب من الغل كامن

وقال في اتباع الهوى ، ولعلهما من تتمة الابيات قبلهما :

وهجر الهوى للمرء – فاعلم – سعادة
وطول الهوى رين على القلب رائن

فكن دافنا للشر بالخير تسترح
من الشر ، ان الخير للشر دافن

وقال ولعلهما منها ايضا :

فحتى متى تلهو بمنزل باطل
كانك فيه ثابت الاصل قاطن

وتجمع ما لا تاكل الدهر دائبا
كانك في الدنيا لغيرك خازن

وانشد له المبرد في الكامل هذا البيت المفرد :

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه
فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وانشد له البحتري في حماسته هذه الابيات الاربعة مفردة :

استخبر الناس عما انت جاهله
اذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

وفي البحث قدما والسؤال لذى العمى
شفاء واشفى منهما ماتعاين

ان عبت يوما على قوم بعاقبة
اذا عبت امرا فلا تاته
وذو اللب مجتنب ما يعيب

والاول من هذه الابيات هو من قصيدة طويلة ذكرها ابن الجوزي في كتابه مناقب عمر بن عبد العزيز . قال :

(ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من الشعر) عن ابي سليمان احمد بن عبد الله الجواليقي قال : قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله :

بسم الذي انزلت من عنده السور
الحمد لله ، اما بعد يا عمر

ان كنت تعلم ما تاتي وما تذر
فكن على حذر قد ينفع الحذر

واصبر على القدر المجلوب وارض به
وان اتاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لامرىء عيش يسر به
الا سيتبع يوما صفوه الكدر

واستخبر الناس عما انت جاهله
اذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

قد يرعوي المرء يوما بعد هفوته
وتحكم الجاهل الايام والغير

ان التقي خير زاد انت حامله
والبر افضل شيء ناله البشر

من يطلب الجور لا يظفر بحاجته
وطالب الحق قد يهدى له الظفر

وفي الهدى عبر تسقى القلوب بها
كالغيث ينضر عن وسميه الشجر

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهله
ولا البصير كأعمى ما له بصر

والرشد نافلة تهدى لصاحبها
والغي يكره منه الورد والصدر

قد يوبق المرء امر وهو يحقره
والشيء بالنفس ينمى وهو يحتقر

لا يشبع النفس شيء حين تحرزه
ولا يزال لها في غيره وطر

ولا يزال وان كانت بها سعة
لها الى الشيء لم تظفر به نظر

وكل شيء له حال تغيره
كما تغير لون اللمة الغير

والذكر فيه حياة للقلوب كما
يحيى البلاد اذا ما ماتت المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سواد الظلمة القمـــر

لا ينفع الذكر قلبا قاسيا ابدا
وهل يلين لقلب الواعظ الحجـر

والموت جسر لمن يمشي على قدم
الى الامور التي تخشى وتنتظـر

فهم يمرون افواجا وتجمعهـــم
دار اليها يصير البدو والحضر

من كان فى معقل للحرز اسلمه
او كان فى خمر لم ينجه الخمر

حتى متى انا فى الدنيا اخو كلف
فى الخد مني الى لذاتها صعـر

ولا ارى اثرا للذكر فى جلـــدي
والحبل فى الحجر القاسي له اثر

لو كان يسهر عيني ذكر آخرتـي
كما يؤرقني للعاجل الســهـــر

اذا لداويت قلبا قد اضر بـــه
طول السقام وهيض العظم ينجبر

ما يلبث الشيء ان يبلى اذا اختلفت
يوما على نقصه الروحات والبكر

والمرء يصعد ريعان الشباب به
وكل مصعدة يوما ستنحـــدر

بينا يرى الغصن لدنا فى ارومته
ريان صار حطاما جوفه نخـــر

كم من جموع اشت الدهر شملهم
وكل شمل جميع سوف ينتشـــر

وكم من اصيد سامي الطرف معتصب
بالتاج نيرانه للحرب تستعـــر

يظل مفترش الديباج محتجبـــا
عليه تبنى قباب الملك والحجـــر

قد غادرته المنايا وهو مستلب
مجدل ترب الخدين منعفـــــر

ابعد آدم ترجون البقاء وهـــل
تبقى فروع لاصل حين ينقعـــر

لكم بيوت بمستن السيول وهل
يبقى على الماء بيت اســـه مدر

الى الفناء وان طالت سلامتهم
مصير كل بني انثى وان كثـروا

ان الامور اذا استقبلتها اشتبهت
وفى تدبرها التبيان والعبـــــر

والمرء ما عاش فى الدنيا له امـل
اذا انقضى سفر منها اتى سفـــر

لها حلاوة عيش غير دائمـــــة
وفى العواقب منها المر والصبر

اذا قضت زمر آجالها نزلـت
على منازلها من بعدها زمـــــر

وليـس يزجركم ما توعظون بـــه
والبهم يزجرها الراعي فتنزجـر

اصبحتم جزرا للموت يقبضكم
كما البهائم فى الدنيا لكـم جـــزر

لا تبطروا واهجروا الدنيا فان لها
غبا وخيما وكفر النعمة البطـــر

ثم اقتدوا بالالى كانوا لكم غررا
وليس من امة الا لها غـــــرر

حتى تكونوا على منهاج او لكم
وتصبروا عدم الدنيا كما صبروا

فهذه قصيدة من احسن شعر سابق واحفلـــه بالموعظة والتذكير ، ولو لم يكن له الا هي لكانت اصدق برهان على تالهه وشاعريته التي خضع لها عمر بن عبد العزيز مع ما عرف من تابيه على الشعراء وامتناعه من مقابلتهم . ولم لا يخضع له عمر وهو يفتتح شعـــره ببسم الله والحمد لله !. وقدوقفت علىابيات مختلفة من هذه القصيدة فى مظان عديدة فلا حاجة لذكرهـــا وقد اتحفنا بها كاملة الحافظ ابن الجوزي جزاه اللـــه خيرا .

واما البيت الثاني من الابيات الاربعة التي عنـــد البحتري فلا شك انه من تلك القطع النونية التـــــي اوردناها قبل ، وانها جميعها تكون قصيدة من ابدع قصائد سابق .

بقي البيتان الثالث والرابع ، ونحب ان نشير الى ان معناهما هو ما تضمنه بيت مشهور من قصيـــــدة تنسب الى ابي الاسود الدؤلي وهو :

لا تنه عن خلق وتاتي مثلـــــه
عار عليك اذا فعلت عظيـــــم

ونحب ان نشير كذلك الى ان هذه القصيدة قد نسبت لصاحبها ايضا ، كما نسبت للمتوكل الليثي ، وهذا البيت بالخصوص وجد فى قصيدة للاخطل ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر انه للطرماح ، وانظر شرح شواهد المغنى . وفى البداية والنهاية لابن كثير : روى ابن ابي الدنيا عن ميمون بن مهران قال دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده سابق البربري وهو ينشده شعرا فانتهى فى شعره الى هذه الابيا ت:

فكم من صحيح بات للموت آمنا
اتته المنايا بغتة بعد ما هجع

فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة
فرارا ولا منه بقوته امتنع

فاصبح تبكيه النساء مقنعا
ولا يسمع الداعي وان صوته رفع

وقرب من لحد فصار مقيله .
وفارق ما قد كان بالامس قد جمع

فلا يترك الموت الغني لماله
ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

وفى الاغاني قال ابو الفرج : اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا ابو غسان قال : قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربري ودخل عليه : انشدني يا سابق شيئا من شعرك تذكرني به فقال : او خير من شعري ؟ فقال هات . قال : قال اعشى همدان :

وبينما المرء امسى ناعما جذلا
فى اهله معجبا بالعيش ذا انق

غرا اتيح له من حينه عرض
فما تلبث حتى مات كالصعق

ثمت اضحى ضحى من غب ثالثه
مقنعا غير ذي روح ولا رمق

يبكي عليه وادنوه لمظلمة
تعلى جوانبها بالترب والفلق

فما تزود مما كان يجمعه
الا حنوطا وما واراه من خرق

وغير نفحة اعواد تشب له
وقل ذلك من زاد لمنطلق

فهذه الاخبار تفيدنا اولا انه كان مقيما بالشام ومن ثم كان اخذه عن مكحول الدمشقي واخذ الامام الاوزاعي عنه . وثانيا انه كان له عند عمر مكانة وقدر ، ولذلك كان يطلب منه ان يعظه وينشده من شعره الحكيم ، او من شعر غيره ، لانه متحققا من زهده وورعه ، وانه لا ينظم ولا يروى الا ما كان من قبيل ما قيل فيه « ان من الشعر لحكمة » .

ومن شعر سابق ايضا فى المراء ومدافعة الحق :

لا تدفعن لجوجا حين تزجره
ان اللجوج له فى الدفع اغراء
واغض فى حسن عفو عن بوادره
فالحر فيه عن الآفات اغضاء

وقال ولعلها من تتمة ما قبلها :

لا تظهرن لذى جهل معاتبة
فربما هيجت بالشيء اشياء
فالماء يخمد حر النار يطفيها
وليس للجهل غير الحلم اطفاء

وقال فى ذهاب الامم ، وربما كانت هذه الابيات كلها من قصيدة همزية من روائع سابق :

وكيف يامن ريب الدهر مرتهن
بعدوة الدهر ان الدهر عداء
القي على الجيل من عاد كلا كله
وقوم هود ، فهم هام واصداء

وله فى العفو والتسامح :

اذا ما كنت طالب كل ذنب
ولم تحلل اخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب
وصار بك الزمان الى اجتناب

وبعد فهذا شاعر فحل من اكبر الشعراء الذين يفاخر بهم هذا المغرب العربي ويستظهر بهم عند الحديث عن الادب والادباء .. وقد احتج به اهل العربية وعلماء البلاغة ، وقربه الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز مما يعطيك ان شعره كان مرآة لسلوكه واخلاقه ، فهو قد اربى على ابي العتاهية المعروف بشعره فى الزهد والمواعظ ، سواء من ناحية تخلقه ، او من جهة سبقه الى جعل شعره قاصرا على هذه المواضيع ، فلا تقول فيه انه ابو العتاهية المغربي ، بل تقول فى ابي العتاهية انه سابق المشرقي . رحمهما الله معا ويسر لنا الوقوف على كتاب اخباره وشعره .

شعر أبي العباس الجراوي

للأستاذ محمد بن تاويت

تريد ان نثبت تحت هذا العنوان من شعر الجراوي ما لم يثبته صديقنا العلامة السيد محمد الفاسي – مدير الجامعة المغربية – في محاضرته التي نشرت له اخيرا مع ملحقها . وقد استخرجنا هذا الشعر من نسخة للجزء الرابع من كتاب (البيان المعرب) التي يباشر نشرها معهد مولاي الحسن بتطوان . وهي نسخة مقابلة على نسخ ثلاث احداها « لكولان » والثانية «لامبروسيوهويسي» والثالثة للمكتبة الناصرية بتامكروت ، اكتشفها صديقنا الاستاذ البحاثة السيد محمد ابراهيم الكتاني – رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة للرباط .

واول هذه الاشعار ما قاله ابو العباس الجراوي مادحا عبد المومن بمناسبة انتصار جيوشه في موقعة كانت بينهم وبين الاسبان حول (فحص بلقون) بالاندلس سنة 556 وذلك من قصيدة يقول فيها :

اعليت دين الواحد القهار
بالمشرفية والقنا الخطار
ورای بك الاسلام قرة عينه
وغدت بك الغراء دار قرار
وسلكت من طرق الهداية لاحبا
طوبى لمن يمشي على الآثار
وجرت معاليكم الى الامد الذي
بعدت مسافته على الاسفار
وقفت على ما قد اردت سعادة
وقفت عليها خدمة الاقدار
لا تخلق الايام جدة ملككم
ابدا ولا تبلى على الاعصار
لا غرو ان كنت الاخير زمانه
فالفضل للآصل والاسحار
وافيت اندلسا فامن خائف
وسما لاخذ الثار رب الثار(1)
وحللتم جبل الهدى فحللتم
منه عقود عزائم الكفار
جبل الهدى والفتح والنصر الذي
سبقت بشائره الى الامصار
لو بدلوا قدامهم بقوادم
طاروا عن الاوطان كل مطار
لوراء (2) موسى ما فعلت وطارق
زريا بما لهما من الآثار
اتممت ما قد املوه ففاتهم
من نصر دين الواحد القهار
بعراب خيل فوقهن اعارب
من كل مقتحم على الاخطار
اكرم بهن قبائلا اقلا لها
في الحرب يغنيها عن الاكثار
وانظر اذا اصطفت كتائبها الى
ما تحمد الكتاب في الاسطار
لم انها نصرت عليا لم ترد
خيل ابن حرب ساحة الانبار
هم اظهروه مع النبي وواجب
ان يتبعوا الاظهار بالاظهار
ملك الملوك لقد انفت الى العلا
ونظرت من فوق الى الاقدار
انت السبيل الى النجاة فكلنا
لولاك كان على شفير هار

1) بالاصل من نسخة تامكروت (النار)
2) لغة في (رأى)

وجريت فى نصر الاله الى مدى
يكبو وراءك فيه كل مجـــار

قد ضاق ذرع الكفر منك واهله
بموفق الايـــراد والاصـــدار

الى ان يقول : (1)

ملئت به الدنيا صفاء بعد ما
ملئت من الاقذار (2) والاكدار

اخليفة المهدي دمت مؤيـــدا
بالله منتقما مـــن الكفـــار

ترمي شياطين الاعادي فى الوغى
برجوم خيل من سماء غبـــار

روعت كل مروع وحفظت كـ
ـل مضيع وحميت كل ذمـار

ومن شعره ما قاله مادحا لعبد المومن حين كان بافريقية محاصرا المهدية التي استولى عليها نصارى صقلية ، يقول من قصيدة :

كانت محل اناس قبلنا فخلوا
عنها وآثارهم فيهـــا مقيمات

تالله لو علمت مقدار وارثهـــا
هبت اليك رباها والقـــرارات

قالوا المعطيات احياها فقلت لهم
بل لم تكن قبل ان كان المعطيات

اما سمعتم جريرا عن هنيدته
يثني(3) يرى انها فى الجود غايات

واين من حسبه الآلاف من ذهب
هنيدة من سواه او هنيـــدات

واين(4) من قيس عيلان ارومته
وقيس عيلان املاك وسادات

ومن يكن من امير المومنين فقد
قامت على فضله منه الشهادات

اهنا امام الهدى بالعدل(5) منبسطا
والدين منتظم والكفر اشتات

اعيت مآثركم من ان تنال وكم
شنت عليها من الاقوال غارات

وكم ارادت ولاة(6) الشعر تحصرها
فاخفقت دونها منهـم ارادات

هذي ابيات عبد مخلص لكم
محض اعتقاد وما تغني الابيات

---

1) تركنا بيتين وقع فيهما سقط وهما :
متـاهـب للامـر قبـل اوانـــه . . . . رار
متحمـل اعبـاء كـل عظيمـــة . . . . بالنفع والاضرار

2) بالاصل : « الاقذاء » . فلعل الصواب مـــا اثبتناه لينسجم مع الاكدار او تكون الكلمة « الاقذاء » بالمعجمة .

3) يشير الى اجازة عبد الملك لجرير بمائة لقحة وثمانية رعاء . وفى كلمة « يثني » شيء ؟ لعدم انسجامها مع « يرى » .

4) بالاصل : « واي » ولكن الكلام بها ينقصه الخبر .

5) بالاصل : منبسـط . مع انه حال ، لا يجوز رفعه الا فى لغة شاذة معتبرة فى مثل هذا التركيب ان الجملة حالية حذف منها المبتدأ .

6) كذا بالاصل ، ولعله « رواة » .

الامر أعظم مقدارا وارفع مـــن
ان مد تحبط به منا مقامات(1)

دمتم ودام لكم اسعاد سعدكم
ما دامت الارض والسبع السماوات

ومن شعره ما قاله مادحا لعبد المومن وقد فتح المهدية واسترجعها من نصارى صقلية . من قصيدة يقول فيها :

لمن الخيول كانهن سيـــول
غصت بهن سباسب وجهـول

طويت لها الدنيا فابعدما انتحت
دان وابطا سيرها تعجيـــل

يغزو اديم الارض من صهلانها
مثل اسمها حتى تكاد تـزول

فصهيلها محض الثناء وان يكن
لا يفهم الاقوام منها صهيل(2)

تثني على الملك الذي ايامـــه
ستر على هذا الورى مسدول

عم البسيطة ملكه فكانــــه
سيل على كل البلاد يسيـــل

جهل النصارى انه الملك الذي
يرث البلاد وعذرهم مقبـول

اهل الجهالة هم فكيف الوهم
وعلمت ان الطبع ليس يحول

الى ان يقول : (3)

فعفوت عفو القادرين تكرمـــا
عنهم وعفو القادرين جميـــل

شكر البلاد مع العباد خليفـة
هو بالبلاد وبالعباد كفيـــل

لو تنطق المهديـــتان لقالتـــا
في الشكر ما لايدرك التحصيل (4)

بالامس يملا سمعها ناقوسهـم
واليوم يملا سمعها التهليـــل

ومن شعر الجراوي ما قاله مادحا لابي يعقوب يوسف الموحدي اثر الموقعة التي انتصرت فيها جيوشه على ابن اذفونش المعروف بالبيبوج وذلك سنة 569 من قصيدة يقول فيها :

عن امركم يتصرف الثقـــلان
وبنصركم يتعاقب الملـــوان

وبما يسوء عدوكم ويسـركـم
تتحرك الافلاك في الـــدوران

جاهدتم في الله حق جهـــاده
ونهضتم بحماية الايمـــــان

وتركتم ارض العدى وقلوبهم
في غاية الرجفان والخفقـــان

وغزاهم الدين الحنيفي الذي
كتب الظهور له على الاديـــان

كتب الاله لكم فتوحا في العدى
هذا لها وسواه كالعنـــوان

هذا مقام المصطفى يا فوز من
حاز النيابة فيه عن حســـان

من يعرف الرحمان حقا يعترف
بحقوقه لخليفة الرحمـــان

---

1) كذا بالاصل وهو غامض .
2) بالاصل . لا يفهم المستمعون صهيل فاصلحنا الشطرة كما راينا .
3) تركنا بيتين لبياض في الاول وغموض في الثاني وهما :
لم ينزلو طوعا ولا . . . . وراء الصين منه مهول
ودرت نفوسهم بانك ظافر فاتت تقدم اليه تـؤول
4) يريد مهدية افريقية المذكورة ومهدية الرباط التي اختطها عبد المومن تجاه سلا . ثم اعاد الشاعر في البيت بعده الضمير على مهدية افريقية التي كان النصارى قد استولوا عليها وبنوا بها الكنائس التي اشار اليها .

وله في هذا قصيدة اخرى افتتحها بقوله :

بسيفك صال الدين في الشرق والغرب
ودارت على الاعداء دائرة الحرب (1)

ومن شعره ما قاله مهنئا ابا يعقوب بابلاله من مرضه سنة 573 من قصيدة يقول فيها :

ستملك ارض مصر والعراقا
وتجري نحوك الامم استباقا

اذا لم يتفق راى وراى
افادا في محبتك اتفاقا

صفا لك كل قلب غير صاف
وزحزح عن ضمائره النفاقا

وحقكم وحقكم عظيم
لقد حسن الزمان بكم وراقا

وقد بلغ الوجود بكم مناه
وقد امنت عصا الدين انشقاقا

تبادرت الفتوح اليك تجري
غرائبها وتستبق استباقا

امير المومنين ومن عليه
سنى الاسلام يأتلق ائتلاقا

ويا ملكا احنت كل ارض
الى ارض اقام بها اشتياقا

يحن اليك يوم غير آت
ويشكو الذاهب الماضي الفراقا

شكوت فاي قلب غير شاك
واي العيش لم يمرر مذاقا

ولولا عطفة الابلال كنا
بنار الوجود نحترق احتراقا

ومن شعره ما قاله فيه يمدحه ويهنئه بالعيد سنة 576 من قصيدة يقول فيها:

شملت ببقائكم النعم
وسمت برجائكم الهمم

وهمت ديم من راحتكم
هيهات تساجلها الديم

وعنت لعزائمكم عرب
تشقى بصوارمها العجم

اسد تنقاد الاسد لها
بهم تنقاد لها البهم

حمدت شيم الايام بكم
ولكم ذمت منها الشيم

بهرت انوار خلافتكم
وسماء العلم بها علم

فراى من ليس له بصر
ووعى من كان به صمم

واناف المجد على زحل
واتى بغرائبه الكرم

اعيى البلغاء مقامكم
ولو ان مقالهم حكم

العيد احق بتهنئة
فله بكم فخر عمم

دمتم والكل يلوذ بكم
من صرف الدهر ويعتصم

ومن قصيدة يمدح بها يعقوب المنصور بمناسبة زيادته في وزن الدينار – ناتي ببيت منه سقط مما نشره الاستاذ الفاسي وهو :

ما ارتاب مبصرها في كف ذاك وذا
ان النجوم استحالت للورى ذهبا

ياتي هذا البيت بعد « قد حاز في وصفها » الخ وقبل « فذاك عم بني الدنيا » الخ .

---

1) وبعد هذا البيت بيت آخر نثبته على بتره . وهو :

. . . . . . واستقام معاند ولان قيادا كل ممتنع صعب

ويقول في مطلع قصيدة اخرى مدح بها يعقوب المنصور :

الدهر منا في مديحك افصح
فعلى م يعتب نفسه من يمدح

انت المرشح للتي لا فوقها
ان العظيم لمثلها يترشح

ويقول من قصيدة اخرى مادحا للناصر بمناسبة بيعته :

لهجت بذكرك (1) السن المداح
وسمت بذكرك رتبة الامداح

ازرى نداك بكل بحر زاخر
هبت عليه عواصف الارواح

بمحمد وزر الورى وبما لهم
في كل يوم ندى ويوم كفاح

فرع سيحكي اصله وهو قد حكى (2)
بمقاصد قد سددت وسلاح (3)

تأبى الخلافة من سوى اكفائها
والجد غير مقابل بمزاح

غشيت بنوركم البلاد فمن بها
اغنى عن الاصباح والمصباح

سكنت ببيعة القلوب ولم تزل
تهفو من الاشفاق دون جناح

عم السرور بها البسيطة كلها
كالصبح فاض على ربى وبطاح

لا زلت للاعياد تمنح بهجة
يعيي سناها اعين اللماح (4)

ومن شعره في هذه البيعة ايضا من قصيدة طويلة — كما يقول ابن عذاوى — يقول فيها :

هي بيعة احيى الانام بها
وسما بها دين النبي المصطفى (5)

سبقت قلوب الخلق ايديهم بها
ورجا الزمان بعقدها ان يسعفا (6)

كل يمد يد الضراعة راغبا
في نيلها مسترحما مستعطفا

جمعت صلاح الدين والدنيا معا
وغدا بها شمل العلا متالفا

ما من تقي مومن الا وقد
سرت له نفسا وهزت معطفا

لبا مناديها بقلب مخلص
متبردا بحضورها متشرفا

انست مآثره مآثر يعرب
وسمت بقيس في العلاء وخندفا

بث المدائح فالبليغ مقصر
ولو انه نظم الكواكب ما وفى (7)

لازلت بالملا العلي مؤيدا
ولصرف دهرك كف شئت مصرفا

---

1) لعله : (بفضلك) او نحوه حتى لايتكرر مع الذي في الشطرة الثانية .
2) بالاصل وقد حكي ولا يستقيم به الوزن فاصلحناه بما راينا .
3) لعله : و (صلاح) .
4) تركنا هنا بيتين لخلل في اولهما وسقط في الثاني وهما :
مستوفيا مدد الى مدد به — من احوال لاتعد فساح
متسربلا بالسعد ... — ... فتحا بالواحد القهار
5) تركنا البيت الاول لسقط به وهو :
صنع جميل جل عن ان يوصفا — .... به كمالا واكتفا
6) بالاصل : ورجى زمانه به أن يسعفا
7) بالاصل :
بث المدايح فالبليغ مقصرا — ولو انه نظم الكوكب ارفا
فاصلحناه بما راينا .

وهذا بيت آخر من قصيدة يمدح بها الناصر بمناسبة استرجاعه لجزيرة (ميورقة) لم يذكره الاستاذ الفاسي بتلك القصيدة :

سعودك من يرتاب فيها وللورى
عليها دليل كل يوم وبرهان

ورد هذا البيت بعد قوله : (لقد البس الله الخلافة بهجة) الخ .

وهذه ابيات اخرى من قصيدة يهنئه فيها بفتح ميورقة كذلك ، وقد فات الاستاذ الفاسي ان يثبتها في تلك القصيدة :

شاء الاله الخ
يسمي خير الخلق والنور الذي
كفلت بدايته الى الاتمام
جمعت ببيعته الخ
وسرى السرور بها وصار مواصلا
للجد في الانجاد والاتهام
واعتز دين محمد بمؤيد
ماضي العزائم للشريعة حام
لولا انتظام امورنا بوجوده
لغدت مبددة بغير نظام

وبعد تلك الابيات التي ذكرها الاستاذ الفاسي في ملحق محاضرته القيمة تاتي هذه :

وبعزمة منصورة وعصابة
مشهورة التصميم والاقدام
جمع ابن غانية فكف جماحه
يوم ادار عليه كاس حمام
ناهيك من يوم اغر محجل
(متميز (1) عن سائر الايام

وعظت بمصرعه الحوادث عنوة
ناهيك من وعظ بغير كلام (2)
فليهنئ الدنيا وجود خليفة
جزل المواهب سائغ الانعام
تغنيه عن قود الجيوش سعادة
تقتاد ما شاءت بغير زمام
نيطت امور الخلق عنه بحازم (3)
متكفل بالنقض والابرام
سام الى الرتب التي يسمو لها (4)
نجل الاكابر من سلالة سام
ورث الخلافة الخ
لبست به الدنيا جمالا كنهه
اعيى على الافكار والاوهام
فكانها دار السلام نعيمها
متابد ودخولها بسلام
يا عصمة الدنيا نداء مؤمل
(5) صفحا يروحه من الايام
فارقت ما قد كنت فيه كانه
طيف رآته (6) العين في الاحلام
فعسى ارى وجه الرضى فلطالما (7)
املت رؤيته مع الاعوام
بالطبع حاجتنا اليك وهل غنى
يلفى عن الارواح للاجسام
لا زال سعدك مسعدا متصرفا
فيما تريد تصرف الخدام

فهذه ثلاثون ومائة بيت تضاف الى ما نشر الاستاذ الفاسي من شعر الجراوي وهو سبعة واربعون واربعمائة فيكون ما عرف من شعره حتى الآن 577 بيت . وسنتناول في العدد القادم ان شاء الله شعره بالدرس على ضوء ما لدينا من اشعاره . . .

---

1) بالاصل : محجلا متميزا
2) بالاصل : عرضت بمسرعه . .
3) بالاصل : (مجازم)
4) بالاصل : سام الى الرتب التي يسوقها . . .
5) بالاصل : (صبحا) فلعل الصواب ما اثبتناه بدليل ما بعده .
6) بالاصل : (راية) وهو تصحيف ظاهر .
7) بالاصل :
فعسى ارى وجه الرضى فاطال ما املت روايته مع الاعوام
وهو تصحيف ظاهر .

جامعة القرويين بفاس

بقلم: روم لاندو
تعريب الاستاذ: محمد الخطيب

نشر هذا المقال في مجلة العالم الاسلامي الانجليزية عدد ابريل 1958 .
ونحن اذ نشكر للأستاذ السيد محمد الخطيب أن تفضل بتعريبه لمجلة «دعوة الحق» ننبه الى ان الغاية التي نهدف اليها من نشر مثل هذه المقالات والابحاث ، انما هي تعريف القراء برأي الغير في مقومات الحضارة المغربية ، وما هو الانطباع الذي تتركه في عقولهم ونفوسهم زيارتهم للمغرب ، واتصالهم بمختلف طبقاته ، واطلاعهم على المجهود الشاق الذي تبذله الحكومة والشعب معا ، في سبيل النهوض بالمغرب ، تحت القيادة الرشيدة لزعيمه الاكبر ، جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله .
اما الافكار الجزئية التي يتضمنها هذا المقال ، او غيره من المقالات التي من نوعه ، فهي افكار اصحابها ، ان صادفت صوابا ، فنعم . والا فانها افكار وانطباعات خاصة بهم ، يفيدنا ان نعرفها ، وقد يحفزنا ذلك الى الرد عليها وتقويمها ، وفي كل ذلك خير للحركة الفكرية التي ننشد تدعيمها وارساء قواعدها والسير بها الى الامام .

دعوة الحق

كان المغرب بلادا مجهولة خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، بل وحتى ايام الحماية ما بين 1912 و 1956 ، فالمستعربون الاحترافيون انفسهم ، كانوا يعرفون عن المغرب اقل مما يعرفون عن الشرق الادنى ، وقليل منهم من كان يعرف ان المغرب كان اول دولة عربية اسس جامعة لاتزال موجودة حتى الوقت الحاضر .

اسس جامع القرويين على يد فاطمة بنت محمد الفهري ، وهي بنت احد اثرياء القيروان في تونس ، وذلك في حدود سنة 857 اي قبل مائة سنة من تاسيس جامع الازهر بالقاهرة .

والمساحة الاصلية للجامع كانت محدودة ، الا ان اتساع نطاق التعليم جعلها تتسع عاما بعد آخر حتى اصبحت سنة 918 المسجد الرسمي الذي يؤدي فيه السلطان صلاة الجمعة ، وبذلك دخل الجامع تحت اشراف الحكومة .

كانت (القرويين) محل توسيع وتجميل منذ عهد الادارسة في القرن التاسع الى ايام الدولة العلوية في الوقت الراهن ، اما مساحتها الحاضرة فهي لاتزال كما كانت عليه منذ عهد السلطان علي بن يوسف المرابطي .

ان هذا المسجد الاسلامي الكبير الذي يسع مائتي الف مصل ، قد اصبح منذ عهده الاول ، المركز الرئيسي للدراسات الاسلامية في افريقيا ، واحد المراكز الاسلامية الكبرى في العالم الاسلامي . وهو لايتميز كثيرا عن بقية مساجد فاس من ناحية البناء ، وقصر الحمراء بغرناطة لايفوقه حجما وعظمة رغم جماله ولطفه .

وان مكتبة القرويين اليوم ، ليست الا ظلا لما كانت عليه ايام السلطان ابي عنان المريني ، حيث كانت تحتوي على الآلاف من المخطوطات التي غنمت للملك المسيحي في اشبيلية . وزائر القرويين في الوقت الحاضر يعثر على نسخة خطية لتاريخ ابن خلدون ، نص فيها المؤلف بخط يده ، على انها النسخة الاصلية

اكتابه ، كما يعثر على نسخة من كتاب ابن رشد ، ونسخة اخرى بخط يد ابن خاتمة ، ولسنا في حاجة الى ذكر نسخ اخرى لكتاب حديث البخاري .

وجميع هذه الكتب في حالة جيدة ، وان كان لا يزال على الحكومة المغربية ، ان تعتني اكثر ، بالمحافظة عليها وحفظها للمستقبل .

كان العصر الذهبي للقرويين خلال القرون الثاني والثالث والرابع والخامس عشر ، اي ايام دولتي الموحدين والمرينيين ، اللتين كانت ايامهما عصر علم ، وعهد تشييد مدن تحتوي على مآثر تاريخية جميلة . ولم تكن (القرويين) مقصد التلاميذ من افريقيا والعالم الاسلامي فحسب ، بل كانت مقصد الاوربيين انفسهم في ذلك العصر .

ونجد من بين اساتذة القرويين : ابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابن حرازم ، وابن باجة ، ولربما ؛ ابن العربي ويظن ان البابا (سلفستر) الثاني قد درس بالقرويين ، وانه تعلم فيها الارقام العربية واستعمال الصفر ، وانه هو الذي ادخلها لاوربا . كما يظن ان (ابن ميمون) والمؤرخ الافريقي (حسن ابن الوزان) المعروف (بليون الافريقي) كانا من تلامذة القرويين .

وعندما انتصر الملكان الكاثولكيان «فرناند» و «ايزابيلا» على العرب أواخر القرن الخامس عشر ، واضطر العرب للتخلي عن مدنيتهم الجميلة التي اسسوها فوق التراب الاسباني ، اصبحوا ينظرون لاوربا نظرة عداء ، ويتطلعون لاسترداد اسبانيا الى الحظيرة الافريقية ، فانتهى بذلك عهد التبادل الثقافي بين المسيحيين واليهود ، واصاب القرويين تاخر صاحبها منذ ذلك العهد دون انقطاع ، الى ان اعاد المغرب استقلاله سنة 1956 .

وبالرغم من ذلك ، فقد ظلت (القرويين) مقصدا للتلاميذ من سائر الشمال الافريقي ، رغم ان برنامج الدراسة فيها ظل متسما باساليب التعليم في العصور الوسطى ، بينما كانت تلك الاساليب آخذة في التطور في جميع انحاء العالم .

وقد زاد التأخر امعانا وبسرعة خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، عندما اخذ الاستعمار الاوربي ينتشر في شمال افريقيا ، وزاد ذلك التاخر ابان الاحتلال الفرنسي مابين سنة 1912 و1956 . ويتجلى الفرق بين التعليم في القرويين خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين ، في المواد التي كان التعليم يتناولها خلال الفترتين . فالتعليم في القرويين خلال الفترة الثانية عندما كان المغرب يتطلع الى استقلاله ، لم يعد مقتصرا على علوم الدين والنحو والمنطق والبيان والشعر ، بل ادخلت عليه مواد اخرى مثل الحساب والهندسة والتنجيم والطب . بينما كان التعليم بالقرويين خلال منتصف القرن التاسع عشر ، وابان عهد الحماية لايتناول غير التوحيد والفقه والحديث والتصوف والامداح والبلاغة والبيان والعروض والقوافي وفلسفة النحو والمنطق ، ولم تكن ابسط العلوم تدرس فيها .

كان التعليم بالقرويين يسلك طريقة غريبة في الاداء ، فالتلميذ يقتصر على القراءة واعادتها حتى يحفظ عن ظهر قلب ما قرا ، ولم يكن سؤال الاستاذ مسموحا به ، كما لم يكن امتحان الاستاذ للتلميذ معمولا به ايضا . فكل ما كان هناك ان التلميذ يقضي في التردد على الدروس ما بين خمس ، وعشر سنوات ، لاينال بعدها اية شهادة حسبما هو معمول به في الجامعات الحديثة . وكل ما هنالك انه ينال وثيقة تشهد بانه حضر الدرس الفلاني ، والدرس الفلاني ، وانه قرا كتاب كذا وكذا ، وان معلوماته تسمح له بالتنقل بين استاذ وآخر .

كانت هيئة التدريس تنقسم الى اربعة اقسام ، تتدرج من عالم — اي ما يقابل بروفسور — الى المحاضر الذي هو عبارة عن شاب حديث العهد بانهاء دراسته . اما تعيين الاساتذة فكان من اختصاص الحكومة ، وهم ينالون اجورا جد زهيدة ، فيستعينون على ضروريات حياتهم بوظائف اخرى ، مثل القضاء ، والوظيفة الحبسية والافتاء ، او الوعظ الديني ، او التعليم القرآني ، او الاذان ، او مزاولة حرفة العدالة ، او الكتابة باحدى الادارات .

وقد تمتع علماء القرويين بميزة انتخاب السلطان وقراءة بيعة توليته . وهم عندما يظهرون في الشارع يلبسون ملابس بيضاء ، ويظهرون بسحنة الوقار ، ويسيرون بتؤدة دون ان يلتفتوا يمينا او يسارا ، واذا مر بهم امي ، او صاحب دكان ، او تاجر ، او موظف ، يلزم ان ينحني ويحاول تقبيل اليد ، او على الاقل لمس الكساء ، وتقضي الآداب بعدم ظهورهم في الاسواق او المقاهي او الحمامات العامة . فهم يعيشون في اجواء اجتماعية غريبة ، وتعتبر طبقتهم طبقة خاصة . واذا

استثنينا طائفة محدودة منهم ، فجلهم لايظهر بمظهر القائد المفكر ، اذ أن قراءتهم تقتصر على كتب القرون الوسطى ، وافكارهم محافظة لاتقبل التجديد ، وهم لا يسايرون العالم الا بصعوبة .

وبالرغم من عقم القرويين من الناحية الروحية ، فقد ظلت فاس المركز الثقافي لغاية الوقت الحاضر ولم يكن المغاربة وحدهم هم الذين يقصدون مدينة مولاي ادريس بقصد التعليم ، بل كان الجزائريون والتونسيون يقصدونها ايضا لنفس الغاية .

هذا ولم تكن جامعة القرويين وحدها مركزا للتبادل الثقافي ، بل كان ذلك في بيوت تجار فاس ، وفي الاجتماعات السياسية ، وفي المقاهي والمتاجر . ولم تكن المظاهرات الثقافية محصورة بين جدران المسجد الجامعي ، بل ان المناقشات العلمية كانت تدرس في مدارس السكن الجميلة في بنائها والغير صحية في حالتها .

ويجدر بالذكر هنا ان حزب الاستقلال قدتأسس في احدى غرف تلك المدارس .

وبالرغم من سيطرة القرويين سيطرة تزمتية ، فقد انجبت قادة تقدميين ومجددين ، وفي مقدمتهم الزعيم علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال ، واحد القادة الذين قادوا الامة الى الاستقلال ، وهؤلاء الزعماء قد تلقوا خصائص التقدم الاجتماعي ومبادىء التحرر من جامعة القرويين ، وهم الذين نفخوا في الشبيبة روح الاستقلال ، ويرجع الفضل في اصلاح الشبيبة من الناحية الاجتماعية والسياسية الى ما كانت تتلقاه على يد حزب الاستقلال ، وان الكثيرين من رجالات المغرب في الوقت الحاضر ، هم من تلامذة القرويين ، ومن المتشبعين بروحها لما تلقوه فيها من علوم .

يجب الا ينظر الى قضايا القرويين في الوقت الحاضر بمعزل عن بقية القضايا الاخرى ، فالقرويين ليست في حد ذاتها سوى واحدة من مجموع القضايا التي جابهت المغرب بعد الاسبوع الاول من الاستقلال . ومن قضاياها الجديرة بالذكر ، العمل على ربط ماضيها بحاضرها ، والتوفيق بين التعاليم الاسلامية وما يجب اتخاذه من الاوضاع السياسية والاقتصادية ، وصيانة الشباب الذين تغريهم الافكار الحديثة ، وليست هذه القضايا جديدة ولا غريبة عن المغرب .

ان مغرب اليوم يعيش في فترة انتقال من حياته. وان القليل من مظاهر تلك الحياة هو الذي وجد قالبه الخاص ، اما الباقي فهو يعاني صعوبة في التكييف .

لقد تغير المغرب تغيرا ظاهرا محسوسا منذ سنة 1956 الى الآن اكثر مما تغير خلال ثلاثة عقود . فالموظفون بالقصر الملكي وفي دواوين الحكومة ، ورجال الحرف والتجارة ، والاساتذة والتجار قد تخلوا عن البستهم الجميلة ، وارتدوا الملابس الغربية ، وهم يعللون هذا بكون الملابس الغربية ارخص ثمنا واكثر احكاما ، وان الملابس القديمة ليست عملية بالنسبة للاعمال الحديثة التي اصبحوا يزاولونها .

فلاول مرة سنة 1957 بدا المغاربة يقدمون الطعام لضيوفهم سواء في الحفلات الخاصة او الرسمية منها ، مستعملين السكاكين والشوك ، وغني عن البيان ، القول بأن صنف الطعام المقدم الآن أصبح أقل من ذلك الذي كان يطبخ في الماضي على الطريقة المغربية ، وان الضيوف اصبحوا يستمتعون الآن اقل مما كانوا يستمتعون من قبل ، نظرا للاغلاط المرتكبة في استعمال الطريقة الغربية .

ففي بيت احد التجار المغاربة الاثرياء ، الذي كنت قبل سنة اتناول فيه طعاما مغربيا فاخرا ، قدم لي عشاء على الطريقة الفرنسية ، ومكان الشاي المنعنع الذي كان يقدم قبل الاكل ، احتلته المشروبات المثلجة التي اصبحت تعوض ما كان يقدم من الماء خلال الطعام .

وان ما يتمتع به المغرب الان من وحدة اجتماعية وسلالية وسياسية ، يرجع الفضل فيه لقيادة محمد الخامس ، ورجال حزب الاستقلال ، وان الملك ليتمتع بسمعة عظيمة ، ولا توجد فئة من المغاربة لاتنظر اليه كرجل يستطيع حل الكثير من المشاكل الروحية والمادية وان سرعة تقلب الاحوال قد اخذته على غرة ، فجابه الحوادث الغير منتظرة يوما بيوم ، وهو يملي لها ما تستلزم من حلول كان في الماضي يسبقها تأويل طويل. وما يقال في حق الملك يقال ايضا في حق حزب الاستقلال وخاصة مفكريه ومنظميه ، مثل علال الفاسي ، والمهدي بن بركة ، اللذين كانا يحصران جهودهما في الكفاح من اجل الاستقلال ، وعندما تحقق الاستقلال حدثت كثير من القضايا لم تكن في الحسبان ، من بينها السعي للتوفيق بين العرب والبربر الذين يكونون عناصر المجتمع المغربي ، للاستجابة لمستلزمات الوحدة والتجديد واقامة نظام ديموقراطي .

ومن قضايا البلاد الاساسية ، قضية القرويين التي يلزم ان تساير مطالب الوقت حسبما يرغب في ذلك كل من صاحب الجلالة وزعماء حزب الاستقلال . وليس معنى هذا ان العلماء لايعون ان القرويين يلزم ان تجابه هذا الامر ، فقد اجتمعت بالكثيرين منهم خلال صيف سنة 1957 وبعضهم ممن تقليدي لايتكلم كلمة فرنسية واحدة ، وهم محافظون على تقاليدهم وعاداتهم ، وينادون بالطرق القديمة التي كان يسلكها العالم الفاسي الا ان من بينهم شبابا يتحدثون بالفرنسية ، ويرتدون الالبسة الافرنجية ، وينادون بالتقدم ، وكلا الجماعتين متفقتان على وجوب القيام بشيء ، اذا ماكانت القرويين تريد ان تلعب دورها في حياة المغرب الجديد . الا انهم يعلنون في صراحة انهم لايدرون ماذا يفعلون !!

وينحصر النقاش فيما يأتي :

هل يمكن للقرويين ان تجعل الدراسة دراسة اسلامية حقيقية كاملة ، لكي تقي الشباب المغربي من الانسياق في التيارات العالمية التي يمكن ان تجرفه للانحراف عن التربية والاخلاق الاسلامية ؟ فالنزعات الانسانية كما تطورت في أوربا حتى بعد ايام النهضة قد ظلت في العالم الاسلامي تعتمد على التعاليم الاسلامية وحدها ، وفصلها عن الاسلام معناه فصلها عن العمل الرئيسي للتربية والاخلاق الاسلاميين . والعلماء يقرون وجوب الاستعجال لحل هذا المشكل ، الا انهم لايملكون الجواب عن السؤال ، في الوقت الذي يتوقف الجواب عليهم بوصفهم المشرفين على شؤون الدين ، غير انهم متفقون على ان اساليب التعليم في القرويين يلزم ان تتغير ، والشباب من العلماء انفسهم يخشون نتائج التعليم الحديث اذا ما حرضوا على ادخال الاصلاح الضروري . وهذا معناه ان الاصلاح يجب ان يأتي من ناحية اخرى .

ان الحكومة المغربية نفسها مصممة على وجوب تجديد التعليم في القرويين ، وان هذا التجديد يلزم ان يكون على العموم ضمن اطار التربية المغربية . وقد كان تعريب التعليم من الاعمال الاولى التي حاولت الحكومة المغربية القيام به بعد الاستقلال ، نظرا لكون التعليم كان على عهد الحماية يلقن باللغة الفرنسية ، وكانت العربية تدرس كلغة اجنبية ، كما ان سلطات الحماية كانت تبذل الجهد لاحلال البربرية محل العربية ، اما تاريخ وادب اللغة العربية ، فقد كان مجهولا تماما بالنسبة لتلك المدارس . ولذا اصبحت الجهود منصرفة لتغيير هذا الوضع ، غير ان هذا الامر يتطلب وقتا حتى يتمكن من تدريب القدر الكافي من المعلمين المواطنين .

ومن الاجراءات المهمة المتخذة في هذا السبيل انشاء جامعة حديثة ، وفي الوقت الذي يظهر فيه هذا المقال يكون المشروع قد اخرج لحيز الوجود. وستحتوي الجامعة على بعض المدارس العليا التي أسست في الرباط على يد الفرنسيين ، والتي كانت كل واحدة منها تعمل بمعزل عن الاخرى ، وكان القصد منها التهييء للحصول على الشهادات من الجامعات الفرنسية . فهناك مدرسة للحقوق ، واخرى للعلوم ، ومعهد للدراسات العربية العليا قام باعمال ذات قيمة من الناحية اللغوية والتاريخية والآثار القديمة . وقد كان البعض من الرؤساء يستعمل تلك المعاهد لبذر الدعاية الاستعمارية .

هذه المعاهد الثلاثة تكون نواة الجامعة الوطنية ، وستتكون هيئة الاساتذة فيها من مغاربة وفرنسيين وبعض الاجانب ، وستصبح القرويين كلية للحقوق الاسلامية والآداب ، اما حـ[illegible]ـيا المادية فتتطلب التجديد، ومنهاج التعليم فيها يجب ان يساير منهاج التعليم في جامعة الرباط ، وستقوى هيئة الاساتذة فيها من العالم العربي مثل مصر والعراق وسوريا . وقد اعرب وزير التعليم السيد محمد الفاسي الذي كان نفسه مديرا للقرويين عن ثقته في نجاح تجديد القرويين .

اما فيما يخص الحكومة فان تجديد القرويين ليس بالامر الهين ، لما يلزم ادخاله من الاساليب الصحية بالنسبة للتلاميذ وما يلزم تجديده من الاساليب بالنسبة للتعليم . فالمدارس التي يسكنها التلاميذ ، بالرغم من جمال هندستها ، عتيقة من الناحية الصحية ، ولهذا فهي تحتاج الى اصلاح كبير كما تحتاج لذلك ايضا الاساليب الدراسية ، فليس في القرويين صفوف مستقلة ، وانما يجتمع التلاميذ حول أساتذتهم في حلقات دروس موزعة بين اطراف المسجد ، والتلاميذ مخيرون في حضور درس او آخر ، اما فيما يخص سير الدرس فليست هناك مناقشة بين الاستاذ والتلاميذ ، وليس هناك اي اتصال بين جماعة واخرى . وكل هذا يحتاج لان تقوم مقامه طرق حديثة تساير طرق التعليم الحديث .

واكثر مما تتوقف (القرويين) على المظهر الخارجي وناحية طرق التعليم ، تتوقف على الروح التي تقودها وتسيطر عليها ، فروحها لاتزال روح مؤسسة عتيقة

طبقا لقدم عهدها ، بحيث لايمكن تغييرها بين يوم وليلة، بل ان ذلك سوف يستغرق سنوات حتى يوجد جيل من الاساتذة المدربين تدريبا حديثا ، اذ ان تلاميذتها لا يزالون يدعون في الوقت الحاضر بقرويي الروح كما كانوا يدعون سابقا . فمعظمهم من القبليين ، ولهم المام ضئيل بالتربية الحديثة والمظهر المدني بين القبليين لا يزال يخالف مظهر سكان المدن . والدين في «القبائل» لايزال القوة الشاملة ، والكثيرون من شباب (القبائل) لايحنون حتى الآن الى التربية التي تلقن في المدارس الحديثة التي تتبع الطرق الغربية ، فهم لايتجهون اتجاها رياضيا أو طبيعيا ، بل ينهجون نهجا دينيا وقانونيا ، وليس مثلهم الاعلى ان يصبحوا مهندسين او اطباء ، بل قضاة دينيين ، او موظفين في الاحباس ، او اساتذة قرآنيين .

لقد زرت تلامذة القرويين في صومعة نسكهم ابان عهد الحماية وبعد الاستقلال فوجدتهم متواضعين ، كرماء كمواطنيهم ، وان مستواهم التصنيعي اكثر من المستوى العام لبقية مواطنيهم ، الا انهم فيما يخص القرويين يظهرون اعجابا كبيرا بها ، بل انهم يظهرون عجرفة وغطرسة تتنافى مع تواضعهم الشخصي . والحقيقة انهم يتطلعون الى مستوى أرغد في العيش ، كما يريدون أن تكون صفوفهم احسن تنظيما ، الا انهم مقتنعون بأن التعليم الذي يتلقونه اعلى مما يتلقى في المدارس الحديثة . وقد حاول البعض خلال زيارتي الاخيرة ، اقناعي بأن وزير العدل ــ وهو من الاشخاص المتازين في القانون الحديث ــ وغيره من الوزراء يعرفون من مادة الدين أقل مما يعرفون هم .

ان المغرب قد بدأ تطوره منذ سنة 1956 ، ومن البديهي ان يستدعي هذا التطور ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية من ناحيته الشكلية ، الا ان البادية التي توجد بها جذور الدين عميقة ، فان كل اصلاح فيها يجب ان يكون اصلاحا في الدين نفسه ، غير انه لم يمر بعد الوقت الكافي لاعادة التفكير في الاصلاحات الدينية المستعجلة التي يلزم ادخالها . وكل اجراء يتخذ في هذا السبيل يجب ان يكون تجارب مؤقتة اكثر من اجراءات نهائية . ففيما يتعلق بالاحوال الشخصية ، فان مادة الشريعة هي التي لايزال العمل جاريا بها . اما القانون المدني والجنائي فهما لايزالان فرنسيين ، ومعظم القضاة الذين يحكمون بهذين القانونين هم من المغاربة مع عدد كبير من الفرنسيين والاسبانيين . ولسوف يوقف العمل بالزواج الباكر ، كما ان المرأة ستمنح حق اختيار زوجها ، وسوف لايكون ضروريا ان يكون الاختيار من حق الوالدين . غير أن قانون تعدد الزوجات لم يصدر بعد ، والعمل جار لارجاعه الى اصله الديني حسب نصوص القرءان .

ان الكثير من نساء المدن قد رفعن الحجاب ، وهن يختلطن بالرجال اختلاطا اجتماعيا ، اما في البادية فلا يزال الحجاب معمولا به ، والاختلاط الجنسي غير معروف .

فهل هناك ما يدعو للامل بأن المغرب سيستطيع حل القضايا العديدة التي تواجهه ؟ ان المغاربة رغم احتياجهم الى اتخاذ الكثير من الاساليب الادارية الغربية، قد حققوا خلال عامين من الاستقلال اكثر مما كان اكثر اصدقائهم تفاؤلا يؤملون . وقد اكدت حوادث السنوات القليلة انهم يحسنون اصابة الهدف .

تحية الشعر للدكتور طه حسين

للشاعر الأستاذ : محمد الحلوي

زار الدكتور طه حسين المغرب في أواخر شهر يونيه المنصرم ، بدعوة من وزارة الخارجية المغربية ، ومكث به عشرة أيام القى خلالها عدة محاضرات في كل من الرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس وتطوان .

وقد تشرف الدكتور طه حسين بمقابلة صاحب الجلالة الملك سيدي محمد الخامس ، الذي تفضل جلالته ، فوشح صدر عميد الادب العربي بوسام الكفاءة الفكرية ، كما كان الدكتور مدة اقامته بالمغرب موضع حفاوة بالغة من الشعب والحكومة معا ، ومن رجال الثقافة والفكر والادب بالمغرب .

واقيمت للدكتور عدة حفلات تكريم في كل مدينة حل بها ، وكان من ذلك ، الحفلة التي اقامها العلماء بفاس ، والتي القى فيها شاعرنا الكبير الاستاذ محمد الحلوي هذه القصيدة الرائعة التي يسرنا أن نقدمها لقراء مجلة دعوة الحق .

وقد أعجب الدكتور طه حسين بالقصيدة اعجابا كبيرا ، وقال عنها : انني لم أسمع مثل هذا الشعر في الشرق العربي ، ولا بعد ان وطئت قدماي أرض المغرب ...

دعوة الحق

حق على الشعر ان يهدي عرائسه ... تحية لعميد الشعر والادب

حق على الشعر ان يهدي قلائده ... لصانع الدر والابداع والعجب

فبين وافدنا والشعر من زمن ... وشائج جمة موصولة النسب

هفا اليك كما يهفو الفراش الى ... خميلة الزهر يروى الشوق عن كثب

هفا الى حضنك الدافي لينعشه ... مثل اليتيم الذي يهفو لحضن أب

وما لغيرك يهفو بعدما رفعت ... له يداك مقاما في ذرى الشهب

يشدو بآياتك الكبرى التي فخرت ... بها النوادي واغلت ثروة العرب

مرحى باكرم ضيف زار اخوته ... فوثق الرحم القدسية السبب

هبطت باليمن ارضا طالما نزعت ... اليك واستانست في الوصل بالكتب

سعى اليك بنوها في مواكبهم ... يكرمون اديب الشرق بالادب

خفوا الى العلم يطوي البحر متجها ... الى بنيه بهذا المغرب العربي

يستروحون بلقيا طال موعدها ... ويسمعون عيانا صوتك الذهبي

لم ينس ابناء هذا الشعب صرختكم ... يوم الجلاد وهم في زحمة الكرب

ارسلتها من ضفاف النيل عالية ... دوى صداها على الآكام والهضب

وخضتها بسلاح الفكر فانتفضت ... ضمائر رزحت في ظلمة الحجب

كانت على الفكر انكى من مدافعهم   وقعا وافتك في الهيجا من القضب

انا ـ بني العرب ـ في الآلام يجمعنا   ماض مجيد وقرآن ودين نبي

ما في بني الشرق شعب لم تنله يد   سفاكة من غزاة الغرب في الحقب

أبناء رابطة لاشيء يفصلنا   فمن بفاس كمن في مصر أو حلب

نوائب جعلت اهدافنا هدفا   وعلمتنا انتزاع النصر بالغلب

لم ننس نخوة مصر يوم بيتها   أعداؤها فانثنوا بالعار والهرب

ارض العروبة كانت كلها هدفا   للمعتدي وقناة الموت واللهب

برغم ما بيتوا للشرق من فتن   وما اذاقوا بنيه الصيد من لغب



الدكتور طه حسين في الحفلة التي أقامتها له (جمعية العلماء) بفاس

ثرنا ـ كمايعهدون العرب ـ أسدثرى   تنقض بالموت في باس وفي غضب

حتى هوت دولة الطغيان وانهزمت   فلولها وأسود الله في الطلب

يا رائد الادب الغالي وباعثه   وقائد الجيل للعالي من الرتب

والعبقري الذي يجلو روائعه   فيسبح الفكر في تيارها اللجب

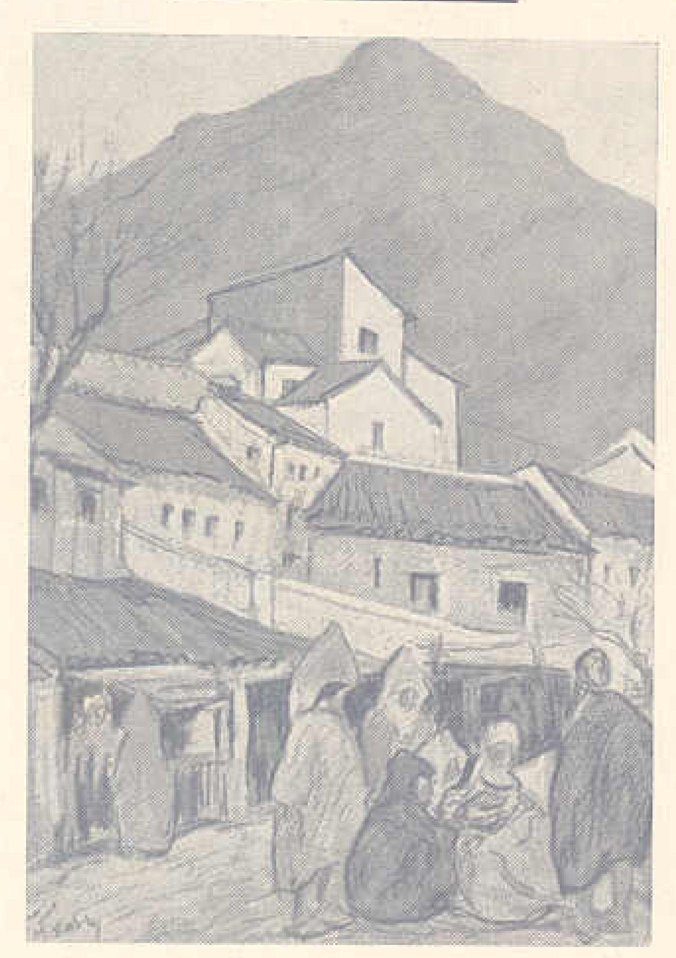
أسديت للضاد ما حلى مفارقها   وزان مبسمها بالدر والشنب

ادنيت منها قطوفا طالما قصرت   عنها الايادي ولولا انت لم تطب

وجلت في رحبات العلم منطلقا   بالعقل لا تشتكي فيها من اللغب

بهمة غار منها الشيب وانقطعت   لها عزائم من يصبو ولم يشب

وفيت للضاد يا اوفـى البنين لهـا   وطبت نفسا بما اسديـت من قـرب
بعثت فيها كعيسـى عنـد رقدتهـا   بمبدعات الحجـى والمنطـق القرب
فاينعت وزكـت جناتهـا وبـدت   حسنـاء ترفـل في أثوابها القشب
وشع فكرك فـي الآفـاق يغمرهـا   نورا وينساب مثل الجدول السرب
لو قيل للعلـم من يغشـى مجاهله   وللمحافـل من صناجة العـرب ؟
لقيل طـه ابوهـا وابـن بجدتهـا   وفـارس الادب النـزاع للقصـب
اثنت عليك القوافـي وهي صادقـة   والشعر فيك يجافي وصمة الكذب
يا طالع السعد في عيـد الفـداء لقد   نزلـت أهلا وسهـلا ممرع الجنـب
وزرت شعبـا عريقـا في حضارته   يزهو ـ كمصر ـ بما قد شاد منقبب
وما ابتنى من مباني العلـم شامخـة   وما اقـام لنور الفكـر مـن نصـب
يزهو بامجاده الكبرى التي شرفت   بها البطولـة مـن أبنائـه النجـب
فقل لمصـر وقـل للعرب ان لهـم   في المغرب الحر مجدا ناطح السحب
واحمل تحيتنـا يا خير مـن بعثت   بـه التحايـا وأوفـى مكـرم وأب
الى العروبـة من شعـب ومن ملك   واسلم لنا ولخيـر الضـاد والادب

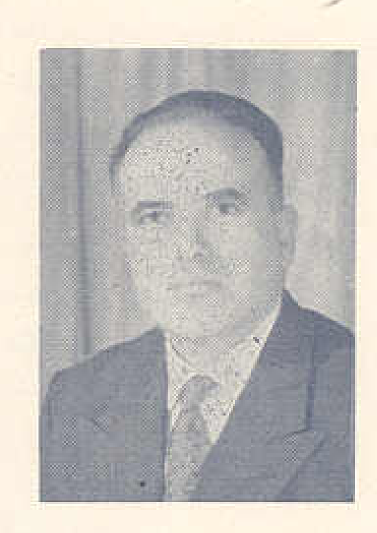


الخضارين ـ شفشاون

معرض محمد صبري
بالربـاط

الصواريخ الروسية ومناهج التعليم بأمريكا

للأستاذ عبد الهادي التازي



كان الكل يعلم ان ظهور الاكتشافات العلمية الروسية ، سوف يغير مجرى الحياة فى مختلف الدول، وخاصة الذين يعنيهم امر الصواريخ ، او على الاصح ، الذين يقصدون بها . ولكن الشيء الذي كان خفيا على جانب من الناس ، هو ان تعزو تلك الاقمار حجرات المدرسة الامريكية ، ولكن هذا ما كان فعلا ، فان الشعب الامريكي « وهو شعب حي نشيط متطور » لم يلبث ان القى بنظرته الى المعامل التي تصنع الرجال فى العالم الآخر : الى المدارس ، فهل توجد فى روسيا مدارس من غير النوع الذي يوجد فى امريكا ؟ وماذا تكون تلك المناهج ؟ أتكون « اشياء » غير التي تقرر عادة فى العالم الجديد ؟ وهكذا اتجه رجال التربية والفكر الى طريقة التعليم الامريكية ، ليحاولوا درسها من جديد على ضوء الاحداث الجارية .

لقد كانت الغاية من الطريقة التعليمية الامريكية كما وصفها احد رجال النقد فى امريكا هي : « **اتاحة الفرصة للتلاميذ ليتكونوا ويستفيدوا الى اقصى حد ممكن ، وبالتالي ليتخرج منهم مواطنون قادرون على اتخاذ قرارات عندما يتبوأون مناصب فى الحكومة** » لكن هل الظروف تساعد على ان يظل رجال التربية فى امريكا قانعين بالوصول الى هذا الهدف ؟ وأي اتجاه يختارون؟ هل الاتجاه الفني الآلي ام الوجهة العلمية التي يطبعها التعمق والتقعر فى البحث ؟ .

يرى فريق من العلماء ان الحاجة ماسة الى آليين تستفيد منهم البلاد فيما يتوقف عليه جهازها ، لكن هل ان الفنيين والآليين هم فقط ما ترتجيه البلاد ؟ ان الوطن يحتاج الى مفكرين وقادة سياسيين جديرين بتسيير دولاب الدولة ، والى ماذا يعزى تأخر أمريكا فى مجاراة الدول الشرقية من حيث الاقمار الصناعية والصواريخ البعيدة المدى ؟ هل ضعف قوة الابتكار فى الطبقة المفكرة ام الى عدم وجود العلماء الفنيين الكافيين؟ ومن كان المسؤول عن هذا العجز ؟

فى الناس من يعتقد ان المسؤولية متوزعة بمقياس متواز على كلا الجانبين ، وفيهم من ينحى باللائمة على تلك « الفئة الآلية » التي « جمدت » دون الوصول الى ما وصل اليه الاقران ، لكن فى الباحثين « وهؤلاء كثير » من يميل الى القاء التبعة على المفكرين باعتبارهم لم يستخدموا مواهبهم التي كان عليهم ان يستغلوها ، فامر « البطء الامريكي » ان صح هذا التعبير ، يرجع الى هذه الطبقة اكثر مما يرجع الى العلماء الفنيين، وعلى هذا كان لزاما على الذين بيدهم زمام الامور ان يفكروا فيما يمكن ان « يعدل » البرامج والمناهج لكن كيف ؟ ان النقاد هناك يحذرون المسؤولين الامريكيين من مغبة التغييرات القاسية التي قد تؤدي الى الكارثة ، وينصح اولائك هؤلاء بان عليهم « **اذا ما كانوا يريدون الابقاء على الحريات السياسية والاقتصادية ، ان يتبصروا عند اتخاذ اي اجراء بالتغيير دون ان يجعلوا نصب أعينهم مصلحة المواطن ، وبالتالي فان الطريقة التعليمية يجب أن تهدف الى ان تجعل من الامريكيين ناسا يقدسون الحرية ويعملون على ازدهارها . .** »

وهكذا نرى ان الذين بيدهم زمام الامور لا يندفعون لاي تيار الا بعد استيعاب واستقصاء للبحث ، فان ما

يصلح لامة ما من الامم ، قد لا يكون صالحا لهذه الامة مثلا ، وهنا تظهر « الموهبة » : موهبة الرجال الذين يزنون الامور موازينها .

* * *

توجد في العالم الجديد جمعية وطنية للتعليم هي **« الجمعية الامريكية للادارة المدرسية »** ، ولهذه الجمعية فروع ، من انشطها الفرع الذي يعني بتوجيه التعليم بامريكا ، وهو الذي يعرف « بهيئة السياسة التعليمية » هذه الهيئة وضعت تقريرا مفصلا في اول هذه السنة (1957 - 1958) عن حالة التعليم في امريكا ، ضمنته التوصيات اللازمة بالاصلاحات التي ترى من المفيد ان تدخل على التعليم .

ولعل اهم نقطة جديرة بلفت النظر ، ذلك البند الذي تصرح فيه الهيئة المذكورة بان **« طريقة التعليم الروسية مناسبة للعالم الشيوعي ، ولا يمكن ان تطبق في امريكا بدون نتائج وخيمة ، ذلك لان الطريقة الروسية تنتج نخبة تنقطع عن الناس وتخلد الى التفكير ، ونخبة ذات مقدرة علمية تسيطر على الراي العام ، وعلى القوة التي تتوفر عليها البلاد »** ولقد جاء في هذا التقرير بالذات **« ان من بين ما ينبغي ان يدخل من التحسينات، التكثير من اعطاء الفرص الممكنة لكل التلاميذ الذين تظهر عليهم مخايل الاقتدار والكفاءة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، بذل الجهد من اجل اختيار اساتذة جديرين بتحمل اعباء التوجيه الصحيح ، بل وتمرينهم والاخذ بيدهم حتى يصبحوا « عن طريق التدريب » مثلا نموذجيا ... ويأتي تحسين الحالة الاجتماعية للاساتذة في صدر ما تعنى به التقارير ، نظرا لكون الاستاذ بمقدار ما كان ينعم باطمئنان البال على حالته ، بقدر ما « تصقل » معلوماته ، ويستفيد منه الآخرون ، هذا الى المناداة بتحسين التعليم في العلوم والرياضيات واللغات ... ويلح التقرير في الاخير على تنفيذ برامج في الحال ، منها ما هو قصير المدى ، ومنها برامج متوسطة المدى ، وفيها ما هو بعيد المدى .**

فالبرنامج القصير المدى يهدف الى تعليم خريجي الجامعات الفنون التقنية ، وذلك من اجل تزويد البلاد بالخبراء الذين يسدون الفراغ .

اما البرنامج المتوسط المدى فيهدف الى العناية بالرجال الذين يقومون بمهمة التدريس ، سواء في المدارس الثانوية او في التعليم العالي وذلك باختيارهم اولا ، وتدريبهم على التعليم ثانيا .

هذا بينما تهدف المناهج البعيدة المدى ، الى ادخال تحسينات على جميع فروع التعليم ، وهذه التحسينات لا يعتمد فيها فقط على ما للحكومة من امكانيات ، ولكن ايضا على الموارد الخاصة التي تفرضها المصلحة على المواطنين انفسهم .

تلك نظرة على المناهج المحتملة للتعليم بامريكا ؛ كان القصد من عرضها هنا على الطبقة المربية ، لفت النظر الى ما يجري في الاوساط المعنية بالتعليم بامريكا التي تماشي الركب ، ولكن من غير ان تندفع، وتستفيد، ولكن بالمقدار الذي لا يسيء الى المبادىء التي اختارتها الدولة ؟ فما راي رجال التربية في بلادنا ؟ وهل حقا لا ينبغي للعلوم الفكرية ان تطغى على الفنون التيكنولوجية؟



للأستاذ عبدالوهاب بن منصور

واخيرا تحرك التمثال بعد طول سكون ، ونطق بعد اتصال صموت ، وانتفض انتفاضة مسحت ما فوق جبهته من غبار ، ودلت على ان فيه بقية من حياة ، بعد ان اعتقد الناس او كادوا يعتقدون ، انه فقد الحياة من زمان . . . وفارقها من غير امل فى مراجعتها .

تحرك التمثال ونطق ، فكانت حركته ونطقه مفاجاة للذين ايسوا منهما ، وكانت فيهما البشرى التي غمرت الوجوه بشرا ، وعمرت النفوس ثقة ، واعادت الامل الى قلوب محبيه والمعجبين به ، الذين كسرهم صمت خرق به عادته، وسكون جاء على غير المأثور عنه، فقد عرفوه متكلما بليغا ، وخطيبا مفوها ، وعهدوا الا يروه صامتا ، والا يروه الا متكلما ، وحدثهم آباؤهم عن اجدادهم انه نطق كالمسيح فى المهد صبيا ، وانه لم يؤثر عنه صموت خلال عمره المديد الذي طال اثنى عشر قرنا ، وقد كانت حجته الحجة البالغة ، وبرهانه البرهان القاطع ، بل كان (حذام) المصدقة ، فلا قول الا قولها ، ولا راي الا رايها ، وكان ابناؤه وحواريوه قادة البلاد واولي الحل والعقد فيها ، لهم الصدارة فى المحافل ، وعليهم المهابة فى المجامع ، وكانت الى جنباته تشد الرحال ، وتؤم الرجال من آفاق بعيدة ، واقطار نائية ، ليملأوا القلوب والعقول بما يستحسن ان تمتليء به من ايمان راسخ تثبت به الاقدام فى المزالق ، وعزيمة تخرق بها الارض ، وتبلغ بطولها الجبال ، وحماس يخلق من العدم وجودا ، وعلم يمكن للحضارة فى الارض، وحكمة تهدي البشرية الى سواء السبيل .

كذلك كان التمثال فى سنيه الخوالي ، وقرونه السوالف ، وكذلك كان ابناؤه . وحواريوه ، وكان البلد به وبهم بلدا ممتازا ، ممتازا بهذه الحرية التي جعلت عود ابنائه لا يلين لعاجم ، ونفوسهم لا تذل لهاجم ، ممتازا بهذه الصراحة التي يعد الممتحن عليها ظافرا بالشهادة ، آئلا الى نعيم الجنة . وممتازا بهذه المحافظة الدقيقة على القواعد التي تحفظ الكيان ، وتمتن البنيان، وتحمي صرح الوطن من التصدع والانهيار .

فالسكون الذي خيم على التمثال فى السنين الاخيرة كان حريا ان يثير الدهشة ، ويبعث على الاستغراب ، والصموت الذي ركن اليه ابناؤه وحواريوه كان خليقا ان يحمل الناس على التساؤل والاستفهام ، فقد صار التمثال وصاروا هم مع التمثال نكرات لا يقام لها وزن ، ولا يسمع لها قول ولا يطاع لها راي ، بعد ان كان له ولهم الوزن المقام ، والقول المسموع والراي المطاع وصار التمثال وصاروا هم معه على هامش الحياة الوطنية ، لا يضربون فيها بسهم ، ولا يدلون فيها بدلو، واصبح التمثال واصبحوا هم معه اثرا من آثار العصور الخالية ، يتندر به وبهم ، ويسخر من قيمه وقيمهم ، ويرتاح بمشاهدته ومشاهدتهم كما يرتاح صنف من الناس بمشاهدة الملابس الاقليمية ، وسماع الاغاني الفولكلورية .

فما الذي احال حال التمثال ؟ واحال حال ابنائه وحوارييه ؟ وما الذي بدل الارض غير الارض والسماء ؟ وما الذي غير فهم الناس للقيم وقلب نظرتهم الى الاشياء ؟ حتى كفروا بما ءامن به آباؤهم الاقدمون ، وظلوا هم يؤمنون به الى الامس القريب ؟ وحتى تنكروا لما كانت انظارهم متطلعة اليه ، وقلوبهم معلقة به ؟ واخذوا يستهزئون بما كانوا يفخرون ، وله يمجدون ؟

ايكون البلى دب حقيقة الى جسم التمثال والى اجسام ماله من ابناء وحواريين ، وفعل فيها فعلته حتى اصبح نقضها واجبا لانها اصبحت تستعصي على العلاج ولا تقبل الاصلاح ؟

ام تكون القيم اصبحت ذات مفاهيم جديدة بينما بقي التمثال مستمسكا بالمفاهيم القديمة لا يبرحها ولا يريم عنها ، فنبذه الناس وتركوه وراءهم ظهريا ، لانهم يستحبون الكذب والنفاق والاباحية ، على ما يستحب هو ويدعو اليه من صدق واخلاص واستقامة .

ام تكون روح التسامح سادت اهل العصر حقيقة، وانارت سرائرهم بمشاعلها التي تفيض محبة واخاء، فاصبحوا لا يأبهون بمقومات الاوطان والشعوب من دين ولغة، وثقافة وحضارة، بينما ظل التمثال في ظلمات القرون الوسطى متعصبا لما كان يتعصب له اهلها من مقومات اوطان وشعائر اديان ؟ فجنى عليه هذا التعصب وصار به كما مهملا، ونسيا منسيا.

ام تكون عثرات بعض ابناء التمثال وحوارييه كونت في كلهم مركب نقص عقد السنتهم عن الكلام، وحبس ركبهم عن القيام، وردهم الى مؤخر القافلة فصاروا يزحفون زحفا والناس في مقدمتها يجرون ويهرولون ؟

الحقيقة ان سر سكونه وصموته لعجيب.

فالبلى لم يدب الى جسمه دبيبا يجعل معالجته امرا مستحيلا، وانما دب فيها بالقدر الذي دب الى التماثيل والمرافق الاخرى، تلك التي لم تستعص على تجديد، ولم تمتنع على اصلاح، يوم تناولتها الايدي المخلصة بالتجديد والاصلاح.

والمفاهيم الخلقية لم تتطور مع الزمان تطورا يجعلها والمفاهيم القديمة على طرفي نقيض، وانما تطورت تطورا حل فيه الواقع المحسوس محل الغيب المحجوب، وعززت فيه آية التصوير الديني للسلوك، بآية التصوير العلمي له، وظلت الاخلاق القديمة مع ذلك النجعة التي تهفو الى بلوغها قلوب الرائدين، والمرقاة التي تفضي اليها مدارج السالكين.

والتسامح الذي ساد اهل هذا القرن العشرين، لم يستاصل من نفوسهم - افرادا وجماعات - جذور الاعتزاز بالمقومات التي ينبني عليها كيان الشعوب والاوطان، فاننا نرى اعرق الشعوب حضارة، واشدها تشدقا بالتسامح والاخاء تربي ابناءها على الاعتزاز بتلك المقومات، وتحببها الى نفوسهم الفتية القابلة لكل الطباع، كما نراها تقبض بالايدي، وتعض بالنواجد على عقائدها التي تطمئن بها النفوس، ولغاتها التي تعرب عن القلب والعقل، وثقافاتها التي بها قوام مجتمعاتها، واننا نراها لا تكتفي بتمجيد ذلك بين ابنائها، والتنويه به داخل حدودها، بل تعمل جاهدة لتمجيدها بين ابناء غيرها، والاشادة بها في غبر اوطانها، وتنفق على ذلك الاموال الطائلة. ونرى ابناء هذه الامة المتحضرة المتسامحة يضربون في الارض ويمشون في مناكبها لهذه الغاية، لاتثنيهم حرارة المناطق الاستوائية ولا برودة الجهات القطبية عن هذا العمل الذي يرونه واجبا مقدسا، وخدمة لمثلهم الاعلى، ويجدون من اللذة في ذلك، والارتياح به، ما يجده الصوفي يتلو ورده في خلوة، او الراهب يفرغ لعبادة ربه في صومعة او محراب.

فان كانت بعض العثرات هي التي كونت فيهم مركب النقص، وهي التي اخلدت بهم الى الارض، فاراهم قد حملوا انفسهم شططا، وارهقوها من امرها عسرا، فما كان للعثرات ان تسكنهم بعدما الفوا الكلام، وما كان لها ان تخلق في انفسهم مركبات نقص، بعد الذي قراوا من القرءان ودرسوا من السير والتاريخ، وتفهموا من التصوف القديم وعلم النفس الحديث:

(من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها) كلمة خالدة قالها السيد المسيح لاغرار من بني اسرائيل حاولوا رجم امراة زانية، فعادوا الى رشدهم وكفوا عن ايذاء المراة لانهم وجدوا انفسهم جميعا مخطئين.

و (لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله) كلمة اخرى خالدة انفرجت عنها شفتا النبي العربي الكريم حينما راى صحابته سكيرا يساق اليه فاخذوا يلعنونه، ومن الذي خلق من البشر معصوما من الاخطاء ؟ ومن الذي ولد منهم ومات من غير ان تزل به قدمه زلة صغرى او كبرى ؟ واي عظيم او حقير من هذا الجنس لم يسجل عليه التاريخ خطيئة او اثما، ان ابانا الاكبر عصى يوما وغوى، ثم تاب الله عليه وهدى، فالاخطاء التي قد يكون بعض ابناء التمثال وحوارييه وقعوا فيها، وبعض المواقف السيئة التي وقفتها طائفة منهم مختارة او مكرهة، ليس لها ان تحول بينهم وبين اصلاح الاخطاء واتيان اعمال حسنة يذهبن السيآت، وليس لها ان تجبرهم على الصمت وتحملهم على السكون حتى يصبحوا لايقام لهم اعتبار عندما تدرس مسائل هم بها الصق من غيرهم، واكثرهم لها فهما بالتمرس وطول المران.

فكيف استساغ ابناء التمثال وحواريوه ان يسكتوا عن هذه الاخطار التي تهدد الكيان المغربي في دينه، وفي لغته، وفي تاريخه وحضارته ؟ وهم الذين رفعوا العقيرة ضد الطغاة الاستعماريين يوم نصبوا حبالاتهم للايقاع بالاسلام والعربية والحضارة والتاريخ المغربيين.

وكيف رضوا أن يقعدوا مع القواعد ، ولايشمروا عن سواعدهم لصد هذه الموجة الجارفة من الاباحية التي غمرت المجتمع المغربي بعد انطلاقه من قيوده ؟ الم ينسفوا بنيان الاستعمار من القواعد ؟ او ليسوا هم الذين جعلوا من حرمهم وما حوله من معاهد ومدارس ابراجا وحصونا تكسرت عليها نصال الاستعمار دون ان تنال منها اي منال ؟ فلم الصموت اذن وعلام الخمود ؟ ومن ورائهم شعب مسلم عربي لن يتنكر يوما لعروبته واسلامه ، وان تاهت شرذمة من ابنائه في بيداء ضلال ، وخدع اعينها سراب بهتان يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . ولم الصموت وعلام الخمود ؟ وفوق ايديهم يد ملك حر كريم شديد الاعتزاز بدينه ، والاستمساك بقوميته كثير التفكير في تجديد شبابهما ، واعادتهما الى سابق عهدهما العزيز بهذه الديار .

وأما بعد : فان المحاولات التي حاولها رجال القرويين في هذا الصيف ، والمساعي الحميدة التي سعوها بالرباط مسحت ما على جبين التمثال من غبار ودلت على ان فيه بقية من حياة ، وعسى ان تكون قطرا يتبعه غيث ..



مفاتن تطوان جبلن لنا الذكرى ... ذكرنا بها فاسا وفتنتها الكبرى

مفاتن ضاع القلب والعقل بينها ... اذا قلت هذي فتنة طلعت اخرى

مواكب للغيد الحسان تدافعت ... بكل سبيل تلهم المفحم الشعرا

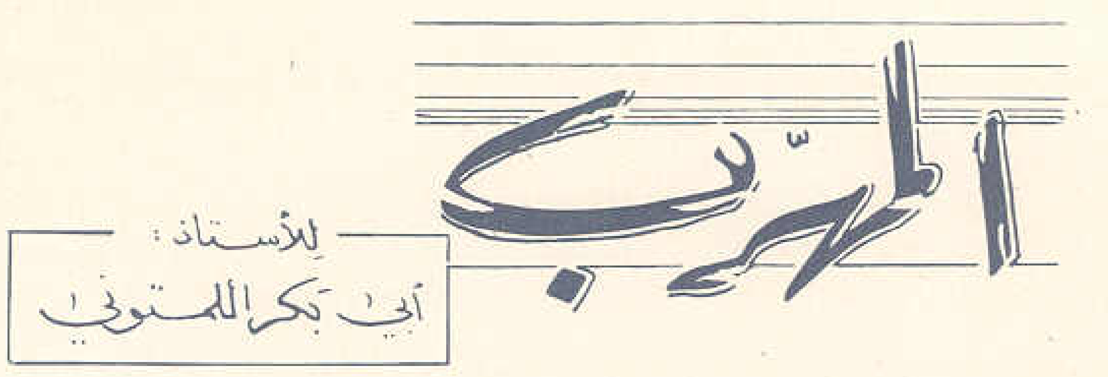
كفرت بسحر الناس حتى رايتها ... فآمنت ان الله علمها السحرا

وأغمضت جفني خشية من جفونها ... فابصرتها في باطني تشغل الفكرا

فان تك فاس في المحاسن باقة ... فتطوان قد ضمت الى الباقة العطرا

ذهبنا على ان المقام ثلاثة ... فطاب لنا حتى اقمنا بها عشرا

قصة مغربية



المهرب

للأستاذ : أبي بكر المستوني

قالت نفيسة لزوجها العياشي :

«ان شيئا لم يعد ينقصنا حتى تشقى لاجل المزيد من المال . ان القرية كلها تحسدنا على دارنا التي تفوق حتى ديار المدينة بما تزخر به من أثاث ورياش ... أما المزارع فما احسبك تستطيع ان تحافظ عليها لو انك استزدت منها . افلا يغنيك كل هذا يا عياشي عن الاستمرار في تعريض حياتك وصحتك وحريتك ومالك جميعا للخطر ؟»

أجاب العياشي وهو يحدق في الظلام من خلال زجاج النافذة :

«انك لن تبلغي بكلامك هذا من أكثر من أن تثيري مخاوف امي»

ــ «وأنا ..؟ اليس لمشاعري عندك قيمة ؟»

ــ «اوه ! كأنك لاتعرفين أنها عجوز واهية قد يكفي القلق لقتلها»

وتعالى نباح الكلاب في فناء البيت ، فاستدار العياشي نحو امرأته مستفهما ، بينما قفزت هي الى كيس نقوده الذي كان ملقى على احدى الحشايا ، فتناولت منه نقودا خرجت بها مسرعة ، ثم عادت بورقة ملفوفة في خرقة بيضاء القتها في الكيس .

سأل العياشي مستغربا :

« ما ذاك ؟»

اجابت نفيسة بلهجة المدل الممتن :

«حجاب ... كلفت الفقيه بكتابته حين جاء في العشاء لاخذ (المعروف) ، وقد أنجزه وجاء به» .

وادهشها ان زوجها ــ ولم تكن تنظر اليه ــ لم يفصح عن رايه في تصرفها ، ثم لم تملك ازاء صمته الذي طال الا ان ترفع عينيها اليه ، فوجدته ينظر اليها في رقة لم تعهدها فيه ، فخجلت وغضت بصرها وهي تتمتم :

«لكم اخاف عليك يا عياشي !»

ــ «يسرني هذا يا نفيسة ... ولكن لا داعي للخوف . انك تعرفين أنني لا امد رجلي حتى اقدر لها موضعها»

ــ «ولكنك قد تزلق مرة»

ــ «نفيسة ..! ان كلاما القي اليك ... والا فما هذا الفزع البالغ الذي توشكين أن تعديني به ... قولي لي ... ما الذي يفزعك ؟»

ــ «لا شيء يا عياشي ... لا شيء ... الا ان الحوادث كثرت في هذه الايام ... لقد سجن قاسم كما تعلم وصودرت بضاعته ... ويقال ان ثروته كلها لن تكفي لاداء الغرامة ... وولد عائشة معتقل هو الآخر على ذمة التحقيق ... ولا اخاله ينتظر مصيرا اسعد من مصير صاحبه ... والعواد القى بضاعته الى الوادي وتبرا منها ، ولكن السلطة مجدة في متابعته ... ويخيل الي يا عياشي انك لست غير احد هؤلاء ...»

ــ «بل انني غيرهم على التحقيق. انهم يعتمدون على الحظ ، اما انا فأعتمد على هذا ...»

واشار الى كيس نقوده في رعونة ، انكرها هو نفسه ، فاستخذى وتقدم منلطفا نحو زوجته ، وكانت جالسة على حافة الحشية ، فجلس بجانبها ، وطوقها بيسراه ، بينما جذب بيمناه ذقنها اليه ، وقال بصوت يقرب أن يكون همسا :

«اسمعي يا نفيسة ، اننا مثلا نخشى الذئب على غنمنا ... ولكننا لو قدرنا أن للذئب عقلا واننا هادناه على ان يأخذ كفايته من الغنم ، فهل يعود هناك ما نخشاه منه ؟.. لا طبعا ... واذن فان لي أن اطمئن الى ذئبي العاقل (القائد حمو) ... انه رجل ... لقد بلوته تسع سنين لم ار منه فيها بادرة غدر»

ــ «الا أخيرا ؟»

واجفل العياشي ، وتراجع الى الوراء من غير ان يحول نظره عن عيني زوجته ، ثم اقبل عليها ثانية وقال ــ وهو يحاول أن يجعل لهجته طبيعية ــ :

«نفيسة ... انك سمعت شيئا تكتمينه عني ... قولي لي .. انك ان أصررت على الكتمان اغضبتني»

ــ «أنا احق منك بالغضب يا عياشي ، لانك انت الذي كتمت عني انا زوجتك شيئا يتحدث به عنك جميع الناس في القرية ... انهم يقولون ان (القايد حمو) طردك بالامس من داره ، ويقولون ايضا انه يتهددك في احاديثه .. لانه .. اوه !.. انني لا اصدقهم .. اليسوا يكذبون يا عياشي ؟»

ــ «نعم ، انهم في الحقيقة يكذبون»

ــ «ولكن ... لماذا ذهبت الى هناك ؟»

ــ «لانه كان علي أن اراه ... امر ضروري قبل كل رحلة ... اتصل به لنتفق على الزمان والمكان.. ولكنني لم اجده بالامس في الدار ، فارادتني زوجته ان انتظره في حجرته ، فلما عاد نعى علي ان ادخل بيته في غيبته ... وقد آلمني كلامه ، فلم اتردد أن ذكرته انه ليس الا صنيعتي وانه لولاي لم يكن له بيت ...»

ــ «وهل لازلت ، مع هذا ، مطمئنا اليه ؟!»

ــ «كيف ؟... اننا ما لبثنا ان تصالحنا واتفقنا على الوقت والطريق كأن لم يكن هناك شيء»

ــ «ولماذا لاتعدل عن السفر ؟.. انه قد يشي بك يا عياشي لانك جرحته ..»

فاطرق العياشي طويلا ثم رفع راسه وقال : «انه لايستطيع ان يشي بي يانفيسة ، لان مصيره ومصير آخرين مرتبط بمصيري .. ولكنني ــ مع ذلك ــ اعدك ان لن ارحل في هذا الامر بعد اليوم ، ولولا البضاعة التي سبق ان شريتها لما رحلت حتى اليوم ... ثم لاتنسي ــ وربت على خد نفيسة باسما ــ الاساور التي أوصيت لك بصنعها . انها تنتظر عند الصائغ»

ووقف العياشي ، فسوى ثيابه ، ولف عمامته بعد ان ضمخها بماء الزهر ، ثم علق عليه كيسه ، وارتدى جلبابه المنسوج من وبر الابل ، وواجه المرآة وهو يسأل زوجته :

«ماذا تحتاجون من المدينة ؟»

فاجابت زوجته وهي منحنية على الحشية تسويها :

«شيئا من الزبيب فقط ، لان الفقيه يرى ان يتناول المختار زبيبا في الصباح حتى يحفظ لوحه كما يجب»

وانسل العياشي من البيت حتى لايوقظ أمه وولديه . وفي آخر الدرب الذي سلكه نحو الفضاء الفسيح تعثر في بقرة نائمة ، فهم ان يزجرها ، ولكن نفسه حدثته بأن البقرة يجب الا تزعج فى مرقدها .

واحس العياشي بموجة من الحنان تغمر كيانه وبحاجة ملحة الى الامن والسلام ، فالتفت متحسرا الى بيته الذي كان النور لايزال يلوح من احد نوافذه ، ثم استأنف السير فى الظلام .

ومر بالجامع ، فذكر بحسرة انه لن يلبث بعد ساعات معدودات ان يفتح ابوابه للمصلين ثم للمنتدين بعد ذلك ، وتصور السعادة التي تغمر الاصدقاء حين يدورون بالصينية في انس وغبطة ويتساقون مع كئوس الشاي الطف الاحاديث واطراف الاخبار . وجمح الخيال بالعياشي فراى رأي العين صبحا سعيدا ينبلج وراى صبية يسعون الى الكتاب فى خفة وبراءة وراى بنات يملان الجرار من العين وينصرفن بها حييات رشيقات ، وراى الحقول تلوح بأمواجها الذهبية في فتنة واغراء وسمع الارحية تنوح بين شقشقة الطيور وحفيف الغصون ...

لماذا ..؟ لماذا حرم نفسه من هذا النعيم وقذف بها في جحيم المغامرات ..؟

نعم لقد اتاحت له الثروة التي جمعها من التهريب كثيرا من الجاه والوجاهة بين مواطني القرية ، ولكنها حرمته مما يتمتع به هؤلاء المواطنون من السعادة والهناء .. ثم هو بعد ذلك غير قرير بما كسب ولا آمن على ما يكسب . يكسب كثيرا ولكنه يدفع ايضا كثيرا .. يدفع كثيرا من صحته تحت وطأة هذا القلق الذي اقض مضجعه وارصد له في كل طريق جيشا من الاشباح ... ويدفع كثيرا من ماله لهؤلاء السماسرة الذين لايفتئون يلوحون له بالغدر كلما رفع راسه او التقط نفسه ..

وحمد العياشي لنفسه ذلك الوعد الذي قطعه لزوجته بالكف عن مغامراته المهولة ... فما عاد في قلبه متسع لما تتطلبه من الجسارة وما تسوقه من الشقاوة ...

انه صدق زوجته في كل ما حدثها به .. شيء واحد اضطر ان يخفيه عنها ... وما كان يملك غير ذلك ... لقد زعم لها ان القائد حمو ظلمه حين وجده في بيته فشك في حسن نيته ... وما ظلمه الرجل علم الله ... فما دخل هو بيته ليلتئذ الا منجذبا نحو امراته الرائعة ... انه يذكر جيدا اللحظة التي علق فيها تلك المراة .. كان هو بجانب زوجها يسامره في نفس الحجرة التي اخرج منها بعد ذلك ... وكان الليل باردا موحشا ، ولكن الغرفة كانت دافئة مؤنسة ... وامتد بالصينية من باب الغرفة ساعدان لم ير انصع بياضا ولا اشهى بضاضة منهما ... ولم يحتج الى اكثر من رؤية الساعدين ليحب صاحبتهما ... ثم هو لم يجد غضاضة في هذا الحب ولا اشفق مما يعترضه من صعاب ...

حقا لقد تغيرت اخلاقه ولم يعد يمت بصلة لقريته الطيبة واهله الخيرين ... ولكن الله يقبل التوبة من عباده ، وهو قد تاب عن هذا الحب الدنس وعن هذه المهنة الكريهة ايضا ... انه يرحل لآخر مرة ، وسيعود ــ حين يعود ــ سيرته الاولى ، فيتعهد اسرته ، ويشرف على مزارعه ، ويضطرب فيما يضطرب فيه اهل القرية من جد ولهو وشغل وفراغ..

واستفاق من تفكيره على جلبة البغال التي كان رجاله ينتظرونه بها .

وفارقه الشعور بالخفة والحرية حين بدا يسوق البغال ، واحس كأن شياطين الظلام كلها تضحك من امله في العودة الى حياة الطمانينة والسلام .

وبدا العياشي يجاهد لكي يعيد الامن الى روحه، فاستشعر ان القايد حمو لايستطيع ان يشي به ، لانه انما سيشي حينئذ بنفسه ، فما يستطيع أن يدفع الادلة التي يحتفظ بها هو ضده من قبيل الاحتياط .

وكان العياشي حين بلغ هذا الطور من الصراع مع نفسه قد بلغ بالبغال نقطة الحراسة التي عهد بها في هذه الليلة الى صاحبه القايد حمو ، فما عليه ــ اذن ــ الا ان يهتف بكلمة السر ، فاذا سمع جوابها عرف أن كل شيء على ما يرام .

وهتف بكلمة السر وسمع جوابها ... ومع ان الصوت كان معهودا لديه ، فقد خيل اليه أن فيه اختلاجا غير معهود .

ولكن العياشي زجر نفسه عن تخاذلها ... وفسح الطريق للبغال ثم انحدر الى الخندق وراءها .

وحين صعد من الخندق الى السهل الممتد ، كان قد اصبح في «المنطقة الاخرى» وكان معنى ذلك ان العملية تمت في سلام .

ولكن احلام العياشي في الامن والسلام لم تمتد كما امتد السهل امامه ، فقد فاجاه من ورائه وابل من الرصاص لم يترك له متسعا للاحلام ...

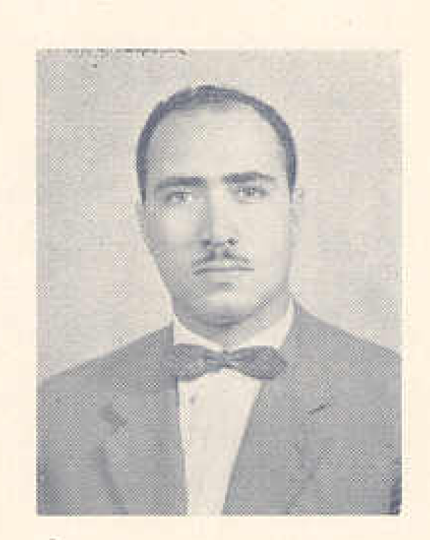
وطلعت الشمس في القرية التافهة على شيئين جديدين :

وجه ميت يحلم بالسلام

وخبر يقول ان العياشي ضرب بالرصاص لانه استوقف فلم يقف ...

القضاء الاداري في المغرب

للاستاذ محمد التوزاني



عاد الى المغرب اخيرا الاستاذ السيد محمد التوزاني بعد ان اتم دراسته في كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وبعد ان حصل على شهادة الليسانس في الحقوق وعلى دبلوم في القانون الخاص ، ودبلوم في القانون العام .

وقد سجل الاستاذ التوزاني قبل عودته الى المغرب موضوع اطروحته للدكتوراه .

والمجلة ، اذ تهنىء الاستاذ التوزاني بسلامة العودة الى بلاده ، ترجو له مقاما طيبا ، كما ترجو له ان يجد الجو المساعد على اتمام رسالته لنيل الدكتوراه .

ولعل الاستاذ التوزاني لن يبخل على المجلة بمقالاته وابحاثه ، خصوصا فيما يتعلق بالاوضاع القانونية في المغرب .

دعوة الحق

لقد كنا نود ان نكتب في موضوع القضاء الاداري كتابة موضوعية ، تتناول بالدراسة جانبا من جوانبه ، او تستقصي خاصية من خواصه ، ولكن ظروف هذا القضاء في المغرب لا تتيح فرصة البحث في مسالة محددة بالذات بحثا فقهيا تحليليا ، لذلك آثرنا ان نتناول موضوع القضاء الاداري بطريقة عامة مجملة تبرز فيها الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها النظام ، والاعتبارات التي يستند اليها ، كل ذلك كمقدمة لمناقشة النظام الذى اخذ به المشرع المغربي ، ومقارنته بغيره من الانظمة الاخرى .

ونقصد بالقضاء الاداري ذلك القضاء المتخصص في نظر المنازعات القضائية التي تكون الادارة طرفا فيها باعتبارها سلطة عامة تتمتع بما تضفيه عليها هذه السلطة من مزايا خاصة ، او بعبارة اخرى هو ذلك القضاء المنوط به رقابة مشروعية اعمال الادارة وسلامة تصرفاتها من الناحية القانونية ، حين تتصرف كشخص عام ذي سلطة عامة وبارادة منفردة .

فالادارة — باعتبارها شخصا معنويا — قد تظهر امام القضاء باحد مظهرين مختلفين تمام الاختلاف ؛ فهي اما ان تظهر كشخص عام ، ذي سلطة عامة ، تتمثل فيه سائر المزايا والاعتبارات التي تنطوي عليها فكرة السلطة العامة ، وعندئذ تكون في مركز قانوني لا يعرفه القانون الخاص ، واما ان تظهر كشخص خاص ، يبيع ويشتري ويتعاقد كما يفعل الافراد ، وطبقا لاحكام القانون الخاص ، ولقاعدة « العقد شريعة المتعاقدين » وفي هذه الحالة تخضع لاحكام القانون الخاص كسائر الافراد ، وتخاصم امام القضاء العادي .

وقد لعبت فكرة السلطة العامة التي تتلبس بها الادارة دورا هاما في تحديد مركزها امام القضاء وامام القانون ، اذ ذهب انصار القضاء الاداري الى ان الادارة، باعتبارها ممثلة للسلطة العامة ، لا ينبغي ان تساق الى ساحة القضاء العادي متهمة ، كما يساق الافراد ، ودون اي اعتبار لمركزها الادبي وانه اذا كان لابد من مثولها امام القضاء ، فينبغي ان يكون القضاء الذي تمثل امامه مغايرا للقضاء الذي يتردد عليه عامة الناس بمعنى ان يكون قضاء خاصا بالادارة ، يستقل بنظر القضايا والمنازعات التي تكون الادارة طرفا فيها باعتبارها سلطة عامة ، وقد نشات هذه النظرية في فرنسا عقب الثورة ، ثم تطورت مع الزمن حتى استحالت الى حقيقة عملية ، هي مجلس

الدولة الفرنسي الذي اصبح فيما بعد محور نظام قضائي كامل ، هو القضاء الاداري الفرنسي .

وفي ظل نظام القضاء الاداري حققت الادارة كل ما كانت ترنو اليه من امتيازات واهمها تلك المجموعة من الاحكام والمبادىء التي استنتها مجلس الدولة ، لتنظيم علاقات الادارة بالافراد على اساس مغاير للاساس الذي تقوم عليه الاحكام والقواعد التي تنظم علاقات الافراد فيما بينهم ضمن دائرة القانون الخاص ، استنادا الى ان الادارة تعمل للمصلحة العامة بينما يعمل الافراد للمصلحة الخاصة ، الامر الذي يستوجب تقديم مصلحة الادارة على مصلحة الافراد عند قيام التعارض بينهما .

ولكن القضاء الاداري الذي اسبغ على الادارة ما اسبغ عليها من امتيازات ، حتى عدل في مركزها القانون امام الافراد ، لم يتوان لحظة واحدة عن رقابته الشديدة على اعمال الادارة نظير تلك الامتيازات التي اعترف لها بها ، حتى اصبحت معظم قرارات الادارة خاضعة خضوعا تاما لرقابته الشديدة ، التي لا تعرف اللين او التسامح ، فاي قرار تصدره مجافيا لاحكام القانون او المبادىء المقررة يستوجب الالغاء السريع والتعويض العادل لكل من اصابه ضرر بسببه ، وقد استطاع القضاء الاداري — بحكم قرابته من الادارة وتخصصه في قضاياها — ان يلم الماما دقيقا بمختلف الانظمة الادارية ، وبطريقة سير الجهاز الاداري باكمله ، فاصبح يرسم للادارة الطريق الذي يجب ان تسير عليه ، والقواعد التي ينبغي ان تتبعها في سيرها .

والحقيقة ان نظام القضاء الاداري ، هو وليد البيئة والعقلية الفرنسية ، وهو الى جانب انه يستند الى مبررات منطقية مقبولة ، تقتضيها طبائع الاشياء في المنازعات بين الادارة والافراد امام القضاء ، يستند ايضا الى ظروف ومبررات تاريخية خاصة بالبيئة الفرنسية التي ولد فيها وترعرع ، لا مجال لتفصيلها في هذا البحث .

على انه بالرغم من الاصل الفرنسي لهذا النظام ، فقد تأقلم في كثير من البلاد التي نقل اليها ، وبرهن على صلاحية ذاتية للبقاء والحياة ، وتعتبر مصر مثلا من اهم البلاد التي تأقلم فيها هذا النظام وازدهر حتى غدا ركنا هاما من اركان العدالة بها ، لايمكن الاستغناء عنه ، بل انه استطاع في المدة القصيرة التي سلخها من حياته، ان يقر احكاما ومبادىء ذات شأن كبير .

ولكن القضاء الاداري بالرغم مما سبق ، ليس هو النظام الاوحد الذي لا بديل عنه في العالم ، ففي مواجهته يقوم نظام آخر له شأنه الهام ، وهو النظام الانجلوسكسوني ، المأخوذ به في بلاد كثيرة ، كانجلترا ، وامريكا ، وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلندا ، وجنوب افريقيا وغيرها ، وهذا النظام لا يعرف الامتيازات العديدة ، التي تتمتع بها الادارة في ظل نظام القضاء الاداري ، ولا يستسيغ ان تختص الادارة بنظام قضائي مستقل عن قضاء الافراد ، ولا ان تخضع لاحكام وقواعد خاصة تجعل منها كائنا ممتازا في مواجهة الافراد ، فالادارة في النظام الانجلوسكسوني تقاضى امام القضاء العادي ، وتخضع لنفس احكام القانون العام الذي يخضع له الافراد كقاعدة عامة .

* *
*

والآن ، وبعد هذا العرض الوجيز لنظامي القضاء الاداري ، والقضاء الانجلوسكسوني يهمنا ان نعرف باي نظام اخذ المشرع المغربي ، وهل اخذ باحد النظامين السابقين ، ام ابتدع جديدا في ميدان التنظيم القضائي ؟

لا شك ان المغرب في عهد الحماية لم يعرف نظام القضاء الاداري مطلقا ، فقد كانت الادارة في علاقاتها بالمواطنين المغاربة لا تخضع لاي قضاء ، ولا تلتزم بأي قانون كقاعدة عامة ، اما في علاقاتها بالاجانب فكانت المحاكم المؤسسة بظهير سنة 1912 مختصة بالنظر في المنازعات الادارية التي ترفع اليها ، وكانت تملك الحكم بالتعويض عن الاضرار ، التي تسببها الادارة للافراد بسبب قراراتها او اعمالها غير المشروعة ، ولكن هذه المحاكم لم تكن محاكم ادارية وانما محاكم عادية .

ولما استقل المغرب ، واصبحت يد المشرع المغربي طليقة من كل قيد ، استحدث جديدا في ميدان التنظيم القضائي ، وانشأ جهازا كاملا للقضاء وضع على راسه محكمة عليا للنقض والابرام ، واعترف — لاول مرة — للقضاء بحق الغاء قرارات الادارة غير المشروعة وجعل من المحكمة العليا رقيبا على تصرفات الادارة ، بعد ان انشأ بها غرفة خاصة بنظر الطعون في القرارات الادارية ، فتحقق بذلك للقضاء ما كان يصبو اليه من نفوذ واسع وسلطان كبير ، لحماية حقوق الافراد وحرياتهم .

غير ان الطريقة التي فرض بها المشرع رقابة القضاء لمشروعية اعمال الادارة ، لا تخلو — مع ذلك — من عيوب وغموض ، فهو قد اناط هذه الرقابة بالمحكمة

العليا وحدها ، ورفض ان يعترف بها لغيرها من المحاكم الادنى منها درجة ، فجعل بذلك من المحكمة العليا ، مزيجا من محكمة النقض ومحكمة القضاء الاداري ، الامر الذي اثار الشكوك والالتباس حول طبيعة النظام الذي قصد الاخذ به ، كما سنرى من الملاحظات الآتية :

1) ولعل اول ما يلاحظ بهذا الصدد ان اختصاص المحكمة العليا بالقضايا الادارية ابتدائي وانتهائي معا ، بمعنى انها محكمة اول وآخر درجة ، فهي محكمة اول درجة ، لان الطعن في القرار الاداري ، يطرح امامها لتحكم فيه ابتداء ، وهذا مفهوم من الفصلين (الاول) و (الرابع عشر) من ظهير 27 سبتمبر 1957 : وهي كذلك محكمة آخر درجة لان حكمها نهائي لا معقب عليه : وفي هذا ، تبدو محكمة النقض كما لو كانت محكمة ادارية لا تقبل احكامها التعقيب ، والفرق واضح بين اختصاصها في المسائل الادارية ، وبين اختصاصها في المسائل المدنية والجنائية والشرعية ، اذ في الحالة الاخيرة لا تتدخل المحكمة ابتداء ، وانما ترفع اليها **احكام** المحاكم الادنى درجة لتقول فيها القول الفصل .

2) والملاحظة الثانية : ان المحكمة العليا حين تتصدى لنظر الطعون في القرارات الادارية المرفوعة اليها ، تفعل ذلك ، كما لو كانت محكمة الوقائع والقانون معا ، اذ يتعين عليها وهي تبحث في مشروعية القرار الاداري المطعون فيه ، ان تتحرى عن الاسباب والبواعث التي حدت بالادارة الى اصدار القرار ، وعن الظروف والملابسات التي تمخضت عنه لتتأكد مما اذا كان كل ذلك قد تم وفقا للقانون او خلافا له ، ومعنى ذلك ، ان رقابتها لمشروعية القرار الاداري ، رقابة كاملة تنسحب على القانون والواقع معا ، على عكس رقابتها لاحكام المحاكم ، التي تتناول الناحية القانونية وحدها دون ان تتطرق الى الوقائع كقاعدة عامة .

3) والملاحظة الثالثة : ان ظهير 27 سبتمبر 1957 نص في الفصل الاول على اختصاص المحكمة العليا بالنظر في طلبات الغاء القرارات الصادرة من السلطات الادارية بدعوى الشطط في استعمال السلطة ، وهذا النص ينطوي على قاعدتين هامتين :

ا ـ اختصاص المحكمة برقابة جميع القرارات الادارية ، اذ ذكر الظهير (المقررات التي تصدرها السلطات الادارية) في عبارة عامة مجملة تحمل معنى الاطلاق ، فاي قرار تصدره السلطات الادارية ـ بحسب هذا النص ـ يكون من حق المحكمة العليا الفصل في مشروعيته متى طعن فيه امامها ، سواء كان القرار فرديا او تنظيميا ، وايا كانت صفة المتظلم منه ، موظفا او غير موظف ، تربطه بالادارة علاقة او لا تربطه بها اية علاقة ، ما دامت له مصلحة شخصية ومباشرة في طلب الغائه ، وما دام ليس في امكانه سلوك طريقة قضائية اخرى للحصول على ما يطالب به ، ولا يستثنى من ذلك الا القرارات المتعلقة باعمال السيادة او الاعمال الحكومية فتلك القرارات ـ وان لم ينص المشرع على استثنائها صراحة ـ لا يمكن تصور قبول المشرع امتداد رقابة القضاء اليها بمجرد سكوته عنها ، خاصة وان القضاء الاداري المقارن مجمع على ان تلك القرارات تخرج بطبيعتها عن نطاق اختصاصه ، لما لها من صبغة خاصة لا تقبل المنازعة امام القضاء : اما فيما عدا ذلك فان جميع القرارات التي تصدرها السلطات الادارية ، تخضع لرقابة المحكمة العليا ، الا ما سحب منها بنص خاص .

ب ـ رقابة مشروعية القرار من جميع وجوهه : فرقابة المحكمة العليا لسلامة القرار الاداري ، تنصب على جميع العيوب التي يمكن ان تشوبه ، كعيب عدم الاختصاص او مخالفة القانون، او الشكل ، او الانحراف، وهذا مفهوم من الفصل الثالث عشر من الظهير السابق الذي ينص على ان طلبات نقض الاحكام المعروضة على المحكمة العليا ، يجب ان تكون مبنية على احد الاسباب الآتية :

1) خرق القانون الداخلي، او قانون اجنبي خاص بالاحوال الشخصية .
2) عدم الاختصاص
3) خرق القواعد الجوهرية للمرافعات
4) الشطط في استعمال السلطة
5) عدم ارتكاز الحكم على اساس قانوني ، او عدم وجود الموجبات .

فهذه الاسباب التي فصلها النص ، تتناول الاختصاص ، والشكل ، ومخالفة القانون ، واساءة استعمال السلطة ، وهي عيوب يمكن ان تلحق القرار الاداري ، كما يمكن ان تلحق الحكم القضائي ، وقد ذكرها النص مجملة ، دون تخصيص ، ولكنها مفهومة .

4) والملاحظة الرابعة : ان الظهير المؤسس للمحكمة العليا ، قرر اختصاصها بالنظر في الطعون ضد القرارات الادارية ، ولكنه سكت عن ذكر القواعد

الموضوعة التي يتعين على المحكمة ان تطبقها على المنازعات الادارية بين الادارة والافراد ، فهل ستلجا المحكمة الى القانون الخاص لتقترف منه من الاحكام ما يناسب الحالة المعروضة عليها ، ام انها ستلجا الى الاجتهاد الحر غير المقيد ، لتبتدع من المبادىء والقواعد ما يتراءى لها ، كما يفعل القضاء الاداري عموما ؟

وهذه الملاحظات يمكن ان تثير التساؤل حول طبيعة اختصاص المحكمة العليا بالقضايا الادارية : الا يكون المشرع المغربي قد اوجد نوعا من القضاء الاداري مستترا داخل المحكمة العليا بعد ان اخذ من هذا القضاء اهم خصائصه ومميزاته الموضوعية واضافها للمحكمة ، تفاديا لما عساه ان ينشأ من مشاكل تنازع الاختصاص التي تنشأ عادة من وجود نظامين قضائيين مختلفين (القضاء العادي والقضاء الاداري) داخل دولة واحدة ؟

وايا ما كان الامر ، فان مسلك المشرع المغربي يثير الشكوك حول طبيعة النظام التي قصد الاخذ به : فهو قد استبعد نظام القضاء الاداري من حيث الاطار العام — اي من حيث التنظيم الشكلي — لانه لم ينشىء مجلسا للدولة ولا محاكم ادارية ، كما في فرنسا ومصر مثلا ، وهو في الوقت عينه قد استبعد النظام الانجلوسكسوني من حيث انه لم يعترف للقضاء العادي كله بحق رقابة اعمال الادارة ، ولم يعط الافراد حق التظلم من القرارات الادارية امام محاكم السداد ، والمحاكم الاقليمية ، ولكنه قصر هذا على المحكمة العليا ، فلو انه اعطى المحاكم العادية في مختلف درجاتها ، حق رقابة اعمال الادارة وجعل احكامها قابلة للطعن بالنقض امام المحكمة العليا ، لكان قد اتفق مع النظام الانجلوسكسوني، على الاقل من حيث توزيع الاختصاص، بل انه لو كان قد انشأ محاكم ادارية مستقلة عن القضاء العادي ، ثم جعل احكامها قابلة للنقض امام الغرفة الادارية بالمحكمة العليا ، لكان قد ابتدع جديدا واتى بما لم يات بهاحد، اذكان سيتجنب بذلك اهم المشاكل التي يثيرها ازدواج القضاء ، وخاصة تنازع الاختصاص بين محكمة النقض والمحكمة الادارية العليا كما في فرنسا مثلا .

ولعل مما يزيد مسلك المشروع المغربي غرابة وشذوذا ، ان ظهير 27 سبتمبر 1957 بعد ان نص في الفصل السابع عشر منه على اختصاص الغرفة الادارية (اولا) بمطالب النقض المرفوعة ضد الاحكام القضائية الصادرة في القضايا التي يكون احد الخصوم فيها شخصا عموميا (ثانيا) طلبات الالغاء الموجهة ضد مقررات السلطة الادارية بسبب الشطط في استعمال السلطة ، اردف يقول (على انه يصح أن تبحث وتحكم كل غرفة في القضايا المعروضة على المحكمة ايا كان نوعها) وبذلك اصبح الاختصاص بالطعون في القرارات الادارية شائعا بين جميع غرف المحكمة العليا .

وجملة القول ، فان المشرع المغربي لم ياخذ بنظام القضاء الاداري ، ولا بنظام القضاء الانجلوسكسوني ، ولكنه اعطى مع ذلك المحكمة العليا معظم اختصاصات القضاء الاداري وسكت عن ذكر مصدر القواعد والاحكام الموضوعية التي ستطبقها المحكمة العليا على المنازعات الادارية ، ليتيح لها فرصة الابتكار والابتداع كما يفعل القضاء الاداري عادة .

ونحن نعتقد ان المشرع المغربي كان يحسن صنعا لو اخذ بنظام القضاء الاداري شكلا وموضوعا ، وانشأ محاكم ادارية على غرار المحاكم الادارية الفرنسية والمصرية ، لان الادارة المغربية اشد حاجة من غيرها الى قضاء اداري ينير لها السبيل ، ويضع لها القواعد والضوابط ، التي يجب ان تسير عليها ، ويرفع عن الناس اخطاءها واوزارها .

وقد يلتمس للمشرع بعض العذر في انصرافه عن الاخذ بنظام القضاء الاداري اذا كان ذلك مرجعه عدم توافر العناصر الفنية الكافية ، لاقامة دعائم هذا النظام في المغرب ، ولكن — بالرغم من ذلك — فان الطريقة التي عالج بها اختصاص القضاء برقابة مشروعية القرارات الادارية معيبة وغير مجدية ، فيكفي ان نتصور العدد الهائل من الطعون في القرارات الادارية ، الذي سوف ينهال على المحكمة العليا لنتأكد بانها ستنوء حتما تحت عبئه الثقيل ، وقد دلت الاحصاءات في البلاد التي تاخذ بنظام القضاء الاداري ، على ان عدد القضايا التي ينظرها هذا القضاء ، قد يعادل احيانا مجموع القضايا التي ينظرها القضاء العادي ، فاذا علمنا ان القضاء العادي يملك عشرات المحاكم لمواجهة مايرد عليه من منازعات الافراد وخصوماتهم ، ولا يصل من هذه المنازعات والخصومات الى محكمة النقض الا نسبة قليلة بسبب تعدد درجات التقاضي ، بينما لا يوجد الا محكمة واحدة — بل دائرة واحدة — للفصل في جميع المنازعات الادارية، تاكد لدينا ان رقابة هذه المحكمة لمشروعية القرارات الادارية لا يمكن الا ان تكون رقابة اسمية غير فعالة .

ويمكن ، علاجا لهذا الوضع ، وتحقيقا لبعض الفائدة ، ان تعزز رقابة المحكمة العليا لمشروعية القرار الاداري عن طريق انشاء مجموعة من اللجان الادارية ذات الاختصاص القضائي الابتدائي ؛ فمثلا يمكن ان تنشا في كل وزارة لجنة ادارية تسمى (لجنة الطعون الادارية) تشكل من عدد كاف من الموظفين بنفس الوزارة ، وتكون مختصة بالنظر في الطعون التي يرفعها الافراد ضد القرارات الادارية الصادرة من اي موظف تابع للوزارة ، فاذا تبين لها ان القرار غير سليم ، الغته وصححت الوضع المترتب عليه باعتبارها جهة رئيسية تملك ذلك ، اما اذا رات القرار المطعون فيه سليم ، فانها تؤيده بقرار تبين فيه الحيثيات التي بنت عليها رأيها . وفي هذه الحالة الاخيرة يكون للافراد حق الطعن في قرار اللجنة امام المحكمة العليا ــ الغرفة الادارية ــ التي تملك الغاء قرار اللجنة او تاييده بصفة نهائية .

ويكفي مبدئيا لجنة واحدة بكل وزارة ، تشكل من سبعة موظفين او خمسة على الاقل ، وتحاط اعمالها باجراءات سريعة ومستعجلة ، ويكون التظلم امامها اجباريا قبل الالتجاء الى المحكمة العليا ، ومتى استقر هذا النظام واحتاج الامر الى توزيع العمل في المستقبل ، يمكن التوسع عندئذ في انشاء هذه اللجان ، فيكون في كل وزارة لجنة للطعون ، وفي كل مصلحة لجنة اخرى كذلك تستانف قراراتها امام اللجنة الاولى ، وهذه تنقض قراراتها امام المحكمة العليا .

وبهذه الطريقة تستطيع الادارة ان تصحح اخطاءها بنفسها قبل ان تتعرض قراراتها للالغاء من جهة المحكمة العليا ، وفي نفس الوقت سيقل الضغط على هذه المحكمة بتناقص عدد القضايا التي ستعرض عليها، الى ان ياتي اليوم الذي تنقلب فيه تلك اللجان الادارية ، الى محاكم ادارية ذات اختصاص قضائي بمعنى الكلمة، ويقوم عندئذ نظام القضاء الاداري في المغرب ليفرض رقابته على اعمال الادارة بطريقة فعالة ومجدية .



منظر في ابلا　　معرض الفنان محمد صبري　　الرباط



لقد وقر في اذهان الكثيرين ان الاساسات الاولى التي تنبثق عنها معطيات الفكر الديموقراطي والتقدمي الحديث ، تؤول في بعض اصولها الاولى الى مآت فكرية فرنسية خالصة .

وقد اضحت هذه الحقيقة بما توافر لها من عوامل التمركز والرسوخ ، اصلا اساسيا تقوم عليه كثير من المسلمات التاريخية والادبية ، وليس هذا في الواقع مما يمكن ان يستثير كثيرا من الاستغراب ، فقد ارتبطت ذكريات الثورة الفرنسية في اذهان الناس ــ ولا يعنينا اكان ذلك خطأ او صوابا ــ بتطور المفاهيم الديموقراطية وتجوهر الافكار التقدمية التي تضبط كثيرا من الاوضاع في المجتمعات الغربية الحديثة ، واستطاع الكتاب الفرنسيون ورواد الفكر الفرنسي ان يعززوا جانب هذه الارتباطات بما اوتوه من دلائل التحرر العقلي الذي كان له تاثير بعيد الغور في نشوء كثير من الاوضاع الاجتماعية والادبية الراهنة .

ورغم الحملة النابليونية على وادي النيل والامتدادات التوسعية التي حققتها الحكومات الفرنسية المتعاقبة على حساب آسيا وافريقيا ، فان الكثير من مشاهد القسوة والعنف التي رافقت هذه التحركات الامتدادية البعيدة المدى لم تستطع ان تمحو من الاذهان تلك الارتباطات العقلية التي تصل ماضي فرنسا بثورة 1789 .

وقد كان للانتفاضات التحررية الفكرية وتمركز التكتلات ذات الصبغة التقدمية على ضفاف السين تاثير بليغ في ضمان استمرار هذه الثقة الغالية التي يوليها الراي العام المثقف في ارجاء العالم للاتجاهات الفرنسية التقدمية بما لها من اشكال نزوعية تحريرية والوان مذهبية متنوعة .

على ان كل هذا لم يكن له ليستمر طويلا فقد كان من الطبيعي ان تواجه الفكرة التحررية في بلاد «روسو» حقيقة الواقع التوسعي الفرنسي وتصطدم بالمعضلات الدقيقة التي يتمخض عنها وجوده ، وهذا ما تم في واقع الحال ولفترات متفاوتة في المدى والاهمية .

وغداة ان نجح اتحاد اليسار سنة 1936 في تاليف حكومة الجبهة الشعبية في باريس ، كان ذلك من اقسى التجارب التي امكن الملاحظون ان يبلوا بها الحقيقة المبدئية والاتجاهية التي تقوم عليها الحركات التقدمية الفرنسية في جانب من اهم جوانبها ، وكانت حوادث القمع بالمغرب ومشاهد الكبت في تونس مما وعاه جيدا تاريخ الحركات الاستقلالية في القطرين ، وتم كل ذلك في النصف الاول من القرن العشرين .

ثم تلاحقت مواكب الزمن واستطال العالم على الشطر الثاني من القرن ، فلم يكن للظروف السياسية والفكرية التي تتميز بها هذه الحقبة الجديدة من الدهر الا ان تهيىء للتقدمية الفرنسية مفاجأة اقسى وابتلاء اخطر : كان ذلك يوم اندلعت جذوة الانتفاضة الوطنية في الجزائر « فاتح نونبر 1954 » .

والثورة على الانظمة التسلطية ليست ــ في موطن الامير عبد القادر ــ حدثا جديدا يتميز به تاريخ المغرب الاوسط الحديث ، ان سنة 1830 لم تكن الا نقطة انطلاق لسلسلة الملاحم المثيرة بين ابطال القومية الجزائرية : عبد القادر ، ابي عمامة ، المقراني ، ابن حمزة ، وبين الجهاز العسكري والمدني للنظام التسلطي في الجزائر ، ولكن هذا الدور الجديد من الصراع يتميز بظاهرتين بارزتين :

1) حسن تنظيم الثورة وتكامل استعدادها ودقة تكتيكها ووضوح اهدافها ومراميها .

2) اصطدام الاشتراكية الفرنسية باخطر مظاهر المشكل السياسي المتولد عن حركات الامتداد الغربي الى ما وراء البحار ، تلك الحركات التي بلغت الاوج في القرن التاسع عشر واوائل العشرين .

ولعل هذه الظاهرة الاخيرة اكثر اجتذابا للانتباه والفاتا للنظر لا من حيث الجدة النوعية ، بل بالنظر الى الملابسات الدقيقة التي تكتنفها فتمنحها بذلك شكلا آخر اكثر مغايرة ومباينة لكل ما سلف واشد خطورة . فالمشكل الجزائري في صورته الراهنة يعتبر من اكثر القضايا التوسعية حدة واوثقها ارتباطا بمصير الصراع المستحر بين الحقائق الامتدادية السابقة ، وواقع التيار التحرري الحاضر ، وليس هذا ناتجا عن تعقد هذه المشكلة بالذات اي باعتبار الجوانب التي تتشكل منها كقضية شعب يقدس الحرية ويهفو اليها ، بل بالنظر الى ارتباطها في العقلية التوسعية الفرنسية بمستقبل «الحضور» الغربي في شمال واواسط القارة السمراء .

على ان الظروف الدولية التي تحوط قضية التحرر الانساني بوجه عام والملابسات النفسية والاجتماعية والتاريخية التي تكتنف حركة انبعاث شعوب آسيا وافريقيا بوجه خاص من شانها – فيما يبدو للمراقب المتجرد – ان تخفف من شدة الوقع الذي يثقل كاهل غلاة السيطرة في الضفة الاخرى من المتوسط كلما استحسوا قرب انضمام المقاطعات الثلاث الى ركب التاريخ ، ولكن الاتجاهات الرجعية المضادة كانت في واقع الامر اكثر فاعلية واشد تاثيرا على قسم كبير من الرأي العام الفرنسي ، فكان من هذا ان اصبحت المعركة – كما كان المفروض لها – غير ذلك الذي ينحصر فيما ندعوه بالصراع بين الجزائريين والوضع التحكمي

كان رواد الحرية واشياعها يقدرون ان تضحى معركة الجزائر منازلة فكرية مستعرة بين الرجعية الفرنسية متجسدة في هيآت ارباب المصالح الكبرى في ما وراء البحار ، وبين التقدمية متشخصة في المنظمات السياسية ذات الاتجاهات المضادة لليمينية المغالية ؛ وهذا ما حدا بالكثيرين الى الشعور بالزهو والاغتباط غداة ان اسلم نواب الشعب الفرنسي مقاليد الحكم الى الاشتراكيين بما فيهم الامين العام . 30 يناير 56 .

وكانت الصدمة ، وكانت مهولة ومثيرة ، كان ذلك يوم عنا المسؤولون الاشتراكيون في باريس لارادة صانعي مشاغبات 7 يبراير 1956 في عاصمة الجزائر ، اولائك الذين لاتزال اتجاهاتهم لحد الساعة تملي على السياسة الفرنسية تمثيل هذه المشاهد المروعة فيمقاطعات الجزائر الثلاث او الخمسة كما ارادوا لها ان تصبح اليوم .

والواقع ان التفكير الاشتراكي قد امكنه ان يضاعف من فاعلية العمليات الهادفة الى تصفية الوجود الجزائري ويزيدها حدة وتعقدا ، بل انه استطاع ان يرتفع بهذه العمليات الى مستويات كانت اساسا لحملات السويس والايغارات الجوية على التخوم المغربية والتونسية وحركات التقارب مع « الكريست » الاسرائيلي وغير ذلك من التظاهرات الدولية الصاخبة التي كان الفرنسيون يلوحون بها بين الآونة والاخرى بكل « نجاح » فهل هو ارتكاس للتقدمية الفرنسية في عهد التحرر الفكري والانطلاق العقلي الاكبر . ؟ اهو افلاس للاشتراكية الفرنسية في عصر من ابرز مميزاته تجوهر الارادات الجماهيرية وتبلورها في صور قوية لم يعد معها امام الانظمة الامبراطورية الا أن تميل نحو الافول ؟ ام هو انتكاس للوعي الشعبي في بلاد لم تقم لها ثورة كبرى الا لتقرير المعطيات الثلاثة التي ترتكز عليها حقوق الشعوب ؟ اننا لايمكن ان نوغل في اثارة الظنون بعيدا ولكن حقائق الحرب الجزائرية تكاد ترج نوع هذا الاعتبار الذي نوليه للفكرة التحررية الفرنسية اعرق النزعات التقدميةالاوروبية واكثرها انطلاقا وتجردا

فكيف يمكن تعليل هذه الظاهرة ؟ وبماذا يصوغ شرحها ؟

لا مجال للشك بان هذا النوع من التكتيك السياسي الذي مارسه الحاكمون الفرنسيون ذوو اللون المذهبي الاشتراكي – في مدى الفترة التي سيطروا فيها على مقاليد الحكم في باريز – (1) لا يجوز أن يؤول الا على اعتبار انه ارتكاس رهيب للافكار التقدمية الفرنسية ، ولكن لا اخال انه ارتكاس من ذلك الصنف الذي يرادف الانهيار وخاصة اذا تناولنا الاشتراكية الفرنسية – في اتجاهها الحالي – على اعتبار انها فقط وحدة متميزة من وحدات كثيرة ومتنوعة تتالف منها القوة الديموقراطية الشعبية الفرنسية وتنسجم مع طبيعة التفكير الفرنسي المتحرر .

---

1) استطال وجود حكومة مولي الاشتراكية «في اساسها» الى ما يقل قليلا عن ستة عشر شهرا اذ انها اقتعدت كرسي الحكم في 30 يناير 1956 وبارحته في 21 مايو 1957 .

فيوجد في واقع الامر – الى جانب هذه الصفحات « الاشتراكية غير المشرقة بالنسبة الى مأساة الجزائر صفحات « فرنسية » اخرى اكثر تلألؤا واشد التماعا . انها هي تلك التي تسجل مواقف كثير من اعلام الفكر الفرنسي ورواده البارزين الذين امكنهم – بما يتوفرون عليه من طاقات شعورية ممتازة وقدرة احساس رفيع – ان يتبنوا – بالنظر للصراع الجزائري – مواقف متميزة وواضحة محدودة ومشبعة بروح النزاهة والتجرد . الامر الذي لا يمكن من الجزم بانه من الميسور الحكم على طبيعة الاتجاه التاريخي الذي تتقفاه حركة البعث التحريرية في فرنسا باعتبار الاسس الفكرية الاولى التي تقوم عليها وهذا سر ما نراه من مظاهر الاعتساف الذي ينصب على هؤلاء البارزين في ميادين الفكر والثقافة والسياسة سواء في باريز او غيرها . فلم تنمح بعد من اذهاننا قصة الاستاذ مندوز الذي كان موضوع تدابير عدلية صارمة . نتيجة لموقفه السوي من الحرب الجزائرية . وعلى ذكر مندوز فانه لايندعنا ان نستعرض اسماء لامعة اخرى كانت ملحمة الجزائر سبيلا جديدة لبروزها وتعطير ذكرها . ومن بينها : سارتر . موزياك . دو فيرجي . كابتان . ب ه سيمون وغيرهم ممن نصعوا وجه الفكر الفرنسي واضفوا عليه كثيرا من الرواء والاشراق .

ان الاهمية البالغة التي تكمن وراء مواقف هؤلاء الاعلام لا تستند الى ثقل وزنهم على الرأي العام الفرنسي وامكانية تاثيرهم على المسؤولين في باريز حتى يعدلوا من نوع السلوك الذي ينتهجونه في تصفية القضية الجزائرية . انما الذي يرتبط بهذه المواقف ويكسبها اهميتها الحالية هو المدلول الذي توحي به وتعبر عنه بكل نصوع ووضوح . فهي على الاقل تؤذن بان الفكر الفرنسي وخاصة الجانب المتحرر منه لم يصل مطلقا الى الحد الذي يمكن معه اعتباره انهزاما او افولا كما قد يبدو ذلك عند الملاحظة العابرة .

ويتصل بهذا ما يمكن ان يلمحه المراقب من تلقائية المعارضة الفكرية الفرنسية واصالتها الى الحد الذي غدت معه احيانا تتخذ شكلا جماعيا وتكتليا . وقصة عريضة المحامين الفرنسيين الخمسين هي من بعض شواهد ذلك اذ انها برهنت مجددا على ان رد الفعل التقدمي لم يعد مقصورا على بعض الادمغة الناضجة الواعية بل انه عدا ذلك الى ان اضحى على درجة اصبح ياخذ معها بالتدريج شكل جبهة متساندة متراصة قد يكون لها شأنها في تحديد موقف الشعب الفرنسي من قضية السيطرة ومذنباتها بوجه عام ومأساة الجزائر بوجه خاص .

على ان مشاهد القوة البالغة التي يمثل ادوارها رجال « ماسو » على ضفة المتوسط الجنوبية لم يكن لها الا ان تساعد على تحديد مواقف اخرى اكثر بروزا واشد وضوحا . وهذا ما تعبر عنه هذه الفقرات من هذا النداء المؤثر الذي سلف ان وجهه الاتحاد البروتيستانتي الى الضمائر الفرنسية الواعية محددا هكذا موقفه من مآسي التعذيب المتجسد في العمليات بالجزائر :

« ان الشواهد التي لدينا عديدة وفائقة القيمة وان التنكيل الذي يمارسونه لعلى درجة بالغة من الخطورة واننا لواثقون ان الدفاع عن شرف الجيش ومعنويته .. يعني ردع الذين يجترحون هذه الكبائر لا اولائك الذين يشجبونها » .

وابلغ من ذلك دلالة بيان مجمع كرادلة والاساقفة الفرنسيين حيث جاء انه « في الازمة الآتية يتعين على الجميع ان يدركوا انه ليس مما يتلاءم والمعقول ان يتم اللجوء لخدمة قضية ما ايا كانت صبغتها العادلة الى وسائل مماثلة تعتبر غاية في الشناعة ... »

ان الحقيقة الاكثر بروزا في مجال الفكر الفرنسي وانفعالاته حيال قضية السيطرة المتجسدة في الصراع الجزائري هي انه لم يثبت بشاهد الحوادث ما من شانه ان يجعل قوة الوعي التحرري مرتبطة ارتباطا حتميا بهيئات او تكتلات معينة . ان حقائق العراك في الجزائر لم يكن لها الا ان تبرز اصالة الاتجاه التقدمي او زيفه بالنسبة الى هذه الجهات او تلك بصورة تتنافر الى حد بعيد ومعطيات الوضع السياسي الفكري – كما كان يبدو من قبل – سطحيا للمراقب الاجنبي .

وتتاكد هذه الظاهرة في جلاء اذا تاملنا جيدا البيانات التي اسلفنا ذكر بعضها مع مقابلتها باحدى الاساليب الاشتراكية في حل المعضل الجزائري تلك التي عبر عنها ماكس لوجون حينما قال : ان هذه الحرب لا يمكن ان تتطاول اكثر من بضعة اسابيع اذا نحن واجهناها مواجهة « جدية ... » ! ! – وتتاكد ايضا اذا قايسنا بين الاتجاهات « الجزائرية » لوحدتين كبيرتين من وحدات القوى السياسية الفرنسية وذلك عندما نوازن بين الفقرات المتصلة بالجزائر في الملتمسات التي صادق عليها الرادكاليون في « واكرام » وبين الجو « التحرري »

الذي ساد جلسات المؤتمر التاسع والاربعين للحزب الاشتراكي الذي تم التآمه بتولوز فى مدى الفترة المتراوحة بين 27 و 30 يونيه 1957 — وتتاكد اخيرا بمقارنة الاصداء الموائمة التي وجدتها «المندسية» واشياعها بالنسبة الى الجزائر فى المؤتمر الاول بالظروف العسيرة التي حاطت فى المؤتمر الثاني بواقف المتحررين لـ «فيرديي» حيث امكن لمشروع «كومان» القمعي ان يحظى ب 2547 صوتا تمثل فى مجموعها 65,1 ٪ من مجموع المقترعين ، وحيث منح وفد « بادوكالـي » Pas de Calais مثلا 397صوتا (اجماع تقريبي) لفائدة ملتمس الاغلبية المظاهر لسياسة (التهدئة) عن طريق الابادة الجماعية المنظمة !.

على ان نهج الولاية العامة للجزائر فى تسيير عمليات « اقرار النظام » ذلك النهج المنبثق عن تفكير « اشتراكي » لم يكن من شانه الا ان يحدث — على الصعيد الشعبي الصرف — كثيرا من الرجات السياسية والاتجاهية داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي نفسه من جهة ، وعلاقاته بالاشتراكية الدولية من جهة اخرى. (1) وان اخطر مظاهر ذلك هو ما امكن ملاحظته من تفكك عرى العقائدية الاشتراكية — كما تبدو فى صورتها الآنية — وتحللها تحللا بطيئا وتدريجيا خاصة فى الاوساط العمالية حيث بدا يرتسم فى الافق منذ عدة اشهر جو تعاون عمالي اشتراكي — ماركسي ليس من شانه الا ان يفضي فى الاخير الى « تشييع » كثير من الكتل الاشتراكية على حساب نفس الحزب الذي يقوده «مولي» ومن آيات ذلك مقررات فاتح مايو فى «كالون ريكار» Calonne Ricouart و «الساحل الشمالي» — و « جيرا » Jura و « فوسيج » Vosges وغير هذه الجهات حيث امكن بالنسبة للقضية الجزائرية اتخاذ مواقف شيو — اشتراكية متناسقة ابرز ما فيها انها تتناءى والمناهج الاشتراكية الرسمية التي تتقفاها ادارة الحزب الحالية .

وقد فطن « الحمر » الفرنسيون لملائمة هذه الاجواء السيكلوجية والسياسية لخططهم المحكمة الهادفة الى مصادرة الكتل الاشتراكية لفائدة الدعوة الماركسية عن طريق الاستدراج الماهر والاجتذاب غير المباشر : (2) وقد انصب اهتمامهم بالفعل على استغلال « حالة » الجزائر فى اصابة مكامن العقائد الاشتراكية فى قلوب الجماهير العمالية ورياضة هذه الجماهير على اختيار بديل عقائدي آخر كالماركسية — الليلينية مثلا!!

وعلى الرغم من ان مروقا اشتراكيا جماعيا وجوهريا لم يتم لحد الآن لحساب الدعاة الحمر — وذلك نتيجة ليقظة الادارة العامة للحزب الاشتراكي الفرنسي — فان استمرار الاوضاع بالجزائر قد يساعد على اصطناع البيئة الفكرية الملائمة لوقوع هذا التحول خاصة وان هذه الاوضاع تمس بصورة اساسية بالمستوى الحيوي للطبقات العمالية حيث يستنفذ المجهود الحربي الضخم اهم اقساط موارد الإقتصاد الوطني على حساب الطاقة الشرائية للجماهير الكادحة والكتل الشعبية المحدودة الدخل .

على ان هذه الصدوع الملحوظة داخل جهاز الاشتراكية الفرنسية الحالي — نتيجة الصراع فى الجزائر — لم تعد محدودة فى النطاق الشعبي والعمالي الصرف ، انها قد عدت ذلك لتبدو فى مضمار آخر اكثر دلالة فقدبدات تبرز مظاهرها بشكل مثير داخلالنخبة المسيرة ذاتها مما قد يمكن ان يمس فى المستقبل وحدة الهيئة السياسية الاشتراكية وتماسكها العقدي والاتجاهي . وان قصة « اندري فيليب » وكتابه عن «الاشتراكية التي تنكروا لها» (3) — مما قد نعود لدراسته فى مبحث مقبل — هي من احدى الارهاصات المنذرة بانتكاث الحبل بين عناصر الزعامة الاشتراكية الحالية، خاصة وان المشكل الجزائري يوجد فى اساسات العلة الموجبة لهذا الانتكاث .

---

1) كان مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الدولي سبيلا لتبيين طبيعة التطورات التي طرات على هذه العلاقات والتي كان اساسها الجزائر .

2) من شواهد ذلك هذا النداء الذي كانت اللجنة المركزية والكتل البرلمانية الشيوعية قد وجهته فى 6 يونيوه من السنة المتجرمة الى العمال الاشتراكيين الفرنسيين .

3) **Socialisme trahi** من منشورات **Plon** للكاتب الاشتراكي اندري فيليب الذي تم اقصاؤه لتحرره الفكري عن لجنة الحزب الاشتراكي الادارية بعد ان كانموضع تهديد بعقوبات زجرية .

وملاك القول فان الحالة السكلوجية المعقدة ـ تلك التي خلقها لكثير من النزعات التقدمية الفرنسية الوضع المنبثق عن حرب الجزائر ـ قد بدات تتكشف عن بوادر عراك ايديولوجي واتجاهي داخل التكتلات السياسية التي تتجسد فيها مبدئيا الحقيقة الواقعية لوجود هذه النزعات . وان ارتجاجات سياسية ذات اصول عقائدية قد تنبثق عن هذا العراك الفكري لتعين من جانب على تجلية الحقيقة المبدئية للتقدمية الفرنسية، وتسهم من جانب آخر في تعزيز فعالية القوى التحريرية الانسانية الزاحفة نحو « الهدف » المشترك .

ان الاهمية السياسية التي تمثلها ـ في خضم المعترك الفكري الفرنسي ـ هذه التكتلات المختلفة هي في الواقع ذات اعتبار كبير ، الامر الذي من شأنه ان يمكنها من تحقيق وجودها بالقوة وبالفعل واعتماد هذا الوجود في العمل على ابتداع حلول عقلانية دياليكتيكية لمجموع جوانب المشكل الفرنسي الدولي بما فيه الجزائر

انه لا ينقص هذه الكتل ـ من حيث هي قوة سياسية وفكرية موجهة الا ان تتقمص روحا نضالية حقيقية تتناسب وخطورة الدور الذي ينتظرها ، ثم تعمل على استغلال رصيد الجماهير الفرنسية من المشاعر الخيرة وذلك في سبيل تكوين ارادة شعبية كاسحة تقتدر على تعديل الوجهة الحالية للسياسة الفرنسية حيال الجزائر .

ولكن ذلك لايمكن ان يتم بصورة اساسية الااذا وجدت هذه الوحدات المتوزعة التي تلتقي عند نقطة الاتجاه التقدمي طريقها الى تحقيق نوع من التماسك والتكافل فيما بينها . ان ذلك من امره ان يكفل لها اكبر قسط من فرص النجاح في العراك الذي يفترض لها ان تخوضه لاجل الجزائر ابقاء على نبالة الفكرة التحررية الفرنسية وحفاظا على مثاليتها ، فليس مما يعين على ترجيح امكانية الفوز في هذا العراك ـ بالنسبة الى التقدميين الفرنسيين ـ ان يوجد بينهم كل هذا التباين في طرائق التفكير ومناهج العمل واساليب التخطيط بل وطبيعة الاهداف والمرامي . وليس مما يمكن ان يحقق دور الفكر الفرنسي في تحرير الجزائر ان يوجد من بين اعلامه من يؤازر ـ في القضية الجزائرية ـ حلا ذا اساس استقلالي كامل حينما يوجد في ذات الوقت من يرتضي لتصفية المشكل حلولاجانبية ذات اشكال متنافرة تتدرج في اصولها من عناصر اطارية «قانون الاطار» الى مصادر ازدواجية ولتتدنى اخيرا فتستمد اساساتها من مبادىء تقسيمية او امتزاجية . .

ان قضية الحرية لايمكن ان تكون ابعاضا وان الاسس التي يجب ان ينهض عليها العمل التحريري لا يسوغ بالتالي ان تكون متضاربة او متضادة ، ان الجوهري في الواقع هو النفوذ ـ عن طريق الاقناع ـ الى اعماق الفكر الشعبي الفرنسي وذلك مما لايمكن ان يتم الا بسبيل العمل السياسي والفكري الذي توجهه ارادات متساندة وتضبطه مناهج ذات اسس منظمة وفعالة . وهذا ما يبدو انه قد تجوهر في ضمير كثير من العناصر الواعية من بين التقدميين الفرنسيين اذ بدات منذ عدة اشهر ترتسم في الافق ملامح تشكيل سياسي تحرري جديد اساسه العمل المتكاثف على مواجهة محاذير هذه الاشكال الخفية من الاوليغاركية المقنعة تلك التي اخذت تتاثر بالمقدرات السياسية للشعب الفرنسي وتتبنى توجيهه توجيها يتناءى في الغالب ـ والجزائر كمثال ـ مع واقعه المصلحي وسلامته المصيرية .

وكانت مناقشة السلطات الاستثنائية منفذا لبروز بعض الصور عن هذا التساند التقدمي ، على انه اخذ بعد ذلك يبدو في اشكال اكثر اهمية وكان من بينها «تجمع» يوم 18 اكتوبر الماضي في «ديجون» حيث امكن لكثير من العناصر الاشتراكية والرادكالية والمسيحية وحتى الحمراء ان تعبر عن وجهة نظرتحررية وموحدة حول موضوع «التهدئة» بالجزائر وقد نجمت ـ بعد كل ذلك ـ على الصعيد الشعبي بوادر اتجاهات تكتلية مماثلة قد يمكن ان يكون لها ـ استقبالا ـ وزن كبير في تعديل مجرى الاتجاه السياسي الفرنسي وعلاقته بالقضية الجزائرية ، الا انه من الضروري أن تتطور فتبدأ ـ بعد ان تستتم شخصيتها ـ في اعتماد الوسائل السياسية الرسمية سواء على الصعيد الحزبي او البرلماني .

ان مدلول مجموع هذه «الظواهر السياسية والفكرية» هو ما تعبر عنه من ان الفكر الفرنسي التقدمي لم يصل في موقفه من قضية السلطة المجردة ـ تلك التي تتشخص في الوضع بالجزائر ـ الى ما يمكن ان يعتبر بالنسبة اليه انحدارا او افولا ، وانه اذا كان ثمت من بوادر كسوف او ارهاصات انحلال فانها بالقياس لهؤلاء الذين امكنهم ان يخضعوا الاصول المذهبية الرفيعة التي يدينون لها للقضايا السياسية العابرة ذات الاهداف الاستثمارية الآنية . انهم هؤلاء الذين تهالكوا على التنكر لمعقولية التفكير السياسي وسويته والتجهم للمنزلة التي احلها الفكر الفرنسي ما سجله عبر القرون من مآت تحررية وانطلاقية . انهم اولئك الذين درجوا منذحادثة

7 يبراير 1956 على التقيد باساليب عمل تتناقض في صميمية كيانها والمعطيات العامة التي تشكل المفهوم المبدئي والاتجاهي للتقدمية الفكرية او السياسية . انهم اخيرا اولئك الذين ارتضوا ان يقسروا قيمتهم الايديولوجية على أن تكون وسيلة رخيصة لخدمة اهتمامات تكتلات معينة ومحدودة من المجتمع الفرنسي ولو كان ذلك مما يسحب ظلالا داكنة على مجموع الجوانب التي يعتز بها الفكر الفرنسي ويستمد منها طاقته الاشعاعية ــ الهادية .

انه من نافلة القول ابراز الحتمية العقلانية والتجريبية تلك التي تحدد نوعية المصير الذي سيؤول اليه الصراع المستعر في الجزائر ، انها حتمية يفرضها واقع الشعب العربي في الجزائر من جهة وحقائق الحياة الفكرية التي بدات تتحكم في ربط طبيعة الارتباطات الاممية من جهة اخرى . انما الذي يعني بصورة جزئية هو ابراز ما سوف يكون لهذا المصير المرتقب من تاثير جذري على هذه المفاهيم التحررية الغربية ، تلك التي حدت بكثير من «التقدميين» في وزارات مولي وموتوري وكيار الى مضاولة الارادة الشعبية الجزائرية على حساب قضية الحرية الانسانية .

انه ليس من المعقول ان ينقضي وقت طويل دون ان تستطيع الجماهير الجزائرية والفرنسية ــ كل بوسائله الملائمة ــ فرض الحلول الحتمية لتصفية الوضع المنبثق عن حملة 1830 . ويومها فقط يذكر انصار «التهدئة» ان اشعاع بلادهم لايمكن ان يمتد عبر البحار تحت مفعول الاساليب التحكمية الصرفة بل بتاثير هذه الجوانب المشرقة من الفكر الفرنسي التي يشخصها « سارتر » و « عندوز » وغيرهما من اعلام التقدمية الفرنسية الحقة .

ان نهاية الحرب الجزائرية ستجلو هذه الحقيقة للاذهان بصورة ابرز ، ويكون ذلك ولا ريب من اخطر النتائج التي ستنكشف عنها هذه الملحمة المؤلمة سواء بالنسبة للعلاقات الفرنسية الجزائرية المقبلة او باعتبار مستقبل الاوضاع التوسعية في افريقيا وغيرها .

وتلك احدى عبر التاريخ الكبرى .



شارع في تطوان
معرض الفنان محمد صبري
الرباط

أنشودة العودة

للشاعر الاستاذ : أبي بكر المتوكل

انشدت هذه القصيدة فى يوم ذكرى ثورة الملك والشعب 20 غشت . فقد اراد الاستعمار ان يجعل من يوم 20 غشت 1953 يوم نهاية المعركة ، فامتدت يده فى تطاول دنيء الى رمز سيادة الشعب وزعميه الاكبر ، وقائده فى طريق الحرية والكرامة والاستقلال ، جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله .

ولكن الشعب المغربي عرف كيف يجعل من اليوم نفسه يوم بداية حرب مقدسة ، وفاتحة معركة شريفة ، كانت نتيجتها ان عاد جلالة الملك الى شعبه، يحمل اليه فرحة اللقاء ، ويحمل اليه بشرى السيادة والاستقلال والحرية .

وقد احتفل المغرب فى هذه السنة كعادته منذ اعلان الاستقلال بيوم 20 غشت ، يوم ذكرى ثورة الملك والشعب ، اليوم الذي اراده الاستعمار ماتما ، واراده الشعب المغربي عيدا من اعياده الوطنية المجيدة الغالية .

قل لمن لامك او من عذلك ... كان لي حمد السرى أم كان لك ؟
وتعهد فلك العيش يدر ... فلقد عطل مذ غبت الفلك
وانشر الرحمة فينا ، انما ... حمل الرحمة ركب حملك
وادع بالرضوان للشعب فما ... خيب الرحمن فيه املك
مهر العودة بالروح وما ... كانت الروح لتجزي عملك
قد تلقى السهم حتى جازه ... واستساغ الضيم حتى وصلك
فمشى يحدو المنايا ماله ... مثل يضرب الا مثلك
لم يحاول مستميت صده ... عن حياض الموت الا وهلك
آية العاهل ان تحيى به ... امة صرعى وشعب ممتلك
سل ابا الفتنة عن ايامه ... هل صفا يوم له مذ عزلك
حلكت ايامه حتى جرى ... يتفادى بمحياك الحلك
انت كالشمس وهل الفى امرؤ ... بدل الشمس ليلفوا بدلك
كيف يخفى عن عيون الشعب من ... يجتليه الشعب ايان سلك
من رضى شعبك عما جئته ... يوم صنت العهد فيما خولك
لحت فى مكتمل البدر له ... فرأى منزل صدق منزلك
دع اناسا زعموا ان الهوى ... سحر الاعين حتى خيلك
ملك انت لدى الشعب وهل ... كان فى السموات الملك

درس في الأدب

للأستاذ محمد الصباغ

الى المشرفين على التعليم في بلادي

صباح الخير يا اخواني الطلبة .

اجتمعنا في هذا اليوم الاول من الموسم الدراسي الجديد الذي نحن بصدد تدشينه في هذا الفصل بالدرس الاول في تاريخ الادب . وبين يدي منهج الادب العربي لهذه السنة . وقد كلفت من طرف مصلحة التعليم الثانوي ؛ التي لاترحم معلما ان ادرس معكم كل ما يحويه هذا المنهج ، وان تخبروا انتم ، وتعلموا دقائق محتوياته . فهل اراني البي ؟ وهل اعاكس ذوقي في الادب ، وجوهره ، وماهيته فانفذ معكم مقررات هذا المنهج عن آخرها ؟ وهل اخلص لذوقي وميولي التي كونت هذا الذوق في الادب ؛ فأطرح المنهج جانبا ، وانفذ معكم الى لب الادب الكمين في سراديب الحياة ؟

لو كنت يا اخواني الطلبة ، معلم الحساب ؛ او الهندسة ، او الجغرافية ، او ما شاكل ذلك من العلوم العملية ، أو الطبيعية ، او اللسانية ، او الاجتماعية ، لطبقت مقررات مناهجها تطبيقا تاما يرضى مصلحة التلعيم . اما ، ونحن في حضرة الادب الذي لا يحد بحدود ، ولا يستقيم في مقررات ولا مناهج ، فاني اشفق عليكم ، وعلى نفسي ، وعلى الادب كذلك من ان نسيجه ، ونسيج انفسنا معه في دائرة لا حدود لها ، ولا منتهى ، ولا قرار .

فلننفذ اذا الى اسرار الادب الخبيئة في طلاسم الحياة ، التي نمر بها ، ولا نحفل بها ، وتمر بها فئة مختارة عجائبها . وهذه هي الفئة التي نسميها : فئة الادباء والشعراء التي تكشف لنا عن عمق هذه الاسرار التي من بينها اسرار حياتنا وحقيقتها المحجبة عنا بأستار لاندركها ببصرنا . وهذه الاسرار التي ينفذ اليها الادب ، ويكشفها لنا ، هي أبعد وأوسع من ان يشملها هذا المنهج بين دفتيه .

لا أيها الاخوة ، ليس هذا المنهج من صلب الادب في شيء . واني اربأ بكم ان تتخذوه مسلكا نيرا لحقيقة الادب ؛ هذه الحقيقة التي يجب ان ننفذ اليها مذيبين قشرتها بشرارة عواطفنا واحساسنا حتى نلمسها بين اصابعنا . واذا نحن لمسناها ؛ لمسنا روح الحياة التي تجري في قلوب الشعراء جداول من ورد ، وسواقي من عطر السماء .

فما هي هذه الحياة ؟ ومن هم الادباء ؟ وكيف هؤلاء الادباء تمخضت بهم الحياة حتى اصبحوا وتاريخ الحياة توأمين ؟

ليس علي أن أكون فيلسوفا لاحدد معنى الحياة تحديدا « عقلانيا » كما يقال . لاني اعلم ان العقل لا يستقر به قرار ، ولا يخضع لمفهوم أو مدلول ، او تحديد . فهو دائما يجنح الى ما وراء العقل ، فيسقط في حومة الجدال والنقاش من قال ويقول ، وزعم ويزعم .

فلتدخل يا احبائي الى الحياة من باب الحياة الواسع ؛ لندخل اليها بعواطفنا ومشاعرنا . وما الحياة الا مجموعة من العواطف ، والآمال ، والاحلام ، والآلام ، والمخاوف ، والاشواق ، والافراح ، والنزعات ، وما ينتاب الانسان ، وغير الانسان ، من جماد وحيوان

ونبات ، وما يعتريه ويطرا عليه في هـذا الوجـود . عواطف تلك الاغصان الرطيبة التي تمد اعناقها الـى ضرع الصباح لتدر منه حليبها فتكتسي بالنـدى . واحلام تلك الموجة التي تغفو على اختها في الشاطـىء جالمة بالتسلق الى هامات الجبال ، ثم التغلغـل فـي شرايين الارض العميقة . واشواق تلك الصبية التـي فقدت لهاثها في البحث عن امها . ونزعات التربـة المتخومة بالانفاس المخنوقة ، والاصلاب المرضوضة . والاعضاء المكدودة من قبل آدم الى يومنا هذا .

وانا ما قمت معكم بهذه الجولة القصيرة في دروب الحياة ، الا لأضرب لكم مثلا بسيطا عن محور الحياة . ولكم بعد ذلـك ان تجـولوا مع انفسكـم فـي دروب الحياة . ان في كل صفحة من صفحـات دفاتركـم لاسرارا بيضاء اذا انتم تتبعتم ادوارهـا واطوارهـا وصيرورتها منذ ان كانت جذوعا ، وقبـل ان تـكون بذورا ، وبعدما ستصير عليه . .

اني ــ وحق الحياة ومحبتكم ــ لأتخشع كلمـا تغلغل خيالي في اسرار الحياة . واريدكم ان تتغلغلوا انتم بخيالكم في هذه الاسـرار ، لتشعروا بهـا ، وتحسوها ، وتعيشوها ، لتشحذ خيالكم ، وترهـف اذواقكم ، وتملأكم بروح الحياة . ومتى نفذتم الى هذه الاسرار ، انبلجت امامكم دروب الحياة بروادها الذين صنعوا تاريخها الصحيح ، لا المكذوب في اسفار تواريخ الآداب .

ومن منا يستطيع ان يصدق ما يطرح اليه باسم التاريخ ، وخصوصا تاريخ الادب ؟ وكل ما وصل الينا منه ، ما هو الا قشور وظلال تومىء الى لبابها وانوارها ولا تبوح . وبالاحرى حياة الاديب التي تشمل حياة كل ما تقع عليه عينه ، ويلمسه خياله ، وتدركه حواسه وعواطفه التي يستحيل حصرها ، والاحاطة بها .

فكيف بالتاريخ ــ اي تاريخ ــ وان بلغ ما بلغ من الامانة ، ان يدرك عمق هذه المشاعر ويحصرهـا فـي سطـوره !

ان تاريخ الادب بريء كل البراءة مما نسب اليه لاننا لحد الآن لم نكتبه . وان شئتم ان تدركوا صفوته، ففتشوا عنها في غير التواريخ المكتوبة ؛ فتشوا عنهـا بنور في عينكم ، وعاطفة في مشاعركم .

واليكم يا اعزائي المثل :

ليس تاريخ امرؤ القيس يبدأ بذلك اليوم الـذي ولد فيه ، في ذلك المكان المعيـن من الصحـراء ، وان اباه هو حجر الكندي ، وعاش قبل الاسلام بنحو ثمانين سنة كما يروي لنا تاريخ الادب العربي ، وانه قـال قصائده : «قفا نبك .. الا انعم صباحا .. وقد طوفت في الآفاق ..» وغيرها من القصائد ، ثم نكتفي بهذه المعلومات ، وندعي اننا نعرف امرؤ القيس ، وتاريخـه معرفة صحيحة . وليسـت هذه المعلومات سـوى معلومات اي انسان ــ مع فارق الشعر ــ عاش فتـرة من الزمن ثم مات . اما امرؤ القيس فقـد تميز عـن الناس لكونه شاعرا . فلنفتش عن مصدر شعـوره ، ومن اين له هذا الشعور ؟ وكيف انطق هذه الجوامـد الاوابد «الدخول» و «الحومل» وغيرها ، وبعث فيهـا الروح حتى اصبحت تحيا معنا وفينـا ، والاقمـار الاصطناعية تمر علينا في هذا العصر بسرعة النور !؟

لا ياحبائي ، ان صفوة امرؤ القيس ، وصفـوة سواه من الشعراء والادباء لن تعثروا عليها في كتب التاريخ ، والتاريخ بعيد عنها . لان هـذه الصفـوة السحرية الخفية تلامس الحياة ، وتعانق كل ما في اعماق الحياة ، مما يلمس ومما لايلمس ، مما ينظر ومما لاينظر هازئة بالزمن ، وابعاده ، وحدوده ، ومقاييسه . وهذه الصفوة هي روح الادب والحياة .

ولا اريد ان تفهموا من هذا الدرس يا اخوانـي اني اريد ان اجعل منكم ادباء ، او شعراء . لانه ليس بمستطاعي ؛ ولا بمستطاع اي انسـان ان يجعلكـم تشعرون ، فتقولوا الشعر ، او تكتبوا الادب . ولكني اريد ان اقربكم الى روح الادب ومنابعـه الصافيـة ، وان تنهلوا من هذه المنابع في دراساتكم للآداب ، وان تمتلأ ارواحكم بالعاطفة ، والذوق ، والجمال . وهـذا ما هدفت اليه في هذا الدرس . فحسبي وحسبكـم ذلك .

ولست ادري بعد هذا ، هل ترضى مصلحـة التعليم الثانوي عن اهدافـي من دراسـة الادب ، ام تغضب فتطردني من اطار المعلمين ؟

والسـلام عليكـم .

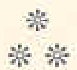
أصداء من بلادي ١

مصطفى المعداوي

« هذه المحاورة هي ثاني الاناشيد السبعة التي تتناولها كفاح الامة العربية الموحد من أجل حياة أفضل »

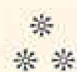
مصطفى المعداوي

هو ـ يا ضياء الكفاح يدفعك العطر أغرودة من نشيدي
يا ضياء الكفاح عانقك الشعب في الشروق الجديد
في الشام في كل الربوع نخوض معركة الوجود
في الضيعة الفجراء في الوادي المرجع بالورود
يا ضياء الخلاص أرسلك البعث اهزوجة في نشيدي



يا ضياء البقاء باركك الشعب المسالم في بلادي
أهزوجة عذراء تسبح في تعاريج الوهاد
وعلى الروابي الملهمات تهيم شادية وشاد
يا كم شدا الحسون لحن بقائنا في كل وادي
في الاردن المذبوح في النيل المجمل بالعتاد
بوركت يا فجر الرجاء تطل من أعلى بلادي

بوركت تحمل يا جميل لحقلنا عبق الاصائل
مملوءة القسمات ترقص في توهجها الخمائل
وعلى الغدير الحالم النشوان تعتنق البلابل
من بعد أن حمل الربيع لعشها سمر السنابل
بوركت والدم في عروقي يضج يقتلع المفاصل
ما كنت احسب أنني في زحفك الميمون ماثل



هي ـ اجراس دامية الصدى تنساب في النهر الخصيب
حمراء ترقص في تقاطرها على وهج اللهيب

في صدرها اللهفان تعبث بالمصير دمى الصليب
جارت على الوطن الحبيب بمنطق الملك السليب
أأغني يا الفي وطيفها لم يزل يذكي نحيبي ؟

أأغني للأعراس تمرح والدنى حولي غمامه
سوداء تمطر أرضنا الزهراء أردية السآمة
وعلى جبين الامهات تجسمت صور السآمة

*
* *

يا عبير الحياة يلفحني الحر والزمان شتاء
يا عبير الحياة انهكني الجوع والحقول نماء
يا صميم الوجود ؛ نحن العرايا فأين منا الكساء
من كوخنا الخشبي تبعث امتي لما تشاء

*
* *

هووهي – تعال يا طيف السلام لبلدتي تنعي شقاها
الارض باركت الضياء وهللت تشدو مناها
فلتنظروا علم البلاد يلوح في أعلى ذراها
الشعب يرسل صيحة فيعود للدنيا صداها
وشبابنا رمز الفداء يشد باليمنى عراها
قسما بتربتنا أن ليس الا من حماها

*
* *

عادت لنا الافراح فلننثر على الدرب الازاهر
ولنملا الاقداح من خمر الحياة سنا البشائر
ها ليلة النصر العظيم برقصها حول الفدائر
مزهوة الاعطاف تبسم للملاح لكل شاعر
للعائدين مع الربيع وقد تبدد كل غادر
للراقصات على الحدود بالف نهد ، الف ضامر
عادت لنا الافراح فلنملا الدنيا مفاخر

في معرض الفنان محمد صبري



اقيم بالرباط من 20 غشت الماضي الى 31 منه معرض فني للرسام المصري الشهير ، الاستاذ محمد صبري ، وكانت حفلة الافتتاح رائعة حقا ، حضرها عدد كبير من الشخصيات الرسمية ومن رجال السلك الديبلوماسي ، كما حضرها كثير من رجال الفكر والفن وغيرهم من مختلف الاوساط والطبقات .

والاستاذ محمد صبري ، خلق ليكون فنانا ، ولو لم يكن رساما لكان شاعرا او موسيقيا او غير ذلك ، ذلك لانه فنان بطبعه ، في سمته ، وشكله ، وتواضعه ، وطيبته ، وكلامه الرقيق المهموس .

وهو ككل فنان اصيل يخجل من سماع كلمات الثناء والتقدير ، وينفعل لها الى حد الارتباك والاضطراب .

واعظم ما يعجبك في هذا الفنان نفوذه الى الاعماق ، واجتيازه الهيكل المادي للمناظر التي يرسمها لينفذ الى اغوارها ، وليخلق لها شعورا ، واستجاوب معها في عطف واحساس نبيل .

زار المغرب حتى الآن مرتين : كانت الاولى في اوائل سنة 1956 حيث اقام معرضا بتطوان ، وكانت الثانية في غشت 1958 حيث قام بجولة قصيرة خاطفة في بعض ربوع المغرب ، زار فيها فاس ومكناس ومراكش ورسم في كل منها عدة لوحات ، عرضت الى جانب لوحاته الاخرى في المعرض الذي اقيم بالرباط .

وكانت الجولة الخاطفة اقصر — في الزمن — من ان تتسع لاستيعاب الروح الخاصة لكل مدينة من المدن التي زارها الفنان المصري ، ولكنه عرف كيف **(يعمق)** جولته الخاطفة ، وكيف يحملها على ان تتسع له للنفوذ الى الروح التي تكمن وراء المناظر المختلفة ، سواء كانت مناظر طبيعية ، او اسواقا ، او شوارع ، او مآذن شاهقة ، او جبالا ، او غير ذلك ، لقد عرف — في مدة قصيرة جدا — كيف يحملها على الاستجابة لشعور « **المحبة** » الذي احس به نحوها ، وقد كانت كريمة هي الاخرى ، فاستجابت له في سهولة ويسر لا مزيد عليهما

*

* *

ولست ادري لماذا يبدو من لوحات الفنان محمد صبري التي اخذها في المغرب ، انه بقدر ما يتراءى له من الوضوح والاشراق في طبيعة المغرب وشوارعه ومبانيه ، بقدر ما يتراءى له من الغموض والكثافة والتحفظ في « **الشخصية المغربية** » التي تتكرر بنفس المظهر في كل لوحاته ! ! اهو البرقع الكثيف الذي يغطي وجوه النساء ، والجلباب السابغ الذي يختفي وراءه الرجال ؟ ؟ قد يكون ذلك هو مبعث هذه « **الكثافة** » وقد يكون شيئا آخر ، وهو ان المغربي « **متحفظ** » بطبعه ، وانه صعب المراس ، وانه يتخذ منك لاول وهلة موقف « **المحايد** » فلا يفتح لك قلبه كله ، ولا يوصده في وجهك ايصادا ، وانما هو ينتظر ان يعرفك على حقيقتك ، قبل ان يصرح لك بحقيقته .

على ان المعرض لم يكن مشتملا على لوحـــات مغربية فقط ، وانما عرضت فيه الى جانب ذلك لوحات اخرى تمثل اشخاصا ومظاهر للحياة ، في كل من مصر واسبانيا وغيرهما .

وقد لاقى المعرض نجاحا كبيرا ، واقتنى متحف الفنون بالرباط لوحتين منه ليضمهما الى مجموعتـــه الفنية ، وبذلك اصبح الفنان محمد صبري يساهم في تكوين مجموعة لوحات متحف الرباط والدار البيضاء . كما ساهم من قبل في تكوين مجموعة لوحات متحف الفن الحديث بالقاهرة ، ومتاحف اخرى في اسبانيا وامريكا اللاتينية ، وتطوان ، وغيرها .

وحياة الفنان المصري محمد صبري زاخـــرة بالامجاد الفنية ، فقد اقام من قبل معارض عـــدة في القاهرة وبيروت ومدريد وبرشلونة . وشارك في عدد كبير من المعارض الدولية التي اقيمت داخل القطـــر المصري وخارجه ، ونال عدة (مداليات) محلية ودولية تشهد له بالكفاءة والاستحقاق ، كما قابله النقاد الفنيون في كل مكان حل به بكثير من التقدير والاعجاب .

*

* *

بقي ان نقول ان الفنان الاستاذ محمد صبـــري استاذ بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة ، وقد انتدبتـــه وزارة التعليم المصرية اخيرا للعمل بالمعهد الاسلامي بمدريد .

اننا نحيي الاستاذ صبري ، ونهنئه بنجاح معرضه، ونتمنى ان تتكرر زياراته للمغرب ، حتى يتمكن مـــن اختراق سحب ((**الكثافة**)) التي تغلف « الشخصيـــة المغربية » في لوحاته .

رئيس التحرير



الجبـــل في شفشـــاون
معرض الفنان محمد صبري
الربـــاط

قصة في الربيع

بقلم: محمد برادة

كان الشتاء يدلف الى ايامه الاخيرة ، والامطار قد خفت وطأتها ، والرياح تعزف لحنا حزينا ، وسحب دكناء تغلف السماء ، والطبيعة رغم الصمت الذي يلفها ، يوحي اليك مرآها انها تتاهب لاستقبال موسم جديد .

لم يكن المساء قد حل عندما كنت واقفا في حديقة البيت مستندا الى فرع شجرة توت .. ولم يكن في البيت الا «ام عبده» والدة الفراش ، وكنت المحها من بعيد وهي تتوضأ لتصلي المغرب . وكان الكلب تستثيره اصوات الرياح ، فيندفع صوب الباب ، ولكنه سرعان ما يتبين خطاه فيعود ليقعد بجانبي .

كنت احاول الا افكر في شيء ، وان انسى عالمي الخاص ، واظل مستغرقا في هذه الصورة الكئيبة للطبيعة ، ولكن نفسي لم تكن تقل عنها كآبة وحزنا . كان الحب لم يعرف بعد طريقة الى قلبي ، ولم يتسلل طيفه الى حناياي ليوقظ فيها البهجة والانطلاق .. كان الحب بالنسبة لي ملاكا جميلا ، نصبت له محرابا في فؤادي ، ورحت انشد على مسامعه الانغام والصلوات ... ولكن انتظاري طال ، بلغت العشرين من عمري ولقائي بهذا الحب لم يتم ، فهل هو وهم وخيال ؟؟ لطالما انتظرته عند كل فصل ربيع ، انهم يقولون ان الربيع موسم الحب ، ولكن ، كم ربيعا مر دون ان يهبني الحب ، لا شيء غير الحسرات .. هو ذا الربيع يعود وانا لا زلت أمني النفس بلقاء معه .. لا بد ان احب لاجرب مفعول هذا الساحر العجيب ، اني اشعر بقلبي يكاد يعلوه الصدا . اخشى ان يضل الحب طريقه اليه فيتجمد ويتحول عن وظيفته . اني لا استطيع ان استقبل شتاء آخر وانا خالي الوفاض من الذكريات .

« يا ويله من لم يحب ، كل الزمان حوله شتاء » .

وانتشلتني من خواطري ضحكات الطفل « فؤاد » وهو يتارجح في مشيته متجها نحوي ، كان في عامه الثاني ، وحيد ابويه ، وقد اتوا من الحجاز ليقضوا بضعة اشهر ، واجروا الجزء العلوي من المنزل .

واقبلت على الطفل كالعادة ارفعه بين يدي واقبله واغريه بالتلفظ بكلماته المبهمة وهو يحاول ان يعبر عن شيء ما . وبعد لحظات تناهى الي سمع صوت رقيق يهتف :

— فؤاد .. فؤاد اين انت ؟ ؟ .

ورفعت راسي مندهشا ، فلم يكن الصوت الذي سمعته يشبه صوت المربية التي كنت اعرفها . ورايت فتاة تقترب وهي تصطنع الخفر ، فقلت لابدد الارتباك الذي بدا عليها :

— اهلا وسهلا ، اشرقت الانوار .
— ناولني فؤاد من فضلك فموعد اكله قد حان
— وتذهبين هكذا دون ان اتعرف عليك ؟
— سانزل بعد قليل ..

قالتها وهي تبتسم ، فناولتها الطفل مثبتا نظراتي في عينيها وقد لفتني فيهما شيء غير عادي . كانت عيناها من النوع الذي يكفي ان تنظر اليه فينقلك الى اجواء بعيدة .. الى بحيرة ساجية تنعكس عليها ظلال الزيزفون .. العيون التي تستشعر فيها الما كامنا ، ولكنه ليس بالالم الذي يهد صاحبه ، وانما هو اشبه بالندب الذي تخلفه معركة الحياة طابعا يسم الشخص بالعناد والمجالدة .

لم يكن ملبسها يوحي بمظهر ترف يجعلني اظنها واحدة من الاسرة الحجازية . ولم تكن حداثة سنها تسمح بان اعتبرها مربية جديدة .. وظللت هكذا يتآكلني الشوق لمعرفة حقيقة صاحبة هاتين العينين الدعجاوين ذات الاهداب الوطف .

وبخطى وئيدة اقتربت من المقعد ، وركزت بصري في الطابق العلوي اتسمع الحركات مستبطئا نزولها كنت متاكدا انها وحدها مع الطفل ، فقد اعتاد الاب والام ان يخرجا بعد الظهر ، ولا يرجعان الا عند ما يوغل الليل . ورايتها في الشرفة وهي تداعب « فؤاد » فاشرت اليها ان تسرع بالنزول .

كانت الظلمة قد انتشرت ، واشعلت مصابيح الشارع فاستطالت خيالات الاشجار . وكانت هي « سميرة » واقفة بجانبي تترصد حركات الطفل وهو يلعب فوق الحشائش وتحدثني في نفس الوقت . اخبرتني انها اتت لتنوب عن امها في مهمتها لبضعة ايام، وهي غير متعلمة ، ولها اخوان في الجامعة ، تشتغل هي وامها لتوفرا لهما ما يحتاجان اليه . . .

واكتشفت فيها شيئا آخر ، عذوبة متناهية في الصوت ، فكنت امطرها سيلا من الاسئلة عن اتفه الاشياء فتفيض في الحديث غير ناسية التفاصيل ، وانا اتلذذ بموسيقى صوتها . وانتبهت الى انها لا زالت واقفة ، فامسكت بديها واشرت لها ان تقعد بجانبي ، ثم اجلست « فؤاد » بيننا وقد بدا عليه التعب . كانت يدها دافئة فاحتفظت بها بين يدي . . . واستمرت في حديثها ، ولم اكن انتبه الى ما تقوله بقدر انهماكي في الاستمتاع بنغمات صوتها . وكانت تتنقل من موضوع لآخر سواء وجدت رابطة ام لم توجد . وسمعتها تتكلم عن الحب ، قالت انها احبت منذ سنة احد اصدقاء اخيها ، احبته حتى العبادة ، وبادلها نفس الشعور ، وابدى استعداده في ان يتقدم لخطبتها ، ولكنها رفضت ، اعلنت له رغبتها في عدم التزوج به ، وعندما سالها عن السبب ، اجابته : — لاني احبك .

ولفت نظري جوابها الغريب ، فسالتها عن المصدر الذي استقت منه فلسفتها هذه ، فاجابت :

— انه مجرد شعور داخلي .. يخيل الي لو تزوجت ذلك الذي احببته لانطفات جذوة العشق في قلبينا .

وانتبهنا الى ان الطفل قد داعبه الكرى فعلت وجنتيه حمرة خفيفة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة .. وفي نفس اللحظة احنى كل منا راسه ليقبل « فؤاد » فتقارب وجهانا ، وشعرت بانفاسها تلفحني ، ودون شعور امسكت بذقنها واهويت على شفتيها بقبلة عميقة جدا .. فقد كنت اقبلها بشفتين شققهما الظماء وعاشتا في الحرمان عشرين سنة .

❊ ❊
❊

وعند كل مساء اجدني اتملص من كل المواعيد والاصدقاء لاذهب الى مقعد الحديقة في الركن القصي ، منتظرا قدومها ومعا الطفل « فؤاد » وفي كل مرة كنا نجد موضوعا تحدثني فيه بصوتها العذب، ولم تكن تحكي فقط ، بل كانت تعيش كل ما تقصه علي ، كل جارحة فيها تشارك في اخراج حكاياتها . . . وكنت اشعر ان شيئا يتسلل الى قلبي ، ولم استطع حتى الآن ان اجد له اسما دقيقا .. حقيقة انني كنت اشعر بسعادة تغمرني فتجعلني اتمنى في قرارة نفسي لو ان الزمن يبطىء ، فهل هذا ما يسمونه الحب ؟ ام ان مجرد « الفراغ » الذي كنت اعيش فيه هو الذي جعلني احس هذا الاحساس ؟ اذن فكل واحدة غيرها في تلك الفترة كان من الممكن ان تخلق في نفسي مثل ذلك الشعور

❊
❊ ❊

وذات صباح وانا ذاهب الى الكلية ، وجدت « سميرة » واقفة عند الباب ، فسالتها عن وقفتها غير المعتادة ، فاجابتني :

— اني انتظرك لاودعك .

— تودعينني ؟

— نعم فقد تخاصمت مع « الامير » جاء امس متاخرا ورائحة الخمر تفوح منه ، وفتح باب غرفتي وحاول ان يعتدي علي .. ليست هذه اول مرة ، وقد شتمته ، وقررت القطيعة معهم .

كانت تتكلم ببساطة كانها تنهي الي خبرا عاديا ، ولم ارد ان اعلق بشيء . . . وطلبت منها موعدا نلتقي فيه ولكنها فاجأتني قائلة :

— لا اظن ذلك ممكنا ، فانا مخطوبة ولا استطيع ان اقابلك في الخارج .

— مخطوبة ؟ ولكنك لم تقولي لي ذلك من قبل .

— وما جدواه ؟ الم نقض اياما طيبة كنت لي فيهاخير انيس ، والافضل ان نقف عند هذا الحد قبل ان تتاجج النار فتحرقنا .. اليس كذلك ؟

ولم ارد ان اعترض بقوة واصرخ في وجهها بكلام يقتضيه الموقف .. لم ارد ان اصطنع شيئا ، فقد كنت اعلم انني امام انسانة لها فلسفة تتبعها ، ولا يستطيع اعتراضي ان يجعلها تحيد عنها .. كانت تؤمن بان وظيفة القلب هي ان يحب كلما دعاه الحب ، ثم تطوى ضلوعها على الذكريات وتمضي في طريق الحياة .

ومددت يدي اودعها فاعطتني قارورة عطر صغيرة وهي تقول :

— للذكرى .. كلما تعطرت اذكرني ، واذكر الطفل « فؤاد » والحديقة والكرسي .

وعندما كان الربيع يسحب آخر ايامه ، لم اكن اودعه مكتئبا متفكرا بليالي الشتاء الطويلة ، فقد كنت احضن بين ضلوعي ذكريات جميلة ..

مختارات من الشعر الفرنسي :

لكي ترسم صورة طائر

جاك بريفير

تعريب الاستاذ محمد العربي الخطابي

※ جاك بريفير JACQUES PREVERT من الشعراء السرياليين المتحررين يمتاز شعره ببساطة التعبير ، وحسن الايقاع، وتالق الصور، مع خيال ضاحك مفعم بالمرح ، وتلقائية تنطوي على استخفاف بالقيود . يمزج ببراعة التعابير السريالية والالفاظ الشعبية المالوفة ، فيضفي بذلك على شعره صبغة تميزه. وهو الى جانب ذلك ذو ثروة عاطفية كبيرة تختفي وراء السخرية التي تظهر في شعره .

وقد نال جاك بريفير شهرة واسعة بعد الحرب . نشر ديوانه الاول «كلمات» سنة 1946 . ومنه اخترنا هذه القطعة، ليطلع القراء على هذا الضرب من الاتجاهات الشعرية المعاصرة في الغرب .

ارسم في البدء قفصا
ذا باب مفتوح
ثم ارسم
شيئا لطيفا
شيئا بسيطا
شيئا جميلا
للطائر
ثم اسند الرقعة الى شجرة
في حديقة
في اجمة
او في غابة
واختف وراء الشجرة
من غير ان تقول شيئا
من غير ان تتحرك
فاحيانا يصل الطائر على التو
الا انه قد يحجم سنين طويلة
قبل ان يجمع امره
فلا تيأس
انتظر
انتظر اذا لزم الامر مدة سنين
ان تعجيل الوصول او تأخيره
من الطائر ليست له اية علاقة
بنجاح اللوحة
وحينما يصل الطائر
ان هو وصل
التزم اعمق الصمت
تمهل حتى يدخل الطائر القفص
فاذا ما دخل
اوصد الباب برفق بالفرشاة
وبعد ذلك
امح القضبان واحدا بعد واحد
حاذر ان تمس ريشة من ريش الطائر
ثم ارسم صورة الشجرة
منتقيا اجمل اغصانها
للطائر
وارسم كذلك الاوراق الخضراء
وبرودة النسيم
وذرات الشمس
وضجيج الدواب بين الحشائش في
حرارة الصيف
ثم انتظر حتى يعزم الطائر على الغناء
فاذا الطائر لم يغن
فتلك علامة سيئة
علامة على ان اللوحة رديئة
وان هو غنى فتلك علامة حسنة
علامة على انك تستطيع ان توقع
حينئذ اقتلع برفق
ريشة من ريش الطائر
واكتب اسمك في احدى زوايا اللوحة

نقلا عن مجلة «كنامة»

أناشيد الأحرار

تمثيلية شعرية غنائية في فصلين

للشاعر: محمد الطنجاوي

يسر مجلة «دعوة الحق» أن تنشر هذه التمثيلية الشعرية الوطنية الرائعة للشاعر (محمد الطنجاوي) على أنها محاولة جادة صادقة للخروج بالشعر العربي في المغرب من القوالب التقليدية التي ظل وفيا لها، متجاهلا صيحات المطالبة بالتجديد، وللخروج بالشعر العربي في المغرب ايضا من التغني بالعواطف والاحساسات الشخصية الى التغني بآلام وآمال الشعب المناضل المكافح في سبيل حريته وكرامته وسعادته.

والمجلة لا تفرض فيما تنشره من الشعر ان يكون تقليديا أو ان يكون شعرا حديثا، ولكنها تطلب فقط، الجودة والابداع والشاعرية.

و «دعوة الحق» اذ ترحب بتمثيلية «أناشيد الاحرار» للشاعر «محمد الطنجاوي» ترجو لها ان تجد من حضرات النقاد الادباء ما هي جديرة به من العناية والاهتمام كمحاولة جادة في سبيل خلق ادب مغربي جديد.

دعوة الحق

الفصل الاول

اصوات المجموعة : خلال الطريق نسير .. الى غاية سامية

وتحت ظلال وعزة .. راياتنا الزاهية

وتحت سماء تزلزلها صيحة عاتية

وجوه صباح لنا ..

جباه تضيء سنا ..

وصف طويل ..

طويل بنا ..

والسنا ..

تردد في صيحة طاغية

اناشيدنا الغالية !

— بلادي انا ..

— واهلي هنا

مجموعة رجال : واجدادنا ..

مجموعة اطفال : اورثوها لنا ..

مجموعة رجال : ونحن الكبار ..

مجموعة اطفال : ونحن الصغار ..

مجموعة رجال : ولغني لنا .. !

*

صوت فخم : بلادي الحبيبة .. !

صوت فخم : بلادي التي غرق القلب فيها هياما

بلادي .. رفعت بها راية وحساما

بلادي .. زرعت بها املا قد ترامى

صوت عميق هادىء : واذكر في يوم عيد .. وكنت غلاما

سمعت ابي في الحقول .. بعيد كلاما

وتصغي اليه الشياه .. وتبدي اهتماما

ابي .. كان حرا كريما .. وكان هماما

يكد .. ويرعى .. ويحرث كي لا نضاما

سمعت ابي .. فهرعت اليه اليه الحيض هياما

وروعني ان رايت الدموع تسيل سجاما

بكى الناي في يده .. والنشيد تسامى

واصغيت حتى امتلات ..

واجهشت لما فهمت ..

واذكر روعة قول يهز القلوبا

ويفرغ في الاذن لحنا حبيبا ..!

*

وناديت :

وا أبتاه !!

ماذا تقول ..

لماذا سكت ..

لماذا بكيت ..

اعد يا ابي ..

برب السماء .. اعد ما تقول .. !

وهز ابي في يديه عصاه .. وقاما

وكان شعور يغالب نفسي .. فسرت اماما

لحقت ابي .. ورجيته ..

برب السماء .. اعد يا ابي ..

اعد ما تقول ..

ودعني هنا ..

قريبا اليك ..

لاسمع .. واحفظ عنك ..

وارعى الغنم ..
وأحدو بها .. واغنى لها ..
رقيق النغم ..
بناي سأصنعه بيدي ..

*

وفأس سترفعه عضدي ..
اشق به ارضنا الطيبة ..
وحتى اذا ما المطر ..
سقى ارضنا ..
ففي السهل والمنحدر ..
نثرنا به زرعنا ..
فيخضوضر الحقل .. والسهل والجبل ..
ويورق ذاك الشجر ..
ويرقص في قلبنا الامل

واذكركم صدني عن هواي ابي ..
هواي الذي كان كالحلم الذهبي
وكنت اذا ما سألت .. فعن وطني « **المغرب** »
ومن ذكريات يرددها في المساء .. ابي ..
يرددها .. ويشير الى الجبل الاقرب ..
ويهمس للسامعين ..
لاصحابه الخلص النجب :

« هناك صحابي قضينا على الاجنبي »

*

وكم كنت اشتاق ان اسمعه ..
يقص حكايته الممتعة ..
فيصرفني .. أن أرى موضعه ..

فلما بكيت والححت في دعوتي
يحن علي .. ويمسح لي دمعتي ..
يقول : « وماذا يهمك في قصتي ؟ !
عدو عركنا الكفاح معــه ..
عدو هنا .. قد راى مصرعه ..
فمهلا .. ستعرف قصته .. الموجعة» !!

*

وكان الصباح يموج اضواءه في السهول
وللطير انشودة .. طلقة في الحقول
وفي الربوة الحانية ..
كساها الربيع ..
والبسها .. حللا زاهية ..
اتى بي أبي بين احضانه ..
وكم كان يسعدني ان أرى ..
بين احضانـــه .. !!

واجلسني ... ورمى بصره ..
وجال بها فوق تلك الجبال ..
وهذي التلال ..
ونادى علي وخاطبني
« بني الصغير .. تعال الى لتسمع مني ..
فقد آن لي ان اقص عليك .. فتاخذ مني ..
ستاخذ مني ..
ستعرف قولا به كنت اعزف لحني ..
حكاية جيل .. اطاح هنا بالتجني ..!!
وتسمع مني ..
كفاح أبيك وشعبك !
لتطهير تربك ..
وعزة قلبك ..
لتحيى عزيزا هنا فوق ارضك !
لصون حماك .. ورفعة عرضك !

أنظر تلك الجبالا .. !
وهذي التلالا .. !
هنالك كان العدو الحقير ..
وشب صراع كبير .. !!

*

كنينا هنالك يا ولدي قصة للبطولة !
هنالك كان العدو يحث خيوله !
محونا هنالك عار الابد !
وثرنا على الظالم المستبد !

اراد العدو لنا أن نكون عبيدا ..
اراد القيود لنا .. فابينا القيودا ..
اراد الخضوع لنا .. فرفضنا السجودا ..
وشاء .. وشئنا .. فكان الصراع شديدا !
خرجنا له بالكرامة .. شعبا عنيدا !
وشب القتال ..
وكان النضال !

نساء وراء الرجال
ومعركة في الصباح ..
ومعركة في الزوال !!

ولم تك نملك الا عصيا قليلة !
وفي دمنا ثورة للفداء جليلة !
وهامات اعدائنا .. حانيات ذليلة !
ومرت ليال طوال .. !

وبين الجبال .. وحول التلال نهضنا لهم
لنا شرف دونه نستميت .. فما عندهم؟!
وكان النضال شريفا لنا .. وحقيرا لهم!

وولى العدو .. وولى بعيدا .. بعيدا ..
وسار على اثره حشدنا المنتصر
نطارده لعنات القلوب .. ووقع الحجر
نغني انتصارا ليسمع منا النشيدا
نشيدا ورثنا به عزة وخلودا
نشيدا قديما .. جديدا !

اصوات المجموعة : خلال الطريق نسير .. الى غاية سامية
وتحت ظلال وعزة راياتنا الزاهية
وتحت سماء تزلزلها صيحة عاتية
وجوه صباح لنا ..
جباه تضيء سنا ..
وصف طويل .. طويل بنا ..
والسنتنا ..

تردد في صيحة طاغية
أناشيدنا الغالية

بلادي انا ..
واهلي هنا ..
واجدادنا ..
اورثوها لنا ..
ونحن الكبار ..
ونحن الصغار ..
نغنى لها ..
ونغنى لنا ـ .. !!

الفصـــل الثـانـــي

قصة امرأة ثائرة :

انا .. اين زوجي .. واين ابي ..
واين بني الجميل الصبي ؟
واين الديار .. واين العشيرة .. ؟

ذاك العدو ..
العدو الغبي !!

عدو لو اني وجدت السبيل .. لاجعل من دمه مشربي !
لاثأر منه .. لانقم حقدا عليه .. ليتزح عن وطني « **المغرب** » !

اجل .. قد قتلت .. ولم أذنب
اجل .. قد ثأرت لزوجي الابي
لكل ضحية مستعمر أجنبي
لصبية قريتنا .. لابـــي !

❋

وثرت مع الثائرين ..
عراة الصدور .. غضاب الوجوه .. نريد الكرامة !
فدسنا القيود .. وصحنا ..
وصحنا بكل صرامة !
نريد الكرامة !
نريد الحياة .. نريد السلامة !!

فهيا اخرجوا ايها الغاصبون
فلا انتم السادة الحاكمون ..
ولا انتم بيننا دائمون .. !
غدا تخرجون ..

غدا تذهبون !

غدا ..
يا لهول غد !!
غدا تنتهي قصة بيننا ..
فاما علينا .. واما لنا ! !

❋

اجل .. قد خرجت مع الثائرين ..
لنغسل عار الابد !
لنعصف بالمستبد !
لنقلع هذي الجذور المقيمة في ارضنا ..
لنبني الحياة .. ونحمي السلام لاجيالنا !!
ونزحف نحو الشروق المبين ..
ويشمخ هذا الجبين ..

يصافح في الشمس عزتنا ! !

وجاء غد .. فانتهت قصة الغاصبين ..
اجل .. قصة الغاصبين !!

❋

واذكر يا اخوتي والدماء ..
تلطخ ذكراي .. ذكرى الالم !
فلا اليوم عيد ..
ولا الشمس نور ..
ولا الحب انشودة او حلم !

❋

ويختلط الامس بالدمع والثورات ..
وبالفاجعات ..
وبالتضحيات ..
وبالثائرين عراة الصدور .. غضاب الوجوه ..
وبالثائرات !!

❋

صبيحة عيد .. وكنت اناغي الصغير
كأن بقلبي طاحونة تستدير
فيوجف قلبي ..
وترتاع نفسي لامر خطير !
لهول كبير .. !

وضجت على الافق صيحات جيراننا
وهب الرجال ببضع بنادق حول الديار
ونحن النساء .. جميعنا علينا الصغار
وولي الكبار ..
وثارت هنالك سحب الغبار
ودارت رحى المعركة ! ! !

❋

اتى الجند في غداة الصبح نحو الديار
فصب عليها جحيم الدمار ..
وبركان نار !

وكان القدر ..
يحملق في خيبة واندحار
ويشهد ان الجريمة عار
ويبكي على مصرع الحر ..
في كل دار .. ! !

❋

وفي لحظة واحدة ..
اجل .. لحظة واحدة .. !
شربناها : مأساتنا الباردة !

❋

ففي لحظة واحدة .. !
تحطمت القرية الصامدة ..
تهدم بيتي .. ومات أبي ..
ومات .. محمد .. زوجي الحبيب .. ! !

وتحت الجدار ..
ومزقني الم قاتل ..
واقلقني جزع هائل ! !

رأيت بني الصغير يصارع قوة ذاك الجدار !
فطوح بي الالم القاتل ..
وحطمني الجزع الهائل .. !!

❋

اجل .. لحظة واحدة !

تناثر فيها الرصاص وقصف المدافع
ليخنق صيحة شعب يصارع
ليقتل سكان قريتنا اجمعين ..
قريتنا الثائرة ..
وسكانها الثائرين .. ! !

❋

ولم يبق الا ضحايا الجريمة ..
وتلك الجريمة اغلى غنيمة ..
تلوث تاريخهم عندنا ..
تجرح سمعتهم بيننا .. !

وقد تركوا هاهنا جثثا هامدة ..
واجهها الجامدة
واعينها الراكدة .. !

❋

وفي يوم عيد ..
وتأتي الفظائع في يوم عيد ! !
ويفتك هذا العدو الطريد ..
بأسلحة من جديد ..
بقريتنا الثائرة ..
وسكانها الثائرين !!

ويصرع الف شهيد ..
وفي لحظة واحدة !!

وينسحب الظالم ..
ويترك من خلفه جثثا هامدة ..
ويترك ذكرى ستبقى لنا .. حاقدة ..
ابدا .. حاقدة .. !!
ويترك من خلفه .. قصة خالدة ..
... أجل .. قصة خالدة .. !!

*

وعشت لاثار يوما لزوجي وابني الصغير ..
لاشرب من دم ذاك العدو الحقير .. !

وعشت على ذكريات الجريمة في يوم عيد
وعاهدت كل طريد .. وكل شهيـــد

وعاهدت زوجي .. وكنت أواريه تحت التراب
والثم جبهته .. والدماء تلطخها .. والثياب ..
باني سأحيى لاشهد يوم الحساب .. !
ويوم العقاب مع المجرمين الطغاة
فاما الفناء .. لنفسي .. واما الحياة !!
وغادرت بيتي المهدم .. بيتي الاليف ..
وفارقته .. والكآبة تأكل قلبي العفيف .. !

وودعت اطلال قريتنا ..
والغروب ..
ووجهي الشحوب ..
وقلبي الكروب ..
دعاء .. ولعنة !
وسخط .. ونقمة !
على صانعي المعجزات الكبار ..
معجزات الذنوب !

*

وودعت كل حياتي .. وكل مناي
مثقلة بشقاي ..

اجر ورائي حطاما من الذكريات العديدة
هنالك عشت سنين سعيدة !

زرعت هنالك احلام قلبي ..
وودعت حبي !!
هنالك حيث الغدير ..
ترعرع حبي الكبير !

ووليت وجهي .. وكلي ثأر .. وحقد مرير..!!

*

وذات صباح ..
وكنت أتيت المدينة ..
احملق في اوجه الشر .. غضبى .. حزينة ..
واجتر احزان نفسي ..
وأنفث من نقمتي ..

واذكر يوم الجريمة .. تذكره نفسي !
.. ومأساة نفسي ..
.. ومأساة عهد لعيش له امتي !
وذكرى لعيش بقلبي ناقمة .. حاقدة ..
ومرت وجوه الضحايا .. ملطخة جامدة .. !
ومرت أمامي .. وارتعشت جثة هامدة !
« محمد » زوجي .. وتلك الضحايا .. وابني الصغير ..
تذكرني بالعهود ..
لاثار للقرية الصامدة .. !!

*

افقت على ضجة ملأت مسمعي ..
جموع تدفق .. صاخبة .. ساحقة ..
هم الثائرون .. وثورتهم صاعقة ..
هم الثائرون .. وثورتهم ماحقة .. !
وصيحاتهم ..
ناشبة حانقة !!

*

سأثار .. اني سأثار .. !!
ثم اقتحمت الجموع ..
هو الشعب .. يهتف في عزة وخشوع !

*

وولى العدو الذي كان بالامس يحصدنا ..
ويقتلنا ..
باسلحة من حديد ..
ونحن نطارده .. ونصيح به : للجحيم !
ابهذا الطريد .. !

ونحن نغني النشيد ..
نشيد الكرامة.. والنصر.. والمجد..
نشيد الخلود ! !

*

اصوات المجموعة : خلال الطريق تسير .. الى غاية سامية
وتحت ظلال وعزة راياتنا الزاهية
وتحت سماء تزلزلها صيحة عاتية
وجود صباح لنا ..
حياة تضيء سنا ..
وسف طويل .. طويل بنا ..
والسنا ..

تردد في صيحة طاغية
اناشيدنا العالية

بلادي انا ..
واهلي هنا ..
واجدادنا ..
اورثوها لنا ..
ونحن الكبار ..
ونحن الصغار ..
نغني لها ..
ونغني لنا ـ .. !!

مذكرات دبلوماسي

عندما يأتي المساء ، تضاء الانوار ذات الالوان ، ويهب النسيم ، وتتحرك الاغصان ، ويتنفس الناس الصعداء ، بعدئذ يكون الوقت قد آذن بأن يختلف رجال السلك الى هذه الحفلات اليومية التي تقام كلما غربت الشمس ، كما لو كان الامر امر احتفاء بالسلامة ..

فارتد ثيابك الرسمية هذه السوداء البيضاء ، وضع على عنقك ربطة الفراشة ، واركب الى جانب الكاتب، حتى اذا ما وصلتما ، ترجلت وولجت معه مكان الاحتفال ، لتستمع الى ما يدور من حديث ..

يكتبها لمجلة : دعوة الحق
كاتب ينم عنه أسلوبه

« الكاتب الحق »

ليس « الكاتب الحق » هو الذي يعرف ان يكتب باللغة العربية الفصحى وكفى ... ولكنما « الكاتب الحق » هو الذي يمكن قراءه من ان يشاركوه حياته ، لتنبض قلوبهم بنبض قلبه ، ولتتحرك افكارهم مع تحركات فكره ، فيلجون معه عالم الفلاسف بمثل الخطوات الثابتة التي يلجون بها معه عالم الاشعاع ..! ذلك ان حياتنا تصل بين نقطتين : العواطف التافهة ذات الاثر العميق ، والتفكير الكبير الذي قد يكون ذا اثر تافه ..

« والكاتب الحق » لا يقود ، ولكنه يهدي ، وينير ، ويلقي الاضواء ، فاذا كان قارئي الكريم يقرني على ذلك ، فعليه ان ينظر الى الاشياء الصغيرة والكبيرة بمنظار واحد .

وقد كان بودي ان تكون مجلة « دعوة الحق » مجلة يومية .. واعتقد ان هذه الامنية المستحيلة هي نفس امنية عزيزي عبد القادر الصحراوي – حتى اتمكن من ان القي على الحياة واحداثها اضواء يومية ، فيعيش معي قرائي دقيقة بدقيقة ، وساعة بساعة ، وبذلك تختلط حياتي بحياتهم لفائدة نبض القلوب .. وحركة الآراء ..

وبذلك يعيش يوميا « القارىء الحق » مع « الكاتب الحق » في « دعوة الحق » ولكن المرء لا يدرك دائما كل ما يتمناه ..

« الافافــون » ..

فاجاني صاحب السعادة الرجل القصير ، ذو الابتسامة الوديعة ، والعينين الرخوتين ، والشهرة الديبلوماسية، حينما جاءني صوته يسالني : الا توافقني على ان مما يرشح المرء للدبلوماسية ان يكون من الافاقين ..؟

فسالته سؤالا مضادا في شبه صراخ: من الافاقين! ولكنه ضارب سؤالي بسؤال خبير : كم تبلغ من العمر ؟

قلت : اربعين عاما .

قال : كم قضيت منها في بلادك ؟

قلت بعد تأمل : لا ادري بالضبط ، ولكنها تتراوح بين الثمانية والعشرة .

فعاد يسأل : والثلاثون الباقية ، هل قضيتها مستقرا في بلاد واحدة ؟

اجبت : كلا ، بل في بلاد مختلفة ، وان شئت في كل مكان .

وهنا اضاء وجهه وهو يقول : هل ادركت ما ارمي اليه ؟ لقد عشت نفس الظروف التي عشتها ، ومن يدري فلعل الظروف ان تعود فتقذف بنا في امكنة اخرى من هذا الكوكب الشاسع .. لعلنا ان نلتقي في المريخ .. واي مانع من ذلك؟ السنا من الافاقين ..؟

من بين الثلاثة

اشعل اللفافة بعود الثقاب . فلما استوثق منها اخذ نفسا طويلا نفثه بعد ذلك في الهواء ، ثم سالني في خبث :

ما رايك الآن وقد استقرت الثورة في الجزائر ؟
قلت ، في تباله : اية ثورة تعني يا صاحب السعادة؟
قال : ثورة ماسو
فقلت بنفس الخبث : ماسو قنال السويس ، او ماسو الهند الصينية !! ؟ انه بشير الهزائم ..

فاعتدل الرجل في جلسته ثم نظر الي مليا وهو يقول في جد : كلا ، ما سو الجزائر !!

قلت : انه نفس الرجل على ما اعتقد !!
ـ نفس الرجل حتى تحت قيادة ديجول ؟
ـ هذا البهلوان الذي اعتاد ان يقذف بنفسه في الهواء ... هو نفس الرجل ، ولو قاده الاه ، لا جنرال

قال : وسالان ؟

قلت لا ادري : ولكني اشم رائحة مصرية بما يجري في فرنسا ، وفي هذا ما يدعو الى الفخر .

قال : ماذا تعني ؟

قلت : من هو الجنرال نجيب ومن هو البكباشي جمال عبد الناصر من بين الثلاثة !

فعاد يأخذ نفسا طويلا من لفافته وهو يتأمل دون أن يجيب .

خليلته :

قلت بيني وبين نفسي : اما ان الرجل لسفيه ، افي مثل هذه السن المتقدمة يتخذ له خليلة !!!

ومع ذلك فان هذا ما قاله بنفسه ، حينما سألته كيف يقضي يومه ، فقد خرج من فمه المتغضن ذي الاسنان الخربة صوت يقول : انه يقضيه مع خليلته .

قلت : تقصد زوجتك ، فاجاب في مرح الشيوخ : كلا زوجتي واولادي لم يصلوا بعد ، ولذلك فانني اعيش في عزلة تامة مع خليلتي .

كان الرجل مسنا قريب الشبه جدا من قرد ابيض ، ومع ذلك يقول ان له خليلة ، وانه يعيش في عزلة تامة معها ، فصحت دون تمالك : تعني خليلة !!

فاجاب في وداعة الشيوخ الواثقين بانفسهم : نعم خليلتي : آلة التبريد .

وزارة الداخلية :

قلت : تسافر هذه المسافة الطويلة بالقطار في القيظ الاحمر ، لماذا لا تمتطي طائرة ؟

قال : تلك اوامر وزارة الداخلية .

وحسبته سبق لسان .. فما لنا عهد بان الوزراء المفوضين يتلقون الاوامر من وزارة الداخلية .. انه يقصد وزارة الخارجية دون ريب .

ولكنني عدت اقول في نفسي : اما ان الامر لعجيب ، كيف تفرض عليه وزارته الخارجية ان يتوسل في اسفاره باردأ وسائل المواصلات .. تحشره هو وعائلته في قطار اشبه بقطار البضاعة لمدة لا تقصر عن ستة وعشرين ساعة ، لاجل ان يصل الى الظل ، فيقضي اجازة قصيرة يستجم فيها استعدادا لملاقاة المشواة من جديد .. يجوز .. وهل هنالك ما لا يجوز في عالم الحكومات ؟ !

واستخرجني صوته من تاملاتي قائلا : كنت محظوظا في هذه السنة ، فقد تمكنت مرتين خلالها من ان اصل الى الظل .. مرة حينما كاد الرئيس يزور بلادنا فاستدعتني الحكومة منذ شهور ، وهذه هي المرة الثانية .

ان اصحاب السعادة هنا لا يصرفون تفكيرهم في شيء قدر ما يصرفونه في حمل حكوماتهم على استدعائهم .. لهذا الامر الخطير او ذاك .. حتى اذا ما استقر بهم المقام في الظل تلكأوا .. واثاروا المشاكل ليطول بهم المقام ، ولتتاخر العودة ، فاذا ما حملوا عليها حملا عادوا الى اثارة المشاكل من جديد .. واستخرجني صوته من تأملاتي مرة اخرى ، قال : لقد تعمدت الحصول على الاجازة في هذا الوقت بالذات ، لان العيد

بعقبه ، وبذلك اتمكن من ضم الاجازتين ، هذه هي الحياة ، وماذا تريد مني ان اصنع غير ذلك لاجل ان اتمكن ولو لفترة قصيرة من التنفس فى الهواء الطلق .. واتخلص من عرقي لاطول فترة ممكنة ..

فهززت راسي وانا اقول : (ان وزارة خارجيتكم فى غاية السماحة ..) ثم سكتت فترة لاضيف ضاحكا : (او فى غاية الغفلة ..)

ولم تعجبه هذه الاضافة الضاحكة ، ولكن اساريره مع ذلك انبسطت وهو يعقب : ولكن وزارة الداخلية ليست كذلك !!

قلت : تقصد وزارة الخارجية

فقال وهو يشير الى زوجته التي كانت منهمكة فى حديث آخر باحدى زوايا الحديقة : لا ، لا ، وزارة الداخلية !! .

وهنا ادركت انني اخطات الفهم .. وان الرجل يتبع وزارتين .. لا وزارة واحدة .. ومن منا ليس ذلك الرجل .. !!

ولما كان الناس قد اخذوا ينصرفون فقد سعينا نحو مضيفنا ، ولما وصلنا الباب فى انتظار السيارة سال وهو يتلفت : اين وزارة الداخلية ؟

فاجبته : رئاسة الحكومة ، تعني رئاسة الحكومة ، ثم اختفيا معا فى جوف السيارة التي انطلقت بهما فى الظلام لا تلوي على شيء .

جائزة قدماء الصادقية «الادبية»

رات جمعية قدماء الصادقية ان تشجع الادب وتساهم فى بعث الثقافة فى هذه البلاد فقررت انشاء جائزة تحمل اسم « جائزة قدماء الصادقية الادبية » ووضعت لها الشروط التالية :

الشروط :

1) يشترط فى المتبارين ان يكونوا من ابناء المغرب العربي الكبير

2) التآليف المقدمة للمباراة فى الجائزة يجب ان تكون من احد النوعين التاليين :
ا ـ تاليف نثري من عمل الخيال (قصة ـ رواية مسرحية)
ب ـ تاليف نثري علمي فى الادب او الفلسفة او الفن او التاريخ

3) يشترط فى التآليف المقدمة الا تكون قدمت لاي مباراة سابقة وان تكون مكتوبة على الآلة الراقنة فى عشر نسخ .

4) ترسل التآليف فى طرد بريدي مضمون الوصول باسم **جمعية قدماء الصادقية** والى عنوانها : **13 نهج دار الجلد بتونس** ـ ويجعل كل متبار مع تاليفه ظرفا يكتب عليه جائزة قدماء الصادقية ويضع فى داخله ورقة ويرسم فيها اسمه وعنوانه بكل وضوح والاسم الحقيقي مع تذكير الاسم المستعار ان كان التاليف ممضى باسم من هذا النوع .

5) آخر اجل لوصول المؤلفات 10 اكتوبر 1958 وما وصل منها بعد اليوم المذكور ينظر فيه الى تاريخ خاتم البريد فينقل ان كان ذلك التاريخ داخلا فى حدود الاجل والا يرفض .

6) التاليف الفائز تعطي الجمعية لصاحبه جائزة قدرها مائة الف فرنك وتحفظ حقوقه للمؤلف .

رئيس الجمعية

محمد مزالي

العدد الماضي في الميزان

الاستاذ عبد الكريم غلاب

حينما انتدبني السيد رئيس التحرير لاعلق على العدد الماضي ، وجدت نفسي بين اثنتين كلاهما عسير وكلاهما محرج ، فلم يكن من السهل ان ارد على الحاحه بالرفض او الاعتذار ، فأنا اعتبر الاعتذار عن عدم المساهمة في اي مجهود فكري او ادبي خيانة لرسالة الادب والفكر ، وكفى الادب والفكر من خيانات المنتسبين اليهما في هذا البلد . ولم يكن من السهل ان اتناول عددا حافلا ممتازا حقا ـ كالعدد الماضي من مجلة دعوة الحق ـ بالنقد والتعليق ، فذلك يتطلب مني على الاقل ان اقرا ـ او اعيد قراءة ـ مائة واربعين صفحة من الحجم الكبير قراءة تبصر ونقد . ثم انه يتطلب مني ان ابي دعوة الحق ، فأعلق وانقد دون ان يكون في تعليقي ما يتنافى مع الحق ، او ما يمس بالدعوة التي تحملها هذه المجلة الفتية .

وكان لابد من احدى الخطتين ، فاخترت ارحمهما واطيبهما الى نفسي ، وعذري عند حضرات الكتاب الذين قد لا يروقهم هذا التعليق ، انني لم استطع ان اتخلى عن رسالة الادب والفكر ، في الوقت الذي تخلى عنها كثيرون .

والعدد في الحقيقة ضخم ممتاز شكلا وموضوعا، فان العناية التي تبذلها المجلة في الاخراج والتنظيم لا تقل مطلقا عن العناية التي تبذلها في استجلاب الكتاب واستكشاف المواهب وبعث المقبور او ما يمكن ان «يقبر» من الابحاث والمقالات .

وقد حاولت ان اقسم العدد الى البحث والمقالة والقصة والقصيدة ، كما هو الطبيعي في مجلة تعنى بشؤون الثقافة والفكر ، فوجدت معظم مواد العدد ابحاثا ، او مقالات شبيهة بالابحاث ، فالجانب الادبي او الفني ضعيف في العدد على العموم ، اذا استثنينا اربع قصائد او مقطعات شعرية حظ الادب فيها ـ او في بعضها ـ مشكوك فيه كما سنرى .

وهذه ظاهرة ليست غريبة على الانتاج المغربي ، فطابع الحركة الفكرية في المغرب ـ في تاريخه وحاضره ـ تتسم بالبحث العلمي فلسفة وتاريخا وفقها وقانونا ، اما الانتاج الادبي العربي فان حظ المغرب فيه ضئيل ضعيف على قدم عهد العربية واتصال المغرب بآفاق العربية في شماله وشرقه . وقد برهنت النهضة الثقافية الحديثة بالمغرب على انتاجير خلف لخير سلف، فانتاجنا الادبي لايقل ضآلة وضعفا عن انتاج اسلافنا ، والدليل فيما نشهد مما انتجه ادباء المغرب في ربع القرن الاخير .

وليس من شك في ان كثيرا من الابحاث التي احتواها العدد سواء منها الاجتماعية او الادبية او التاريخية قيمة يستحق كاتبوها التهنئة .

وفي طليعة هذه الابحاث البحث المهم الذي كتبه للمجلة الزعيم **(علال الفاسي)** عن **(التفكير الاجتماعي)** فقد اتسم بسعة الافق وحرية الراي التي لا تقر تعبد افكار الآخرين وآرائهم ، كما اتسم بطابع التوجيه ، فهو لا يقرر حقائق اجتماعية جافة ، ولكنه يتتبع نماذجها في حياتنا الاجتماعية، متخذا من اخطائنا واسلوب معالجتنا لهذه الاخطاء امثلة لما يريد ان يقرره من افكار وآراء ، وهكذا كانت ثورته على العلاج الواحد للمشكلة الواحدة التي تظهر في مجتمعات وبيئات تختلف عقليتها كما تختلف اصول الحكم فيها على الظواهر الاجتماعية ، ومن هنا كان مركب الخطا عند الكثيرين في نظرتهم الى الدين او الى اصلاح كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية.

والبحث من نفس المستوى الذي كتب به الزعيم كتابه (النقد الذاتي) واذا كنت اعتقد ان كثيرا من الآراء التي وردت في الكتاب قد تكررت في هذا البحث ، فان وضعيتنا ونحن نعالج مشاكلنا بانفسنا ، في حاجة الى التذكير بهذه الآراء والى التبشير بها في كل ناد وكل صحيفة ومن كل منبر .

(وحدة المغرب العربي) كان لها نصيب في العدد الماضي ، فقد نشرت المجلة بحثا قيما مستفيضا للاستاذ **(عبد العزيز بن عبد الله)** ، وقد نشر لثالث مرة بالمغرب في وقت واحد (نشرته مجلتنا تطوان ، ودعوة الحق ، ونشر في الجزء الثاني من كتاب مظاهر الحضارة المغربية) كما نشرت مقالا للاستاذ **(ابن منصور)** في الموضوع نفسه ، واذا كان موضوع الاستاذ **(ابن عبدالله)** يتسم بطابع البحث العلمي الدقيق ، فان مقال **(ابن منصور)** يتسم بالطابع العاطفي الانشائي الذي لاينسى بعض الحقائق الجغرافية والتاريخية ، وبعض التنبؤات لمستقبل هذه الوحدة .

والاستاذ **(ابن عبد الله)** في ابحاثه التاريخية لا يكاد يبتعد عن مصادره ، فهي على كثرتها ووفرتها لا تقلق الكاتب بمقدار ما تقلق القارىء ، وعبثا تبحث عن راي للمؤلف الا في مناقشة لكاتب قديم أو حديث ، بل انك لتجد الحقائق المتداولة ، حتى في الكتب المدرسية منقولة ــ بالصفحة والجزء ــ عن مؤلف عربي أو غربي . ولعل كثرة هذه المصادر وفكرة النقل عنها تضخم مادة البحث لدى الكاتب ، وتطبع بحثه بطابع الفوضى وعدم النظام ، وكل ذلك لايمنعنا من القول بأن البحث غني بالمعلومات طافح بالحقائق التي لايستطيع ان يجمعها وينسقها الا عالم باحث صبور كالاستاذ **(ابن عبد الله)**.

ومن الابحاث اللامعة التي تسترعي انتباه القارىء بحث الاستاذ **(عبد القادر السميحي)** عن **(اتجاهات الشعر الحديث) فقد** حاول ان يصور باسلوب فني عرضي شعر المدرسة الحديثة الذي يعتمد على المشاعر الانسانية والذاتية ، وعلى الصور الموحية ، وعلى الكلمة الحية الغنية بالمدلولات ، وعلى الموسيقى الهامسة ، كما حاول ان يصور انطلاق الشعر الحديث من قيود الفن القديم كالوزن والقافية ، متخذا من آراء ومحاولات شعراء العرب والانجليز ونقادهم ادلة على ما يقول ، كل ذلك في اسلوب فني رائع ، فيه حيوية وفن ، وفيه ايحاء لتجارب عاشها الكاتب مع فنه ومحاولاته . وذلك ما جعل كلمة الاستاذ **(السميحي)** تخرج عن نطاق البحث الى مجال المقالة ، ولعل ذلك ما دفع به الى ان يضع عنوانها كما ياتي **(خواطر عابرة عن اتجاهات الشعر الحديث)** .

ولا يوجد في العدد على ضخامته ما يتصل بالادب غير كلمة **(السميحي)** وكلمة **(الصباغ)** وللصباغ طريقته الخاصة في الكتابة ، حتى وهو يرثي **(ابا ماضي)** فهو يعتمد على اللفظة الثائرة والمقطع الهادر والمبالغة الجريئة والمقارنة النافرة التي تجعله يضع في قرن ضراوة هوميروس ، وسم سقراط ، وتشاؤم المعري ، وصخر الخنساء ، وشرف المتنبي .

ولا تخلو كتابات السيد **(الصباغ)** من نزعة ذاتية. فهو حريص على ان يقرن اسمه دائما بأسماء الكتاب الكبار وشعراء المهجر وادبائه على الاخص ، وقد ينتهز فرصة كلمة رثاء لينقل الى القارىء مراسلة له مع ابي ماضي .

ونعود الى الابحاث ــ والعدد كله بحوث ــ فنجد بحثا قيما للمرحوم **(محمد السايح)** عن **(الفخر الرازي في عالم الفلسفة)** وقد برهن البحث مرة اخرى عن نشاط علمي ممتاز لفقيه وقاض شرعي ، لعله آخر من تمثلت فيه شخصية العلماء الفقهاء كما عرفهم المغرب وكما عرفتهم الاندلس ، فقد كان لقب الفقيه يحمل معنى العالم الذي يسهم بنصيب وافر في الثقافة الاسلامية التي اتسعت آفاقها ، فشملت الفلسفة والادب والتاريخ .

وكان المرحوم **(محمد السايح)** يمثل هذا الجيل من الفقهاء ، وتلميذا مخلصا لهؤلاء المثقفين ثقافة اسلامية ، **وحبذا لو اتجهت نية ابنائه الى نشر مآثره من كتب وابحاث ، وخاصة الابحاث التي تتصل بالتراث الاسلامي ، والتي تتصل بالعلوم والفلسفة والفقه .** غير ان عنوان البحث كان اضخم من محتواه ، فقد تناول بدقة عصر الرازي وأثره في نشاطه العلمي وترجمته باختصار . اما آراؤه الفلسفية والعلمية فقد كان عرضه لها سطحيا وسريعا ، ولعل مما يشفع له في ذلك انه بحث قصير وليس كتابا ، والموضوع كما رسمه العنوان اضخم من أن يتسع له بحث قصير .

وفي العدد بحث قيم للاستاذ **(عبد العزيز بن ادريس)** عن **(الشخصية الانسانية في الاسلام)** وفيه فهم قويم لروح الاسلام وابراز للحرية الفكرية كمافهمها الاسلام ، ودعوة مؤيدة بالحجج القرآنية الى التحرر الفكري ، ومقال الاستاذ **(عبد العزيز)** مساهمة منتجة في الادب الاسلامي وفي الدراسات الحديثة التي ابتدات في الشرق بأبحاث **(امين الخولي)** و **(سيد قطب)** و **(الشيخ البنا)** ، والتي هي استجابة كريمة لدعوة **(محمد عبده)** وحبذا لو كان هذا البحث نموذجا للذين يتحدثون عن الاسلام ويكتبون عنه في دعوة الحق .

ومن ابحاث العدد التي تسترعي الانتباه بحث عن **(الدبلوماسية المغربية)** للاستاذ **(بنيس)** وهو يصور العمل الدبلوماسي والعسكري الذي قام به المغرب للمحافظة على سيادته واستقلاله ازاء القوى الثلاث التي هددت المغرب في القرن السادس عشر ، والبحث اشبه بعرض تاريخي طغى عليه العمل العسكري والخلاف الداخلي ، ولم يتناول من الدبلوماسية المغربية الا مظهرا سطحيا بسيطا عرضه عرضا سريعا . ومع ذلك فهو

محاولة جديدة لدراسة الموضوع ، ارجو ان يوفق كاتبها الى مراجعة مصادره ، وبالاخص منها الوثائق التي تتجلى في المكاتبات الخاصة بين السلطة المركزية في المغرب والسلطات الدولية التي كانت تنازع المغرب سيادته واستقلاله ، ثم في البعثات الديبلوماسية التي كانت تتردد بين المغرب وتركيا ، او بين المغرب واسبانيا والبرتغال .

واحب ان انبه الكاتب الى بعض الاخطاء النحوية واللغوية ، وهي قليلة ، ولكن ما كان ينبغي أن يقع فيها . وما رايه مثلا في ان (اسبغ) لاتكتب بالصاد ؟ .

وفي العدد ترجمتان لبطلين من ابطال المغرب هما **(عبد الله بن ياسين)** و **(محمد العياشي)** ، كتب الاولى **(محمد علي الكتاني)** وكتب الثانية رئيس تحرير المجلة **(عبد القادر الصحراوي)** ، وفي كل منهما عرض واف لمراحل الكفاح التي اجتازها البطلان ، سواء في الدعوة الى التحرر الديني كما صطبغت به دعوة عبد الله بن ياسين ، او التحرر السياسي كما اصطبغت به دعوة **(العياشي)** . والاحظ في ترجمة **(ابن ياسين)** ان الكاتب نفى عن **(عبد الله بن ياسين)** كل تفكير سياسي ، واذا كان قد استهدف لخوض غمار السياسة فانما ساقته الى ذلك الحوادث القاهرة ، والذي أعتقده ان العمل السياسي كان هو هدف ابن ياسين ، وقد تكون الدوافع دينية او خلقية ، ولكنه كان يهدف الى تكوين دولة ، وقد تكونت هذه الدولة بعد ان مهد لها الطريق وفتح لها أبواب المعركة .

اما ما الاحظه على كاتب ترجمة **(محمد العياشي)** فهو هذا الاستطراد الممل والطول المتعب والحرية التي يعطيها لنفسه ، سواء أكتب المقال او البحث او الترجمة فنشر صفحات من المجلة كثيرة جدا على المعلومات القيمة التي قدمها للقراء عن **(محمد العياشي)** والموضوع طريف والرجل مجهول نسبيا ، ولكن الموضوع والمعلومات كثيرا ما تضيع وسط الاستطراد و «والبحبحة» في الكلام ، ولعل عذر السيد **(الصحراوي)** أن وقته لايتسع للتركيز والاقتصاد في القول .

ثم يأتي مقال **(نحو مستقبل افضل)** للسيد **(محمد بناني)** وهو عرض وتصوير لبعض اوضاع المجتمع المغربي ، وقد بداه منذ خلق الله آدم **(آدم العربي بالطبع)** ولكنه مع ذلك تصوير لمعالجة الاسلام مشكلة تكوين المواطن الصالح عن طريق المسجد والمدرسة والنادي ، وعن طريق العبادة والعقيدة والصوم والزكاة، ودعوة الى فرض ضريبة الزكاة كعلاج للفقر ، وكنت افضل ان يعرض الكاتب بحثه بطريقة موضوعية ، فيصور مجتمعا ، ويقترح ما يراه من اصلاح لبناء مستقبله على اسس افضل ، وبذلك يتحد موضوعه وتتركز افكاره الاصلاحية التي يدعو اليها .

وبحث آخر طويل عن **(اسير اغمات)** كتبه السيد **(المهدي البرجالي)** وفي البحث مجهود مشكور وتلمس للحقائق من خلال التاريخ ، ولكنك تبحث عن جديد من النظريات او النتائج فلا تكاد تجد رغم طول البحث ، ومهما يكن فان المجهود الذي يبذله شبابنا في تلمس الحقائق ودراسة تاريخ بلادهم وتفهم المشاكل العلمية عن طريق الدراسة والبحث ، كل ذلك مما يبشر بمستقبل زاهر للحركة الفكرية في هذه البلاد .

وفي بحث **(العروبة والاسلام)** **يلخص** الدكتور **(المهدي المنجرة)** النظريات التي ابديت عن نشاة العالم العربي والاسلامي ، والاختلاط الذي حدث في التفريق بين العربي والمسلم ، وبين العروبة والاسلام ، وبين الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية والثقافة الاسلامية .

وقد انتهى من بحثه الى نتيجة تتصل بواقعنا في مفهوم **((عربي))** وهو ان هذا المفهوم يعتمد على اللغة وعلى فحوى وطني ، تلونه المفاهيم الجديدة للقومية التي تحاول ان تتجاهل الشريعة الاسلامية **(لعله يقصد الدين الاسلامي)** دون ان تتجاهلها .

والبحث قيم في حد ذاته ، ولكن الملاحظ ان النظريات التي ساقها الكاتب ــ ومعظمها صائب ــ لخصها او اعتمد فيها على مصادر اجنبية . وبعض هذه المصادر تحدوها نزعة غير علمية حينما تتحدث عن العروبة والاسلام ، ويمكن ان نضرب مثلا لذلك بالحكم الذي اصدره **(الدكتور حتى)** (وهو عربي الاصل مسيحي الدين غربي الثقافة) في موضوع انتصار فكرة العروبة او فكرة الاسلام في العهد الاموي ، فقد قال **(حتى)** في هذا الصدد : **(لقد انتصرت العروبة باديء الامر، وليس المحمدية)** واضاف المنجرة تفسيرا لذلك قائلا : (ذلك ان قرنين انصرما قبل ان يبدأ الناس في ممارسة الاسلام) وقد يكون الدكتور **(حتى)** انساق مع ما يقرره التاريخ من ان النزعة الاموية انتصرت على النزعة الهاشمية ، ولكن رغم العصبية القبلية التي كانت تسير الحياة السياسية في بداية العهد بالاسلام ، فان الفكرة المحمدية ، اعني الاسلام ، كانت فوق ذلك ، ولا يمكننا مطلقا ان نقرر ــ مع المنجرة ــ ان الناس لم يمارسوا الاسلام الا بعد انصرام قرنين . واعتقد ان السيد المنجرة لو اعتمد على مصادر عربية الى جانب مصادره الاجنبية ، لتحرر قليلا من المسلمات التي نقلها ، وكأنها وحي نزل من السماء .

والجانب الادبي الفني لم يحظ من العدد الا بصفحة ونصف صفحة (الى جانب الشعر طبعا) انتزعهما الاستاذ **(عبد المجيد بن جلون)** في تصويره الرائع **(للحمى)** وهي تقسو بسياطها الفاجرة الداعرة على مكان الجسم والروح والعقل والاحلام من شباب اخذت الحمى المجنونة بتلابيبه اخذا لا رحمة فيه .

وبودي ان لو فسحت المجلة صدرها للجانب الفني الادبي من قصص ومقالات ، فان ذلك كفيل بتحقيق معنى **((المجلة))** وكفيل ايضا باداء رسالتها الفكرية والادبية .

ولي مع الشعر في العدد حديث كان بودي ان يطول لولا ان مادة العدد قد ارغمتني على أن أطيل اكثر مما قدرت .

في العدد خمس قصائد او مقطعات ، اولاها **(ملك ونصر) (لمحمد الحلوي)** ، ويخيل الي بادىء ذي بدء ان هذه القصيدة قد نشرت واني قراتها ، فاذا كنت صادقا في حدسي فا يموجب لان ينشر الانتاج الواحد في الصحف والمجلات عدة مرات ؟ واذا لم يصدقني حدسي فان المعاني نفسها قد تكررت وبصورة واضحة عند الشاعر نفسه ، وفي عدة قصائد من قصائده العرشية ، ولو نشرت هذه القصائد مجموعة لبان واضحا هذا التكرار الفاضح ، واقراوا المقدمة فستجدونها في كل قصيدة قالها **(الحلوي)** في مدح الملك ، بل اقرأوا القصيدة جميعها فسوف لاتجدون معاني جديدة الا ما استحدثته الايام من احداث وقف فيها الملك حقا مواقف مجيدة .

وفوق هذا فالاسلوب رائق منسجم ، والقافية طيعة لينة ، واللفظ مختار معبر ، والانسجام بين المضمون والاداء متوفر ، وهي براعة نقدرها في الشاعر الحلوي .

وقطعة **(مصطفى المعداوي)** قطعة خفيفة ذات اسلوب حي ، وهي من الشعر الفردي الذي لايكاد يحس قارئه بتجاوب مع الشاعر ، فبحسبنا ان نرجو للشاعر مستقبلا وتوفيقا اذا ما تناول موضوعا انسانيا او تجربة شخصية تجد صداها في كل نفس .

وقطعة **(نهر السبين) (لمحمد الناصري)** فيها تصوير لا بأس به ، ولقطات لاتعدو ان تكون لقطات شخص عادي والاسلوب ايضا في حاجة الى سبك وصقل ، ويبدو ان العهد قد بعد بالشاعر عن ممارسة الشعر ، ولكن ذلك لايعني ان الممارسة وفتح الآفاق سوف لاتقضي على هذا التعثر ، فتخرج بشاعرنا من طور المحاولات الى الانتاج الرفيع ، فان ذلك ما نتوقعه ، وما هو باد بوضوح في القطعة التي بين ايدينا .

والسيد **(التواتي)** يسجل في قطعة **(صومعة حسان)** مشاعره التي احس بها منذ سنة 1946 ولعل القراء يحسدونه على الذاكرة القوية التي تتمتع بهذه المشاعر ، فقد سجلها بعد اثنى عشر عاما ، فكانت كلها تمجيدا للفن والسطوة والحرب والعدل والقوة وماشئت من صفات تمتع بها الاجداد الذين طوتهم صحف الغابرين ، اما صومعة حسان فلم يكن لها من اثر في هذه المشاعر ، الا الأثر الذي خلفته في المقدمة ، ان جاز لنا ان نحسب المقدمة من صلب القصيدة . انها لقطات على الهامش ، ولكنها مع ذلك حية بأسلوبها واختيار الفاظها وجرس قافيتها .

وتأتي بعد ذلك **(تحية) (علي الصقلي)** وهي تحية كريمة لدعوة الحق كان يمكن ان يكتبها نثرا ، فيعفينا من **(شذا الخزام الذي يضمخ المعمور ، وقرن الشمس الذي يزجى النور للتائهين مع الدجى مسطورا) .**

وبعد فلي مع التحرير حساب آخر : كنت آمل ان يعفينا من هذه المقدمات الطويلة التي تكاد تملأ الصفحة الاولى من كل قصيدة او مقال او بحث .

وكنت آمل ان ينسق العدد على ضخامته ووفرة مواده تنسيقا افضل ، فلست أدري الى اي قاعدة من قواعد التصنيف يخضع تنظيم العدد .

ثم هذه الصور الجميلة البديعة توضع في كل ركن لا يملاه سواد ، فتضيع قيمتها الفنية ، وتأتي كسواد يملأ فراغ البياض ، مع ان بعضها قد تكون اروع من مقال واجمل من قصيدة .

وتأتي بعد ذلك مشكلة الاختيار ، فلعل السيد رئيس التحرير لايلج هذه المشكلة ما دامت المادة عزيزة ، وما دام لايظفر بالمقال او القصيدة الا بعد مجهود دونه مجهود الكاتب أو الشاعر ، ومع ذلك فليس من رايي ان ينشر في المجلة كل ما يرد عليها .

ثم لي ملاحظة اخيرة ، وهي ان مفهوم المجلة ليس معناه مجموعة مقالات وقصائد فحسب ، فالتحقيق الادبي ، والاستفتاء ، والخبر ، والمناظرة ، وتصوير النشاط الفكري والعلمي والادبي في الداخل والخارج ، كل ذلك مما يدخل في مفهوم المجلة .

والذي ارجوه أن توفق ((دعوة الحق)) في سنتها القادمة بعد ان شقت طريقها وكافحت في سبيل تدعيم كيانها في سنتها الاولى .



مساهمة الفكر المغربي في النقد الادبي

الأصمعي في "فحولة الشعراء"

بقلم
محمد عبد الواحد بناني

الصحراء – كانت – مسرح حياة العربي في الجاهلية . منها يستوحي نمط معيشته وعاداته وطريقة تفكيره واحساساته .. هي التي جعلته شجاعا فخورا متعصبا لقومه راحلا ظاعنا ، متتبعا مساقط المياه في الصيف والربيع .

كان يناضل من اجل الحياة ، يسعى ويكد ويكدح، مستروحا نفسه وناقته « بالغناء » معتقدا ان للاغاني قوة مساعدة على العمل ، لذلك سمي صانعها (شاعرا) اي صاحب علم ودراية ، له معارف سحرية خارقة ..

كان عرب الجاهلية يجلون الاغاني ويخشونها ، معتقدين ان فيها قوة خفية تقهر الاعداء وتنال منهم ، ولهذا اعتقدت (غطفان) في (بشامة بن الغدير) و (هوازن) في دريد بن الصمة ، و (قضاعة) في زهير بن جناب الكلبي .

تنوعت موضوعات هذه الاغاني ، فكان منها الوصف ، والغزل ، والهجاء ، والرثاء ، ولكن اشدها وقعا كان هو الهجاء . يسلط الشاعر بواسطته شيطان شعره على العدو ، فينال من عرضه ، ويثير عليه الارواح الشريرة ...

صاغ العربي هذا الشعر بلهجة قومه سجعا ثم رجزا ، ويوم اهتدى الى الرجز كان له شعر صحيح .. وعندما تغلبت لهجة قريش على غيرها قبل الاسلام بنحو قرن او يزيد ، واصبحت لغة الشعر ،، كان ذلك من عوامل اتقانه ونضجه ودفعه الى حيث العافية والاستواء ... فمن حيث المبنى وجدت تفاعيل واعاريض جديدة ، اما من حيث المعنى فاحداث جديدة غذت الوجدان والشعور .. جولات في البلاد المتاخمة وتعاليم اليهودية والنصرانية ، وحروب كدا حس والغبراء والبسوس ، كل ذلك الهب العاطفة واذكى الانفعال ، ولم يكن غير الشعر العربي متنفس هذا وذاك، فهو لسان العرب المعبر ، وقلبهم الخفاق ، وترجمانهم الامين .

لم يعرف التاريخ هذا الشعر الا مستويا منسجم التفاعيل كشعر المعلقات ومن ادركوا الاسلام أو كادوا ، كما عرفه عربي المولد والنشأة ، اعاريض ونهجا واغراضا وروحا ، اذ كل التيارات والحضارات الوافدة لم تمسه، الا ما كان من بعض فنون البيان كالتشبيهات وبعض الافكار .

لا شك ان هذا الشعر قد مر بكثير من ضروب التنقيح والتقويم الى ان اكتمل في أواخر العهد الجاهلي، اذ بين طفولة الشعر العربي يوم كان مجرد حداء ، وبين القصيدة ، عهد من الاصلاح والتهذيب قبل ان يصل الى الجودة والاتقان ، فليس عمود الشعر ، ووحدة الروي والحركة .. والتصريع والترصيع ، طفرة ... وانما عرفت هذه وغيرها بعد سلسلة من التجارب في التهذيب والتقويم ، هذه التجارب هي التي تمت وترعرعت فكانت الاساس لدراسات قيمة منتجة في تاريخ الادب العربي تعرف باسم (النقد الادبي) .

على ان نقد الادبي غير تاريخه : يقول ج لانسون في كتابه : (منهج البحث في الادب واللغة) **(النقد في ادق معانيه هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الاساليب المختلفة)** وهو روح كل دراسة ادبية اذا صح ان الادب هو **(كل المؤلفات التي تكتب لكل المثقفين لتثير لديهم ، بفضل خصائص صياغتها ، صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو احساسات فنية)** والنقد هو الذي يظهر تلك الخصائص ويحللها ، ثم ياتي تاريخ الادب فيجمع تلك المؤلفات تبعا لما بينها من وشائج في الموضوع والصياغة ، وبفضل تسلسل تلك الصياغات يضع تاريخ الفنون الادبية ، وبتسلسل الافكار والاحساسات يضع تاريخ التيارات العقلية والاخلاقية . وبالمشاركة في بعض الالوان وبعض المناحي الفنية المتشابهة في الكتب التي من نوع ادبي واحد ، ومن تاليف نفوس مختلفة ، يضع تاريخ عصور الذوق) .

لقد زامل النقد التأثري عند الجاهلية وصدر الاسلام الشعر مذ كان ... وهو نقد يقوم على التذوق .. يسنده الاحساس الفني المرهق ، ويعتبر الاساس الذي تقوم عليه كل الدراسات النقدية المنهجية سواء في القديم أو العصر الحديث .. ان كتب الادب العربي وخاصة الاغاني لابي الفرج الاصبهاني غاصة بلمحاتهم الاولى في هذا الصدد . وقد بلغت من التركيز حدا جعل بعضها يسري مسرى الامثال على الالسن كقولهم **(أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب، والنابغة اذا رهب ، والاعشي اذا طرب)** ولكن نقدهم هذا يعيبه انه كان نقدا شفهيا ، والنقد الشفهي يقوم عادة على التسرع أكثر مما يقوم على الدراسة والتعمق ، وهو عرضة للتغير ، اذ قد يغير الناقد رايه بعد ايام ، يضاف الى هذا عدم وجود منهج ، لما كان يسيطر عليهم من بداوة اذ ذاك ، والنقد المنهجي — كما يقول الدكتور مندور — لا يكون الا لرجل نما تفكيره ، فاستطاع ان يخضع ذوقه لنظر العقل ، وهذا ما لم يكن عند قدماء العرب .. ومن ثم جاء نقدهم جزئيا مسرفا في التعميم، يحس احدهم بجمال بيت من الشعر وتنفعل به نفسه فلا يرى غيره ولا يذكر سواه ، كما يضاف الى كل هذا عدم تعليل ما كانوا يصدرونه من احكام ، فكانت لذلك مجرد انطباعات آنية ، لا دراسات موضوعية ،.. **جاء نفر الى مروان ابي حفصة ينشدونه، فكان كلما سمع من أحدهم شعرا قال له : اذهب فانت اشعر الشعراء .. فلما ضاق بهم قال لهم : اذهبوا .. فكل الناس اشعر الناس !!!**

الا ان شخصين من الذين كانوا يعنون بالشعر يتدارسونه ويتلمسونه ، كثيرا ما حاولا ان يعللا احكامهما بعض التعليل .. يقول عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس : انشدنا لامير الشعراء : فيجيبه : ومن هو ؟ فيقول عمر : ذلك الذي لم يكن يعاظل في المنطق ، وينشد الناس بما فيهم ... زهير بن ابي سلمى .

كما نجد عندهم بعض المحاولات لتصنيف الشعراء في طبقات كقولهم : اشعر شعراء الجاهلية : امرؤ القيس والاعشي وزهير والنابغة ، وهذا له قيمة ، اذ مثل هذا الاتجاه في التصنيف يفتح باب (الموازنة) بين شاعر وآخر وبين خصائصهما ، لان تصنيفهم — أعني الشعراء — في طبقات ، لا ياتي الا نتيجة لدراسة ما بينهم من اوجه الشبه واوجه الخلاف ، ومثل هذه النتائج الايجابية تتجلى بوضوح فيما بعد عند عبد العزيز الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه، كما نجدها عند الآمدي قبله في الموازنة بين الطائيين .

ولكن رغم كل هذا ، فالمنهج العلمي الصحيح يفرض علينا ان نرفض كل اللمحات النقدية التي تدوولت على الالسن قبل (عصر التدوين) اذ ما مدى صحتها؟ تناقضاتها هل هي حقيقية ام من صنع الرواة؟؟ ان محاولة دراستها ستكون محاولة عائمة مائعة ، ولهذا نخير للباحث ان يهملها ، اذ سوف لا يخرج منها بنتيجة حاسمة .

اما عند ما نبتدىء دراستنا للنقد مع الوثائق الصحيحة في عصر التدوين فالنتيجة — حتما — ستكون شيئا آخر .. ان نشوء النقد الصحيح ابتدأ يوم بدأ العرب يدونون تراثهم في كتب ، فالنقاد الاولون هم محققو الشعر ومدونوه .. الذين مهدوا سبيله امام النقاد الفنيين ، حيث صنفوا مادته وحققوا روايته ، وتناولوه بالاحصاء والاستقراء ، حتى اذا جاء النقاد الفنيون ليقارنوا ويوازنوا وجدوا الفرصة سانحة ، اذ كيف يمكنهم — لولا هذا — ان يدرسوا وينقدوا ؟ .

ينشد الاصمعي مرة كلمة (ركك) فيعترض عليه اعرابي بانها (رك) لا (ركك) فيسرع الاصمعي في الحال الى تدوينها .. شأن الرواة الثقاة الذين كانوا يتعهدون اللغة اذ ذاك بالتنقيح والتصحيح، هذا الذي كان بطبيعته اولى خطوات النقد الصحيح .

ابتدأ جمع الشعر العربي وتدوينه مع نهاية القرن الهجري الثاني واوائل الثالث ، فصنفت الدواوين الشعرية التي تذكر شعر كل شاعر على حدة ... يذكر (ابن النديم) في (الفهرست) و ياقوت ، في (معجم الادباء) ان الرواة الاول بذلوا كل جهد من اجل تصنيف هذه الدواوين ، حتى انهم كادوا ان يفرد والشعراء مغمورين دواوين خاصة .. ومن جهة اخرى فقد جمعت المجموعات الشعرية التي لا تقتصر على شاعر بعينه ، بل تتعداه الى غيره من الشعراء ، كالاصمعيات للاصمعي ، والمفضليات للضبي كما وجدت المجموعات الشعرية القبلية ، كديوان الهذليين الذي جمع فيه السكرى اشعار الهذليين .. ومن هنا ابتدأت خطوات النقد الفني عند العرب في الانطلاق .

*

اقدم محاولة وصلتنا وثيقتها في هذا الموضوع هي للاصمعي (163 — 216 هـ) ابي سعيد عبد الملك ابن قريب المنسوب الى جده اصمع .

ولد في بيت عربي الارومة كريم المحتد .. وتلقا دروسه الاولى في البصرة ، كما نقل عن فصحاء العرب

الذين كانوا يفدون عليها ، واكثر الخروج الى البادية ومشافهة الاعراب بها .. وربما استغرقت بعض جولاته سنوات يحج اثناءها ويلتقي بالفصحاء في المواسم ، حتى جمع من الاشعار والنوادر والاخبار الشيء الكثير .

كان معاصرا لابي عبيدة ـ معمر بن المثنى الشعوبي المشهور ـ منافسا له في اللغة والرواية . حدث الاصمعي عن نفسه فقال :

(حضرت انا وابو عبيدة عند الفضل بن الربيع، فقال لي : كم كتابك في الخيل ؟ قلت : مجلد واحد ، فسال ابا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلدا .. فقال له : قم الى هذا الفرس وامسك كل عضو منه وسمه ، فقال ابو عبيدة : لست بيطارا ، وانما هذا شيء اخذته عن العرب ، فقال لي الفضل : قم يا اصمعي وافعل انت ذلك ، فقمت وامسكت ناصيته ، وجعلت اسميه عضوا عضوا ، وانشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغت منه ، فقال خذه ، فاخذته ... وكنت اذا اردت أن اغيظ ابا عبيدة ركبته اليه) وهذه القصة تدل على قوة ذاكرة الاصمعي وعظيم اطلاعه.. فكان لهذا اشهر علماء عصره ثقة في الرواية وتضلعا في اللغة .. ونقدا للشعر .

له من المصنفات ما جاوز الاربعين ، اكثرها في اللغة ، واغلبها غير مطبوع ، منها كتاب الاجناس ، وكتاب الخيل ، وكتاب النبات ، وكتاب النوادر ، وكتاب الاراجيز ، وكتاب معاني الشعر .

واخيرا لا آخرا كتاب باسم **(فحولة الشعراء)** لم يطبع بعد مستقلا ، وانما ضمن بعض المحاضرات التي قام بطبعها مؤتمر للمستشرقين باوربا ، هذا الكتاب هو الذي يهمنا ، ومن اجلها دار هذا الحديث .

لم يحرره الاصمعي بنفسه وانما رواه عنه تلميذه ابو حاتم السجستاني .

(فحولة) جمع (فحل) ، وهذا وصف للبعير الذي يتقدم القطيع ، ومن استقراء الكتاب يتضح لنا ان الاصمعي يشترط في الشاعر الفحل ان يكون جاهليا اولا وقبل كل شيء ـ اذ ابو حاتم يساله عن بعض الشعراء الاسلاميين فيجيب : لو ادركوا الجاهلية لكانوا فحولا .. وهذا اول مظهر من مظاهر التعصب للقديم الذي سيكون له اثر بالغ في كثير من النقاد بعده ـ وان تكون عبارته جزلة فخمة ، بعيدة عن الهلهلة ، فالحارث بن حلزة طبقا لهذا ، فحل ، اماخصمه عمرو بن كلثوم فلا ، كما يجب ان تكون لغته عربية اصيلة لم تمسها عجمة .

يسأل ابو حاتم استاذه عن عدي بن زيد الذي راكز الحيرة وعايش الحضر ، فيجيبه : **انه ليس فحلا ولا انثى !!** والسبب واضح .. ذلك انه لم يعش في تربة عربية خالصة ، فلم تسلم لغته من شوائب . كما ان الفحل يجب ان يكون من المكثرين ، فالذي لم يرو له الا قصائد معدودات لايعد فحلا **(لو كان لفلان اكثر من اربعة قصائد لكان فحلا) ..**

وهكذا يصدر الاصمعي احكامه على الشعراء طبقا لهذا المنهج .. فيفضل من الاسلاميين من كان كلامه اشبه بكلام القدماء ، فالراعي في راي الاصمعي اشعر من ابن مقبل ، لان انتاجه (اشبه بالشعر القديم) كما يتحدث عن بشار فيقول : لو انه سبق عصره لعد من الفحول ؟ .

هذه مبادىء في النقد لاشك انها بسيطة ساذجة لكنها في عصرها ذاك كانت تمثل بداية المحاولة ، كما انها ستكون لها نتائج خطيرة فيما بعد على النقاد ، ولهذا يعتبر كتاب (فحولة الشعراء) للاصمعي الاساس الذي قامت عليه مدرسة النقد الادبي عند العرب.. تلك المدرسة التي كان شعارها العام (التعصب للقديم) والتي كان لها ابلغ التاثير على (ابن قتيبة) من بعد في (الشعر والشعراء) .

كان التعصب للقديم المحور الذي تدور عليه هذه المدرسة النقدية ، سبق اليه ابو عمرو بن العلاء الذي كان يقول عن شعر الفرزدق وجرير : **(لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته)** ويقول: **(لو ادرك الاخطل يوما واحدا من ايام الجاهلية ماقدمت عليه احدا)** ثم نشر لواءه وارسى قواعده الاصمعي وابن الاعرابي .. هذا الاخير الذي نشد يوما شعرا لابي تمام ، فعلق عليه بقوله : **ان كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل .**

لو ان مناصرة الشعر القديم عند هؤلاء ، كانت لاسباب فنية ذاتية فيه ، كصدق الاحساس او نبل الشعور او قوة التاثير وجمال التعبير ، لقلنا انه الذوق الخاص الذي له سلطانه الكبير على النقد والنقاد ، ولكنهم ناصروه ـ بل تعصبوا له ـ فقط ، لسبقه ولانه عندهم قديم !! .

يتحدث ابن رشيق في العمدة عن مذهبهم هذا فيقول :

(كل واحد منهم يذهب في اهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم ، وليس ذلك لشيء ، الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما ياتي به المولدون ، ثم صارت لجاجة) .

ويرجع سبب هذه الظاهرة في الغالب ، الى ان هؤلاء النقاد كانوا لغويين ، وقد اصابهم من مهنتهم هذه ما يعرف في علم النفس بـ (انحراف الصنعة) ولهذا كان نقدهم محافظا شديد التعلق بالماضي ، منتصرا فقط للادب القديم والمثل الفنية التي انبثقت عنه .

حكي ابو عمرو الطوسي قال : **(وجه بي ابي الى ابن الاعرابي لاقرا عليه اشعارا ، وكنت معجبا بشعر ابي تمام ، فقرات عليه من اشعار هذيل ، ثم قرات ارجوزة ابي تمام على انها لبعض شعراء هذيل :**

وعاذل عذلته في عذله
فظن اني جاهل من جهله

حتى اتممتها فقال : اكتب لي هذه ، فكتبتها له ثم قلت : احسنة هي ؟ قال ما سمعت باحسن منها !! قلت انها لابي تمام ، فقال : خرق خرق) ..

لقد كان نقادنا الاول – وعلى راسهم الاصمعي – رواة اللغة في آن .. حيث انبثقت آراؤهم النقدية عما قاموا به من دراسات لغوية ، وهذه الاخيرة بطبيعتها محافظة شديدة التعلق بالماضي ، اذ كان المقصود منها في الغالب المحافظة على لغة القرآن وصيانتها من الاشياء الدخيلة .

ثم تحولت القيم اللغوية عندهم الى قيم فنية ، فاذا الادب القديم مثال دونه عالم المثل .. كل ما لم ينتم اليه هذيان او فضول .

لقد كان موقفهم هذا رد فعل ايضا لنشاط الحركة الشعوبية ، دفعهم الى مناصرة كل ما هو عربي خالص ، نظرا لكون الشعوبيين يتعصبون ضد كل ما هو عربي ايضا ، ولكن رغم كل هذا وذاك يبقى موقفهم مجافيا لروح الفني الصحيح الذي لايهتم بالزمان والمكان .. اهتمامه بالعمل الادبي في ذاته ولذاته .. مدى ما ينطوي عليه من صدق فني وروعة في التاثير والتصوير ، وما يعكسه من قيم انسانية بواسطة التعبير الجميل عن الشعور النبيل .



للأستاذ
محمد الحلوي

نحن في جيل طابع ابنائه السرعة التي يحكمونها في كل شيء ، حتى في قراءة الشعر او الحكم عليه . ولذلك قل ان نظفر بمن يقرا الشعر بحالة نفسية انفعالية ترتفع الى الاجواء التي هام الشاعر في فضائها وقاسى من عنائها، تهبط به على مواقع الجمال فيهيم بها وتحوم على مواطن القبح فينتكبها .

وان مما يقر العين ويشرح الصدر ويبشر بالخير لحركتنا الادبية الناشئة ، ان نجد من بيننا من يتطلع الى الشعر ويتعشقه كهواية ، يقراه قراءة تمعن ، يبذل في فهمه الجهد ويقدح في نقده زناد الفكر ، ويضع اليد كالنطاسي الخبير على موطن الضعف ويبث الداء . وقد اسعدني كثيرا ان لا تكون (صرخة الجزائر) صرخة في واد ، وانها استطاعت ان تلج الاسماع وتنتزع الاعجاب ، وتستاثر بمجهود كبير وزمن طويل من اخينا (ملاحظ) الذي اقدم له شكري على ثنائه ونقده الذي ساهم به هو ايضا في (تدشين) ميدان النقد الادبي .

وكم كنت اتمنى لو كان الاخ شجاعا مع نفسه معنا فعرفنا على الاسم الكريم ، واماط اللثام فارشدنا من امم واهدانا الى الحق عن كثب ، لنعرف الرجال ونعرف الحق معا ، ولكنه آثر ان يتكلم من حيث لا يرى ، ويجنينا العثرات وهو من وراء وراء ، صنيع من يوهم نفسه وهو يقود الجمل ان الناس لن يروه ولن يعرفوه ! ... وعندي ان الذي يتولى مهمة النقد والتوجيه بهذه الطريقة ، طريقة التقية هو واحد من اثنين ؛ اما ان يكون ضعيف الثقة بما يقول شاكا في صحة ما يراه ، وهو ما انزه عنه الملاحظ الكريم ؛ واما ان يكون متملقا للصداقة مجاملا للعواطف على حساب الادب والصراحة التي تزيد الحق وضوحا والنقد قوة واعتبارا ، وهذا ما لا يعجبني لان اقرب الناس الى نفسي هو الذي يسدي الى الجميل ويفتح عيني على ما تراه عيني .

وبعد فقد سجل الاخ (ملاحظ) في هامشه مؤاخذات على (صرخة الجزائر) تنكب الصواب فيها ، وتوقف يسالنا بيانا وايضاحا لاشياء لم ينفذ فكره

الناقب اليها وهو — فيما قيل لي — ذاوقة ادب ومن رجاله المبرزين — وقد احببت ان اضع على الحروف، واصحح الاوضاع التي افسدت، فتعقبت الاخ في مؤاخذاته التي يستهلها بالوقوف عند هذا البيت الخاطب فيه ابن الجزائر :

زعموا ارضك الجزائر ملكا
لفرنسا تسلمته اقتناما

عيب هذا البيت المظلوم انه ترديد لصدى ما يسمعه الناس على امواج الاثير، وهو في نظر العقلاء اجمعين اكتمين، ما يجب ان يفعله الشعر ويصدى له من احداث ومزاعم فاسدة كالتي يتمسك بها المستعمرون، فهل يعاف الملاحظ ان يستمع الى هذه الاصداء في الشعر لانه سمعها هو على الاثير . وعلى الاجيال القادمة العفاء ؟

ام انه يحرم على الشعر ان يتناول ما يعرفه الناس وقديما قيل :

ما ارانا نقول الا معادا
وكلاما من قولنا مكرورا

واتحدث في ابيات ثلاثة متماسكة الاجزاء عما يذيقه العدو من آلام ومرائر للشعب الابي الذي يصعد الزفرات من فظائعه السوداء فاقول :

لم يرعك العدو يفتك بالشعـ
ـب ويسبي النساء والايتاما

يصعد الآه من فظائعه السـ
ـود، ويشكو من عسفه الآلاما

لم يرعك العدو في عدد النمل
يسوق الجيوش والاعلاما

فيعمد (الملاحظ) الى تحطيم هذه الوحدة وتفكيك هذه الاجزاء بحذف البيت الاخير منها، ليقرر الخلط في الضمائر واختلاف المعادات، كأني تحدثت عن العدو وحده ولم اتحدث عن العدو الذي يفتك بالشعب فيصعد الشعب من فتكه الآهات والزفرات، فهل ترى هنا من خلط في الضمائر ؟ لا ، انما هو اختلاط في الفهم .

وليس يصح في الاذهان شيء
اذا احتاج النهار الى دليل

ويسالني الاخ الملاحظ — ومن حقه ان اجيبه — عن هذا البيت :

كلما هاله اقتحام المنايا
في مجالاتها وهاب الصداما

عن هذه المجالات كيف ساغ لي ان اجمعها هذا الجمع الغريب الذي لم يسمع به، والذي يعده من مبتكراتنا في اللغة .

وقد شدهت لهذه المفاجاة واتهمت ذاكرتي ومعرفتي بهذه الكلمة فيما قراته، فالكلمة ليست غريبة علي، وعقلي يعرفها، وهو الذي قذفها على لساني فاستعملتها، واستنجدت بالمعاجم ابحث فيها عن جمع المجال كما فعل ناقدنا — فيما اظن — ولكني لم اظفر بشيء، وتلك عادة هذه المعاجم لا تفي دائما بالرغبة الكاملة، تذكر لك الجمع عند ما تريد المفرد، والمفرد عند حاجتك للجمع . ووقف ناقدنا عند هذا الحد فامسك منا بالخناق، وادركت انا ان طريقة اصحاب المعاجم في الغالب ان يتركوا في المادة ما يذكرونه في غيرها اذا اتفقتا في الوزن والصيغة، ووجدت في هذه المعاجم اكثر من شاهد يؤيد هذا الراي في كلمات بصيغة المجال .

جاء في « القاموس » وفي « قطر المحيط » « واقرب الموارد » في مادة راض (المراض) مكان صلب في اسفل السهل يمسك الماء ج مرايض و (مراضات) وجاء في نفس المصادر في مادة نام (المنام) النوم، وموضعه، وما يراه النائم، ج (منامات) .

وتجد هذا الجمع في المنجد اذا كنت تعتمده كذلك، وفيه جمع **المرام** على (مرامات) وفي القطر المحيط جمع **المزار** على **مزارات**، وورد في اقرب الموارد : المغار والمغار بالضم، الكهف ج مغاور **ومغارات** . والمقام الاقامة وموضعها وزمنها والمنزلة ومنه **مقامات** الاعداد . والآن وقد اثبتنا هذا الجمع لهذه النظائر التي هي كلها واوية العين كالمجال، لم يبق شك لذي بصيرة في اهلية المجال لهذا الجمع كاخواته، وظهر فساد اتهام « الملاحظ للغة بانها لا تعرف هذا الجمع، لان اصحاب المعاجم لم يثبتوه، واتهامه لنا بانه من مبتكراتنا .

وقد حاول (الملاحظ) ان يغوص في بحور الفهم فتكهن اننا قسنا جمع مجالات على مقامات، وكان الاشبه والاقرب اليه تناولا ان يقول اننا قسناه على **مجازات** التي لايستطيع ان ينكر جمعها المتواتر على الالسنة والذي لم تثبته كتب اللغة كذلك .

سألني الاخ عن هذا ، وانا اسأله ان يزيل حيرتنا فيرشدنا الى الجموع الصحيحة لهذه الكلمات : المجال ، المجاز ، المطار ، المعاد ، البيان ...

ويصطدم الملاحظ بكلمة (الصدام) الذي هو داء في رؤوس الدواب ، وهو ما لااقصده الا اذا كان داء في رؤوس بني الانسان ! وانما هو مصدر لصادم ، واذا لم يجده حضرته في كتب اللغة بخصوص هذه المادة ، فقد ذكرته فيما هو بمعناها ومبناها كناطح ، وقاتل ، وهو مصدر قياسي لايرده عارف بمبادىء النحو .

قال ابن هشام (وقياس فاعل كضارب وخاصم وقاتل الفعال والمفاعلة ، ويمتنع الفعال فيما فاؤه ياء نحو ياسر ويامن) فالقياس هنا قياس علمي تدعو اليه القواعد العلمية ، ولم ينقل عن سيبويه انه يرده ، ولكنه يقدم عليه المفاعلة والسلام .

وفي هذين البيتين :

كلما مر عام ترجوا
لانتصاراتهم على الحق عاما

وانتصار الضلال والباطل الزاهـ
ـق شيء يقارب الاحلاما

يتساءل عن الطلاوة الشعرية ويتفقدها فلايجدها وهو هنا يبدو خالي الذهن من حقيقة يعرفها الناس ، وهي ان الشعر عندما ينزل ليسجل الاحداث ويساير التاريخ ، يفقد الكثير من خياله وطلاوته الفنية ، والابيات تسجل اماني المستعمر واحلامه في الاحراز على النصر في (ربع الساعة الاخيرة) واستبعاد هذا النصر لانه باطل لاينتصر على الحق ، وضلال يحيد بهم عن الهدى ، ولعلني بينت للملاحظ السر في جمع الباطل والضلال ، لانهما من واد واحد ، وكلاهما من اوصاف الغزاة ، فهم دعاة باطل وانصار ضلال .

اماتنا هي الابتذال الذي يراه في الاخبار (بشيء) فهو في رأينا بلاغة متناهية ، وكلمة حلت مكانا لايسد فراغه شيء ، لانها تستمد قوتها وجمالها من التركيب العام كله .. ولعل الملاحظ وضع يده على (شيء) وحدها فرآها تافهة مجردة من كل شيء .. وازيد فاقرر ان (شيء) المنكرة هي التي تدل بتنكيرها على التفاهة والاستخفاف ، هي انسب بهذا المقام واكثر ملاءمة لانتصار الضلال والباطل المحتقر الزاهق والاحلام التافهة الكاذبة ، فليس هنا ما يصلح للاخبار عن هذا الباطل كلفظ «شيء» المنكر وهي في هذا المكان تشبه نفسها في قول الشاعر :

ان صدقا لا احس به
هو **شيء** يشبه الكذبا

ولعل حضرة الملاحظ لايحتاج الى ان اذكره بان اللفظ المركب ، اشبه بالمادة الجامدة ، وانما تشيع فيه الحياة والحرارة عند تاليفه وانسجامه مع اخواته بما يستمده من قوة وجمال اذا وقع موقعه الذي لاينبو عنه .

ولذلك استحسن لفظا شيء ، ولطف موقعه ، في قول عمر بن ابي ربيعة :

ومن مالىء عينيه من **شيء** غيره
اذا طاف حول الجمرة البيض كالدمى

وفي قول ابن ابي دمية :

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة
تقاضاه **شيء** لا يمل التقاضيا

ولم تستحسن في قول المتنبي :

لو الفلك الدوار بغضت سعيه
لعوقه **شيء** عن الدوران

لو روده غير ملتحم باجزاء البيت مقطوعا عما بعده :

واذكره بان البناء الصحيح للبيت الاول قد تم هكذا :

يترجون كلما مر عام
لانتصاراتهم على الحق عاما

ويبلغ الى هذا البيت وانا اخاطب المستعمرين :

فارقبوا منه لعنة ملؤها الخـ
ـزي تعضون بعدها الاقداما

فيصرخ طالبا مني ان اسعفه ، لان المعنى قد غم عليه ، ، ومجالات الفهم ضاقت على رحبها بين يديه ، ولان الذي يعرف هو ، ان الغريزة البشرية ـ كذا ـ تجعل الانسان يعض بنانه من الندم ، وليس القدم ، ويظهر ان السيد الفاضل لايفرق بين الغرائز

الموروثة التي تكون جزء من كياننا ، وبين العادات النفسية والذهنية التي يغرسها المجتمع فينا ، فعض البنان عنده غريزة بشرية ثابتة ينبغي ان نضيفها الى الغرائز الاربعة عشر .. وانما هي عادة قد يتعودها بعض الناس بالمحاكاة والتقليد ، وليست امرا غريزيا كالخوف والاستطلاع ، فقد يتحسر بعض الناس فيحرق اسنانه حتى يسمع لها صريف ، وقد يغلو بعضهم فينتف عثنونه او يضرب جبهته ، الامر في كل ذلك ما يعتاده الناس ساعة انفعالهم .. وهو شيء لم اقصد اليه ، اذ انه لايخفى على احد ، ولكنني سلكت سبيل الكناية عن سقوطهم الى الارض بعد عزةوشموخ وكبرياء ، سقوطا فظيعا يعفر جباههم بالتراب ويعضون معه الاقدام ، لان الساقط بهذه الحالة يهوى الى الارض وهو فاغر الفم ، وهو ـ بدون شك ـ معنى دقيق يحتاج فيه الى اسعاف ، ولا يحتاج الى عبقرية شاعر ـ كما يقول ـ ولكنه يحتاج الى المعية ناقد ..

ويتوقف مليا عند هذا البيت :

ان لله اعينا تتقراكم
وبطشا يزجى به الاياما

فيرى ان كلمة يزجى اكرهت اكراها على مكانها الذي ينبو عنها ، وان المعنى معها غير مستقيم ، ومن حقه ان يرى مايشاء ، ولكن ليس من حقه اذا اساء الفهم ان يحكم بما يشاء ، ان البيت بالاخص انذار للغاصبين بان لله اعينا مفتحة تتقراهم في كل مكان، فلا تغلتهم ، وان له بطشا رهيبا يدخره لهم ويسوق به الايام الثقال الحبالى ، فتطلع عليهم بنقمة اللهوعدالة السماء ، انها ايام نحس على الغزاة مهما تاخرت فهي قادمة ، لان الله هو الذي يزجيها ويسوقها اليهم كما يزجى السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ! .

ويتصادم (الملاحظ) مع نفسه في نقد هذا البيت :

ارمها يا فتى الجزائر نارا
تسكن الداعر الاثيم الرجاما

حين ينظر اليه من الناحية البلاغية ، فيستنكر عدم التوازن بين (الداعر) المفرد (والرجام) وهو جمع، ولن اكلف نفسي اي افتراض ، وانما اهمس في اذنه بان هذا النوع من النقد لايقره الذوق الادبي اليوم الذي تؤمن به ، لانه لايهتم بالصناعات اللفظية اهتمامه بالمعاني ، وهو اشبه واليق بعصور الادب القديم الذي اهتم بالمؤاخاة بين الالفاظ اهتماما جاوز فيه الحد ، حتى عابوا على ابي تمام قوله في وصف الرماح :

مثقفات سلبن العرب سمرتها
والروم زرقتها والعاشق القضفا

ولم يكتفوا عنه بنية الجمع كما هو الحال في الداعر الاثيم . كما عابوا قول ابي نواس :

صفراء مجدها مراز بها
جلت عن النظراء والمثل

حين اجمع النظراء وافرد المثل ، وهي مؤاخاة لم يكونوا فيها منصفين ، لانهم تجاهلوا كما تجاهلت ـ انت ـ طبيعة الشعر وضيق مجالاته ، والزموا الشاعر ما لم يلزمه ، كانه والناثر سواء ، ولو كانت هذه (المؤاخاة) كما يسميها القدماء او (التوازن) كما سميتها انت امرا لازما لازما يعاب تجنبه حتى في مضايق الشعر لالتزمها القرآن الذي هو مقياس الفصاحة ومنبع البلاغة اذ يقول : او لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل . ولو كان الاحسن ان يوازن بين الجمع والافراد موازنة لفظية لجمعهما معا او افردهما معا .. وكذلك ورد قوله : اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم، جمع القلوب والابصار وافرد السمع . وفي القرآن مواضع كثيرة نعفيك من ذكرها .

فهل تصر مع كل هذا على وجوب التوازن في الشعر ، وقد ورد خلافه في النثر ، وفي القرآن ؟ وهل تنبه قلم التحرير الى هذه النقطة التي سقطت على دال الداعر فصيرت الدعارة ذعرا ...؟

ولست ادري كيف يستقبح حذف الجار الداخل تقديرا على (أن تضام) في هذا البيت :

واسق ارضا قد كان قبلك اجـ
ـداداك سقوها دماءهم ان تضاما

والاصل (من ان تضام) وهو حذف يكاد يكون متعينا ، فقد استثقلوا دخول الحرف على مثله في قول ابي تمام :

الى خالد راحت بنا ارحبية
مرافقها **من عن** كراكرها نكب

وفي قول القطري :

ولقد اراني للرمـاح دريئـة
من عن يميني مـرة وامامي

وورد هذا الحذف الـذي لايـستحسنـه ذوق الملاحظ في القرآن اذ يقول : شهد الله انه لا (الاه الا هو) (اوعجبتم ان جاءكم ذكر) التقدير (بانه) «ومن ان جاءكم» فهل يثق حضرته بهذه النصوص ؟ وهل يعقل فيضع لطغيان استحسانه حدا ؟

والى هنا يشرف الناقد على نهاية محاسبتنا ، ولكنه يود ان لايودع الا بعد ان يهمس في اذني كمـا يهمس الشيخ في اذن تلميذه ، بأن حظ هذه القصيدة من خلال الوزن وتداعيه وافر كثير ، ويتفضل فيتقدم الى القارىء بالابيات التي يراها ميزابه الخائب مرضوضة لتجبر كسرها ونقيمها على نسق اخواتها ارشـــده الله .

واول هذه الابيات التي عرضها علـى محـــك الخفيف :

ويشبونها جحيـما على الـرا
عي ليلقي من قبضتيه الزمامـا

وهو بيت مظلوم ذهب ضحية قلم التحريـر او المصفف ، اسقطت نقطتا الياء من قبضتيه ، وقراهـا الملاحظ بالافراد ، فتعثر بها لسانه وقضى على البيت بالاختلال .

واؤكد للقارىء الكريم ان سائر الابيات جاريـة على تفاعيل الخفيف ، وليس فيها الازحاف الخبـــن والطي ، وهما مما يتاكد فيه ، وفي بيت واحد فقـط دخل التشعيث :

ارسلي النظرة الحنون شواظا
يتـنـزى ويـزدري الاعجامـا

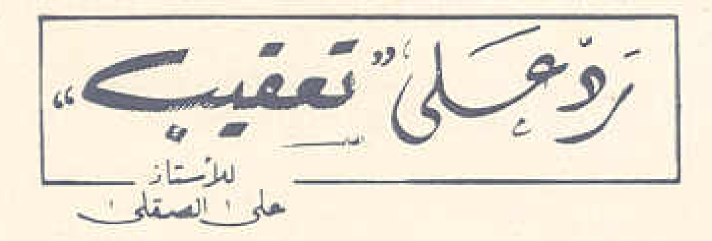
وهو تغيير لايلزم دخوله الابيات التالية ، نظير قولـه :

ليـس من مات فاستراح بميت
انما الميت **ميـت الاحيـاء**

وانا اكرم القارىء والملاحظ من ان اعرض لهما عمليات التقطيع المدرسية ، واظن ان الناقد يعتبر هذه الزحافات التي لم يخل منها شعر ، والتي هي كالملـح في الطعام ، رضوضا يمجها الذوق السليم . واذا صح هذا تعين ان يزور سعادته القرويين ليدرس بها علـم العروض ويعرف بعد كيف تكون الرضوض .

والذي تاكدت منه بعد فراغي من التعقيب على نقدات الاخ الملاحظ ، هو ما قلته في بداية هذا الكلام، من ان طابع السرعة والاندفاع يتحكـم فـي اعمـال الكثير منا .

وان مجهود الاخ في هذا النقد مجهود ضائـع لانه لم يقم على دعائم تسنده ...



ردّ على "تعقيب"

للأستاذ
علي الصقلي

كنت اود ان يكون تعقيب الاخ الحلوي ــ المنشور فى هذا العدد ــ على مقالي فى نقد قصيدته « صرخـة الجزائر » يعني فقط برد الانتقادات الموجهة الـــى القصيدة ، وكنت آمل ان يكون الاخ الحلوي قد اقلع عن عادته فى خوض المناقشات باسلوب اقل ما يقال عنه انه بعيد عن مكانة صاحبه الثقافية وروحه الطيبـة الرقيقة الشعور ، ولكن خاب ظني وانا اقرا التعقيب ، وتنقل بين غرره ودرره !

واترك للقارىء ان يقيس مدى ما « جادت » به نفس الكاتب فى تعقيبه من كلمات منكرة جارحة ، وما اظن ان صاحبنا فى حاجة الى من يعرفه الحدود التي ينتهي عندها النقد الموضوعي النزيه ، ليبتدىء القدح والعبث بكرامات الناس .

وان رئيس تحرير هذه المجلة ليعلم انني ــ بحكم ما أعرفه عن السيد الحلوي فى هذا الباب ــ قد اعتذرت له اضطرارا عن تذييل مقالي باسمي الصريح ، وآثرت تذييله بامضاء « ملاحظ » صونا لكرامتي ، هذا بالرغم عما ينم عنه مقالي من مشاعر الود والاحترام البالغين.



وبعد فقد قرات تعقيب السيد الحلوي الطويل النفس ، واحب ان اقف عند بعض ما اشتمل عليه من آراء اظن انها هي تعلق عن نفسـها ، راجيا من القراء ان يتفضلوا مرة اخرى بالعودة الى قراءة مقالي ، ليتبينوا ما اذا كان المعقب قد عقب حقا على ما لوحظ عليـه بطريقة مقنعة ، او انما سلك سبيلا آخر لا ادري ماذا اسميه .

يرى الكاتب ان :

الشعر يجب ـ كما هو نظر العقلاء اجمعيـــن اكتعين ! ـ ان يكون ترديد لصدى ما يسمعه الناس على امواج الاثير .. !!

ويصر على ان ضمائر الافعال فى الابيات الآتيـة تجري على نسق واحد ، وفى انسجام ووحدة تامين ، يقول مخاطبا ابن الجزائر :

لم يرعك العدو يفتـــك بالشعـــ
ـــب ويسبي النساء والايتامـــا

يصعد الآه من فظائعه السـوــــو
د ويشكو من عسفه الآلامـــا

لم يرعك العـدو فى عــدد النمـــ
ل يسوق الجيوش والاعـــلامـــا

وانا اتحدى الشاعر ان ياتيني بقارىء واحد لم يعد قراءة البيت الثاني مرة او مرات بحثا عما يربطه بسابقه ، بناء على انهما ـ اي البيتين ـ تتـــوزع ضمائرهما معادات مختلفة لا ارتباط بينها الا فى تاويل الشاعر المتكلف .

ويقول المعقب :« استنجدت بالمعاجم ابحث فيها عن جمع «مجال» ، ولكني لم اظفر بشيء » وهذا عين ما لاحظناه فى هذه الكلمة ، ثم يقول : « وظهر فـــساد اتهام الملاحظ للغة بانها لا تعرف هذا الجمع لان اصحاب المعاجم لم يثبتوه » .

فليسأل السيد الحلوي من اين لنا بمصــــادر للغة غير هذه المعاجم ؟ وهل من الافتراء على اللغة ان نقول : انها لا تعرف شيئا لم تعرفه هذه المعاجم ؟ ثم هل لابد ان يكون معنى قولنا ان اللغة لا تعرف كلمة ما ، ان هذه الكلمة لا تجري على سنن امثالها بطريق القياس كما فهم من كلامنا ؟ ونفس ما قلناه فى كلمة « المجال » يقال فى كلمة « الصدام » التي لا تعرفها هي ايضا كتب اللغة بالمعنى الذي اراده الشاعر كما شهد بذلك هـــو نفسه .

ويقول السيد الحلوي فى الرد على ما قلناه من ان البيتين التاليين خاليان من كل رونق شعري ومعنى دقيق :

كلمـا مـر عـام ترجـــوا
لانتصاراتهم على الحق عامـــا

وانتصار الضلال والباطل الـــزا
هق شيء يقـارب الاحلامـــا

يقول : « وهو ـ يعني « ملاحظ » ـ هنا يبدو خالي الذهن من حقيقة يعرفها الناس ، وهي ان الشعر عندما ينزل (كذا) ليسجل الاحداث ويساير التاريخ يفقد الكثير من خياله وطلاوته الفنية ... »

واجدني هنا ـ اذ اسجل على صاحبنا موافقته على ملاحظتنا ، اي على خلو البيتين من كل رونـــق وطلاوة فنية ـ اخالف حضرته على طول ، معتقدا ان الشعر غالبا ما يكتسي طلاوة سحرية جذابة ، تزيد فى أسره ونفوذه الى الاعماق اذا تفضل ، فنزل الى دنيا الناس وسجل الاحداث وساير التاريخ وكثير من الشعر القديم ـ بله الحديث ـ انما كتب له الخلود لانه من هذا الصنف بالذات ، ولانه ايضا امتاز فى سمو خياله وطلاوته .

ويشرح البيت الآتي الذي كانت ملاحظتنا عليه أنه تصوير غير واقعي باي حال لما ياتيه الانسان بوحي من غريزته فى حال الندم :

فارقبوا منه لعنة ملؤها الخـــز
ي تعضون عندها الاقدامـــ

فيقول : « وسلكت سبيل الكناية عن سقوطهم ـ اي المستعمرين ـ الى الارض بعد عزة وشمـوخ وكبرياء سقوطا فظيعا يعفر جباههم بالتراب ، ويعضون معه الاقدام » ، ثم يزيد معللا شارحا : « لان الساقط بهذه الحالة يهوي الى الارض فاغر الفم .. !! »

ولا احب ان اعلق بكلمة واحدة على هذا التفسير، طالما انه تجاوز الحد فى الوجاهة والاقناع !! .

ويدافع صاحبنا دفاعا مستميتا عن « مشروعية» وجود كلمة « يزجى » التي لاحظنا انها نابية عن مكانها فى قوله :

ان لله اعينا تتقـراكـم وبطـــ
شا يزجـى بـه الايامـــا

فيقول : « وان لله بطشا رهيبا يدخره لهـــم ـ يعني للمستعمرين ـ ويسوق به الايام الثقال الحبالى فتطلع عليهم بنقمة الله وعدالة السماء ... »

وعندي ان هذا التاويل ارغم البيت المسكين ايما ارغام على أن يحمل فوق ما فى وسعه ، وان يكون له حظ من الثقل والحبل اكثر مما يطيق .

وابى السيد الحلوي الا ان يعيب علينا انتقادنا اياه فى قوله :

ارمها يا فتى الجزائر نــــارا
تسكن الداعر الاثيم الرجاما

حيث لاحظنا هذا الاختلال فى المقابلة بين الداعر وهو مفرد ، والرجام وهو جمع ، وانا اتقبل سلفا كل ما استدل به فى هذا المقام من شعر ونثر ، وان كنت لا استخفه ، حاشا ما ورد فى القرآن الكريم ، الا انني اعود فأساله : امن البلاغة ان نقول مثلا : فلان ما اطيب نفوسه ، وارق قلوبه ، او فلان سكن منازل ودخــل حجرات ، تريد سكن منزلا ودخل حجرة ؟ .

وفى هذا البيت :

فاسق ارضا قد كان قبلك اجد
اد سقوها دماءهم ان تضامــــــا

لاحظنا ان فيه حذفا وتقديرا ، ما كان اغنــى الشاعر عنهما ، ولكنه يجيب على هذه الملاحظة بان فى البيت حذفا كاد يكون من المتعين ، لان المحذوف حرف، لو ذكر لكان داخلا على مثله ، ودخول الحرف علــى مثله مستثقل ، ونحن نوافقه على هذه القاعدة . ولكننا لا نشاطره الراي ابدا فى ان المحذوف فى البيت حرف كما زعم ، وان الاصل .. « سقوها دماءهم مـــن ان تضاما » ، لان البيت خال من أي متعلق يناسب هــذا المحذوف ، وانما الاصل فى راينا « مخافة ان تضاما » او ما اشبه ذلك ... فالبيت اذن يجرى على سنــن الامثلة التي ساقها فى الموضوع .

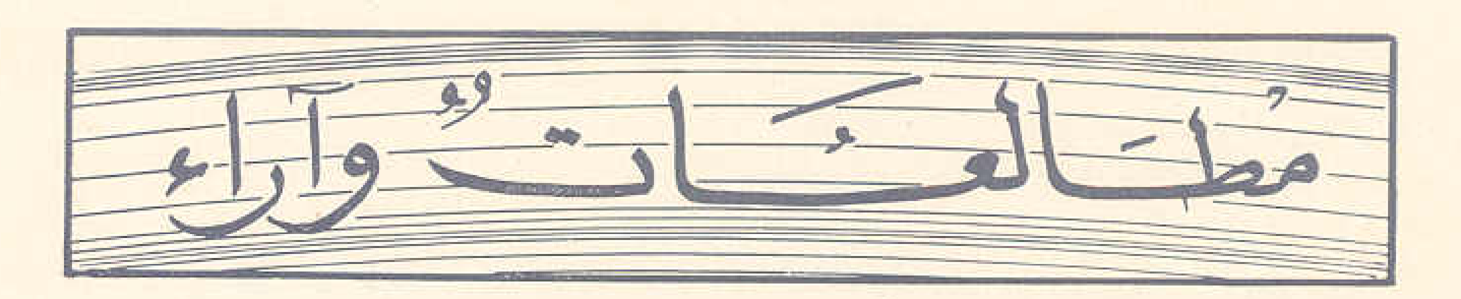
بقي ما يتعلق بامر العروض ، وهنا اجاهر الاخ الحلوي ــ ولا اهمس فى اذنه كما فعلت قبل ــ بانه لا زحاف الخبن والطي ولا التشعيب بكاف لتضميــد الرضوض العقيمة التي شوهت مع الاسف بعــض اساليب قصيدته ، والتي كانت بمثابة البثور فى وجه الحسناء ، ولا اقول كالملح فى الطعام كما عبر السيـد المعقب .

وبقطع النظر عن البيت الذي ادرج فيعداد الابيات المكسورة نتيجة غلط مطبعي . فان بقية الابيات الاخرى، وعدتها خمسة ، متصدعة بشكل لا يقبل اي جــدال بالرغم عن تأكيدات الشاعر . وخذ مثلا البيت الــذي اختاره المعقب ليظهر سلامته من الكسر وهو :

ارسلى النظرة الحنون شواظــا
يتنزى ويــزدري الاعجامـــــا

فانه لم يفطن فيه الى موضع الكسر الذي اردناه ، بل ظنه شيئا آخر اجهد نفسه فى دفعه بما سمــاه التشعيث ، وبالتنظير له ببيت من الشعر ، والــذي لاحظناه فى بيت الشاعر هو هذه الياء فى « ارسلى » التي لا يستقيم الوزن الا بحذفها ، وحذفها لا يجوز قطعــا طالما ان الخطاب لمؤنثة ، واظن ان ميزاننا الخائب ــ كما لذ للسيد المعقب ان ينعته ــ يستطيع ان يضع يــد الشاعر ــ متى اراد ــ على موضع الكسر فى كل بيت بيت ، والعجب كل العجب ان يجرؤ الاخ الحلوي على ان يؤكد للقارىء سلامة الابيات المكسورة وجريانها على تفاعيل الخفيف ، وهو لا يملك القدرة على ان يدفع عن اي واحد منها ما مني به من عطب .

واخيرا أؤكد للاخ الحلوي ــ ان كان فى حاجة الى تأكيدي ــ ان قصيدته ــ باستثناء ما اصيب به بعض ابياتها من كسر ــ وهذا لا يغتفر ــ صورة شعرية حية، ترسم فى دقة واتقان المأساة الجزائرية كما ينبغــي ان يرسمها قلم شاعر .



كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

كنت نشرت في مجلة (الثقافة المغربية) بحثا عن كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لمؤلف مجهول ، ولم تكن نعرف من هذا الكتاب الا نسخة مكتبة جامعة (فينة) عاصمة النمسا ، حتى حصل صديقنا العلامة الكبير الاستاذ محمد المختار السوسي على نسخة كاملة ، استفدنا منها فوائد جديدة عن المؤلف وعن حالة المغرب الاقصى ايام ازدهار الحضارة الموحدية ، فكان لزاما علينا ان نضم هذه المعلومات الجديدة الى ما كنا كتبناه من قبل ، وعسى ان نوفق الى العثور على ما يزيح الستار عن هذا المؤلف المغربي ، الذي يظهر انه كان له مقام في البيئة العلمية .

وكتاب الاستبصار هذا من الآثار الادبية العلمية التي ظهرت في العصر الموحدي الثاني ، وهو مؤلف جغرافي ادبي ، جمع بين نوعي كتب المسالك والممالك ، وكتب الرحلات ، لان ترتيبه وكيفية عرضه لمسائله يشبهان كتب الجغرافية ، ثم ان مؤلفه زار جل البقاع التي يتحدث عنها ، فيصفها غالبا عن مشاهدة كاصحاب الرحلات ، فنراه يقول مثلا بعد ان ذكر الطريق بين (توزر) و (نفزاوة) (1) : **(واذا دخل المسافرون هذا الطريق في ايام الصيف يكادون يهلكون من حرارة الملح ، ويرجع ماؤهم وهو في الزقاق ملحا لا يقدر على شربه ، الا ان يمزج بالسكر او العسل ، رايت ذلك وشاهدته)**.

ويقول عند كلامه على مغارات في مرسى تونس (2) **(والناس يتنافسون في الدخول فيها ، فمن جسر على الدخول فيها بالليل علم انه جريء قوي القلب ، وقد دخلتها بالنهار مع اصحاب لي فرايت منظرا**

تفضل الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي مدير الجامعة المغربية فكتب لمجلة (دعوة الحق) هذا المقال القيم عن كتاب الاستبصار في عجائب الامصار .

ويهمنا ان نذكر بهذه المناسبة ان عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في زيارته التي قام بها الى المغرب بدعوة من وزارة الخارجية المغربية ، قد أهديت له نسخة مصورة من هذا المخطوط النفيس .

ونحن اذ نشكر الاستاذ السيد محمد الفاسي على ان اتحف المجلة بهذا المقال القيم في التعريف بمصدر من المصادر المهمة ، التي لا زالت لم تعرف بعد طريقها الى المطبعة ، نرجو من سيادته كعالم منهجي ، ورائد من أكبر رواد الحركة الفكرية في المغرب، الا تشغله مهامه كمدير للجامعة المغربية ، عن مواصلة مجهوداته في ميدان الكتابة والبحث والتاليف .

كما نرجو باسم قراء هذه المجلة الا يكون هذا البحث الذي ننشره اليوم لسيادته ، الا فاتحة لبحوث ومقالات كثيرة ، يتحف بها المجلة بين الحين والحين ، كما وعد سيادته بذلك .

دعوة الحق

هائلا) وقال عن (قسنطينة) (3) : **(وهذه المدينة من احدى اعاجيب العالم ، قد دخلتها مرارا وتاملت آثارها**

(1) ورقة 102 اولى ، من نسخة السيد المختار السوسي .
(2) ورقة 77 اولى — 77 ثانية من نسخة السيد المختار السوسي .
(3) نسخة الخزانة الاولى ورقة 84 اولى .

ودخلت مواضع كثيرة فيها آثار للاول فتاملتها) ثم انه يعبر عن نفسه بلفظة **(الناظر)** عوضا عن **(المؤلف)** افهاما منه انه شاهد ما يصف ونظره بعينه .

ولكنه من جهة اخرى لا يتبع طريقة اصحاب الرحلات فى التحدث عن حوادثهم الخاصة ، فانه لا يذكر تاريخ دخوله المدن التي يزورها ، ولا تاريخ خروجه منها ، ولا يذكر من تعرف بهم مدة سياحته ، الى نحو هذا مما تشتمل عليه الرحلات .

واما اسلوبه فهو اسلوب اديب ، مما يجعله اقرب الى مؤلفي الرحلات منه الى الجغرفيين كالادريسي وغيره .

واننا لا نعرف مؤلف كتاب الاستبصار ، الا انا نرجح انه كان مغربيا ، وذلك لاسباب منها انه يعتني بكيفية خاصة ببلاد المغرب الاقصى ، ويتوسع فى وصفها وايراد اخبارها ، ومنها انه كان لا شك يقيم بفاس لما جمع كتابه هذا سنة سبع وثمانين وخمسمائة، لانه كثيرا ما يذكر هذا التاريخ عند ما يقول عن شيء انه الآن على الحالة الفلانية ، ويشرح ذلك بقوله: **(ونحن فى سنة سبع وثمانين)** وفى كلامه على فاس ورد هذا التاريخ مع ما يشعر بمقامه اذ ذاك بفاس ، وقد اتى عن هذه المدينة بتفاصيل كثيرة بالنسبة لعادته فى الاختصار واطنب فى مدحها وفى الرد على ما ينقص من اهلها .

هذا ما كنا نعرفه عن مؤلف الاستبصار قبل اكتشاف النسخة الكاملة التي اشرنا اليها آنفا ، فقد ورد فيها عند كلامه على مراكش قوله : (1) **(وجلب الخليفة الامام (عبد المومن) المياه من اودية (درن) وغرس بحيرة عظيمة بقربي المدينة مثل نفيس ، دورها ستة اميال ، وبنى فيها وبخارجها صهريجين عظيمين ، كنا فى تلك المدة نعوم فيهما ، فلا يكاد القوم منا يقطع الصهريج الا عن مشقة ، وكنا نتفاخر بذلك)** .

وهذا يدلنا على ان مؤلف الاستبصار نشأ بمراكش وقضى طفولته وشبابه بها ، مما لا يترك لنا شكا فى مغربيته ، وربما استطعنا ان نستنتج من هذا النص ، انه كان من اهل مراكش من بيت يمت الى الدولة الموحدية بسبب ، اذ يظهر لي من خلال كتابه انه كان من جملة ركاب الخلفاء الموحدين ، لا ندري باية صفة ، ولكنا كثيرا ما نراه يصف معسكراتهم وتنقلاتهم وصف مشاهد ، وهو لا يفتر عن مدحهم والثناء على مآثرهم ، وعلى كل حال فكيف ما كان الامر ، فان كتابه يعطينا اكمل صورة عن حالة الاقطار التابعة للدولة الموحدية ايام بلوغها ذروة المجد والعظمة .

(وكلمة التوحيد والهداية ـ كما يقول صاحب الاستبصار (2) متصلة من « طرابلس » الى مدينة « غانة » و « كوكو » من بلاد الصحراء) ، فهو لا يستغني عنه لدراسة هذا العصر .

ومما ورد فيه عن مدينة فاس مما يؤيد ايضا انها كانت العاصمة الكبرى اذ ذاك للبلاد المغربية قوله عنها بعد ان عنون الفصل بقوله : **(قاعدة بلاد المغرب مدينة فاس كلأها الله هي اعظم مدينة من مصر الى آخر بلاد المغرب .** ثم يقول : **(وهذه المدينة قصر بلاد المغرب ، بل وبلاد المشرق والاندلس ، لا سيما فى هذا الامر العزيز ابد الله دوامه)** والامر العزيز فى اصطلاحهم اذ ذاك هو الخليفة الموحدي والخلافة الموحدية . وقال عند كلامه على مدينة « سلا » : **(وهذه المدينة قد شرفها هذا الامر العزيز وكرمها مما احدثه فيها من المباني الرفيعة والمنارة البديعة ، وما هي وقت مرور المحلات عليها الا من عجائب متنزهات الدنيا ، لا سيما فى الاعوام الخصبة والفصول المعتدلة ، وناهيك فى ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل ، مملوء بالبشر والزوارق فى الوادي بركابها ، والمنارة المطلة ، وعلقات الثمار ، وقباب الجلوس للسادات ايدهم الله ظاهرة ، وقبة الجامع ، واكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة ، وما هي فى اوقاتها الا احسن من ديار مصر ، وما يحكى من دجلة والفرات ، فانا لله على الفناء والممات)** .

❊ ❊

ومما يستفاد من هذا الكتاب زراعة قصب السكر بالمغرب ايام الموحدين ، وصناعة السكر ، حيث يقول عند كلامه على **وادي (ماسة) بالسوس الاقصى (3) : (وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين**

---

1) نسخة السيد المختار ، ورقة 144 اولى .
2) ورقة 69 ثانية من نسخة السيد المختار
3) ورقة 145 ثانية نسخة السيد المختار .

والجنات بانواع الفواكه والثمار والاعناب وقصب السكر .. وعلى هذا النهر قرية كبيرة تعرف بتارودانت وهي اكثر بلاد الدنيا قصب السكر ، وفيها معاصر للسكر كثيرة ، وهذه البلاد اخصب بلاد المغرب واكثرها فواكه وخيرات ، ومنها يجلب السكر الى جميع بلاد المغرب والاندلس وافريقية ، وهو المشهور بالطبرزد المذكور في كتب الطب) .

وقال كذلك عند كلامه على **(ايكلي)** (1) : **(قاعدة بلاد السوس ايكلي ، وهي مدينة كبيرة .. وقصب السكر بها كثير ، واكثر شراب أهلها انما هو ماء قصب السكر) .**

ومما يستفاد من مجموع الكتاب ان المؤلف كانت له علائق ودية مع اكابر علماء عصره وفلاسفته ، فنراه يذكر ان الفيلسوف **(ابن رشد)** اخبره بمسالة فلكية سنة 584 ، وهو يتكلم في المسائل الفلكية تكلم عالم مختص له معرفة تامة بها ، ونراه يتحدث باعجاب كبير عن بني الملجوم من اهل فاس ، ذلك البيت الشهير بالعلم والفضل ايام المرابطين والموحدين ، ويذكر اخبارهم عن الحافظ ابي القاسم عبد الرحمن بن القاضي ابي موسى ابن الملجوم ، وتظهر في كتابته تلك النزعة الشيعية الخفية ، او بالاحرى ذلك العطف الكبير على آل البيت النبوي الذي لمسناه عند دراستنا **لشاعر الدولة الموحدية أبي العباس الجراوي** (2) ، فانه يقول بعد ان اورد قصيدة في مدح القاضي ابي موسى بن الملجوم (3) **(قال الناظر : ولولا ان اخرج من قصد الوضع لاوردت من مفاخر هذا الفقيه القاضي رحمه الله ، ومفاخر المعاصرين له ، ما يربى على كل مفخر ، سوى الاتصال بسلالة النبوة ، وكيف وواضع هذه المدينة فاطمي النسب حسني المذهب ، فكيف يعاب أهلها واسلافهم ازكياء انقياء علماء حلماء ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة الا نسبي وسببي) .**

* *
*

اما فيما يرجع لتاريخ وضع هذا الكتاب فقد رأينا انه يشير مرارا الى سنة 587 . لكن ورد تاريخان آخران بعد هذه السنة احدهما ورد مرتين ، أولاهما عندما تكلم على مدينتي **(تنيس)** و **(ودمياط)** بمصر حيث قال : **(وسكن بجزيرة « تنيس » و « دمياط » نصارى ، هم الان تحت الذمة بحمد الله تعالى ، ونحن في سنة ثمان وثمانين) .**

والثانية عند ما تكلم على سفارة **عبد الرحمن بن محمد بن منقذ** قال : **(وقد بعث « أي صلاح الدين » ارساله بما وجد فيه « أي في بيت المقدس بعد فتحه » وفي تلك البلاد من الذخائر ، وهم الآن في مدينة فاس حرسها الله ، مستمعين للاوامر المطاعة ، ونحن الآن في رجب الفرد لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكان اجتماع هذا الرجل وهو عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الازرق ، سادس محرم سنة ثمان وثمانين بالخليفة الامام ابي يوسف رضي الله عنه) .**

فيدلنا هذا النص على انه عند ما كان يحرر كتابه ويخرجه من مبيضته ومن تقاييده وهو بفاس على ما يظهر سنة 587 وصلت السفارة الايوبية اليها ، ثم لم يتسن لها ملاقاة الخليفة الا بعد شهور ، وكان المؤلف لم ينته من تخريج كتابه ، ولاشك انه علم منها كذلك خبر نصارى **(تنيس)** و **(دمياط)**

اما التاريخ الثاني فقد ورد في كلامه على يهود سجلماسة حيث قال : **(كان هذا في الزمان المتقدم ، واما الآن فهم تجار هذه البلاد كلها واغنياؤها ، وخاصة بمدينة فاس ، فاني عاينت منهم ممن يقال ان عنده المال الممدود ، رجالا كثيرين ، وقد كان تنبه لهم الامر العالي ايده الله سنة ثنتين وثمانين ، فلبس الدنانير وشوش المشوشين وخوف المفتشين ، فارجأ القدر السابق هذا الى نهاية امرهم وعزهم وابتداء نكسهم ان شاء الله وززهم، وهي سنة احدى وتسعين وخمسمائة من الهجرة .**

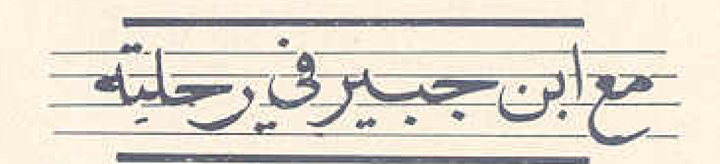
هذا آخر تاريخ ورد في هذا الكتاب مما يشعر بان المؤلف وان كان يشتغل في تخريجه سنة 87 فانه لم يتمه الا بعد سنة 591 .

---

1) ورقة 146 اولى نسخة السيد المختار .
2) شاعر الخلافة الموحدية ابو العباس الجراوي ، لمحمد الفاسي ص 35 — 37 .
3) نسخة السيد المختار ورقة 120 اولى

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا ، وانا عندما نظفر بأثر من آثار عصورنا الماضية لا نتأسف على عدم وجوده مطبوعا ، وانما نحمد الله على ان افلت من الضياع ، وكابر الحدثان ، وبقي كآية ناطقة على ما كان لسلف هذه الامة من الفضل في ميادين العلم والثقافة العامة ، وقد طبع منه طرف يسير منذ اكثر من مائة سنة بـ (فينة) عاصمة النمسا ، وقد كان اول كتاب عربي طبع اذ ذاك بمطبعة الدولة النمساوية .

محمد الفاسي



لقد قام ابن جبير في الواقع بثلاث رحلات الى الشرق العربي ، استغرقت اولاها عامين وثلاثة اشهر ونصف شهر ، من ثالث فبراير 1182م الى الخامس والعشرين من شهر ابريل 1185 م

ثم قام برحلة ثانية عند ما تم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الايوبي .

وقام برحلة اخرى ثالثة من **(سبتة)** بعد وفاة زوجه عاتكة ، وجاور في هذه الرحلة طويلا بمكة ، ثم انتقل الى بيت المقدس ، وحط رحله اخيرا في الاسكندرية حيث أقام يعلم الناس، ويؤخذ عنه الحديث والتصوف الى أن مات سنة 614 هجرية ، 1217م

وتذكر بعض المراجع انه دون مشاهداته في هذه الرحلات الثلاث كلها في كتابه المعروف ، لكن الواقع كما يبدو من قراءة رحلته ، أنه انما دون بها مشاهداته في رحلته الاولى ، أو ترك مذكرات عنها ، جمعها بعده بعض تلامذته ورتبها ، كما تذكر ذلك ايضا بعض المراجع .

وابن جبير اندلسي الاصل ، عاش فترة من حياته بفاس مدرسا للحديث وملقنا للتصوف ، وهو في كل من هذه الاحوال يشعر كمغربي ، ويتحدث كمغربي ايضا ، فقد كانت الاندلس اذ ذاك مجرد جزء من الامبراطورية الموحدية المغربية ، كما ان كلمة (المغرب) على اطلاقها ، كان يفهم منها ما يفهم اليوم من (المغرب العربي) أو (شمال افريقيا) وكان يدخل في هذا المفهوم ايضا : الاندلس ، سواء في عهود انفصالها عن المغرب سياسيا ، أو في عهود انضمامها اليه .

ورحلة ابن جبير تعد وثيقة تاريخية ذات اهمية خاصة ، يجد فيها المعنى بدراسة التاريخ الاسلامي عنصرا اساسيا مهما نفتقده في معظم كتب التاريخ او كلها فلا نجده ، ذلك هو وصف المجتمعات الاسلامية على اختلافها ، ومستوى معيشتها ، وطرق تفكيرها وحظها من الرقي أو الانحطاط ، فقد عنيت كتب التاريخ فقط ، بأخبار الفتوحات والحروب ، وتاريخ الملوك والقادة والزعماء ، واهملت اهمالا شنيعا الحديث عن الشعوب والمجتمعات ، كأنها غير موجودة ، او كان التاريخ لايمكن له ان يتنزل من عليائه للحديث عنها .

ولعل رحلة ابن جبير لم يقصد بها ان تكون كتاب تاريخ ، وهي في الواقع لاتعدو ان تكون مجرد مذكرات ، كان صاحبها يدون فيها مشاهداته وارتساماته ، ويستلهم العبرة من كل ما تقع عينه عليه ولست ادري هل كان ابن جبير يقدر وهو يدون هذه المشاهدات والارتسامات ، انه سيكون لها كل هذا الشان ، وانها ستحظى بكل هذه العناية ، وانه سيأتي عليها زمان يجند فيه قوم من العلماء خبرتهم وعبقريتهم للبحث عن النسخ المخطوطة الباقية منها ، الموزعة في اطراف العالم ، لتصحيحها ومقابلتها ببعضها ، ثم دفعها الى المطبعة ، لتصل عن طريقها الى ايدي الناس .

مهما يكن ، فقد حظيت رحلة ابن جبير بعناية كثير من المستشرقين ، وطبعت عدة مرات ، كان آخرها — فيما نعلم — طبعة صدرت في مصر في سنة 1955 بتحقيق الدكتور حسين نصار ، مع تعليقات على الهامش ، واشارات الى ما بين النسخ من الاختلاف .

وليس هناك شك في ان هذه العناية التي حظيت بها رحلة ابن جبير ، انما تعود في الواقع الى اهميتها الخاصة — التي تقدمت الاشارة اليها — كوثيقة تاريخية يكتبها شاهد عيان ، ويعنى فيها على الخصوص بوصف المجتمعات والعادات والمستوى الفكري واسلوب المعيشة كما يعنى بوصف الآثار والمعالم التاريخية في كل بلد مر به ، وقد ترك لنا ابن جبير في رحلته صورة حية واضحة من كل ذلك في مصر والحجاز والعراق والشام وصقلية ، كما ترك لنا صورة اخرى — وان كانت اقل وضوحا — عن نوع العلاقات التجارية والاجتماعية بين المسلمين من جهة ، والمسيحيين الزاحفين على العالم الاسلامي في الحروب الصليبية من جهة اخرى ، وعن مدى التأثير المتبادل بينهما في مختلف الميادين .

وتظهر قيمة رحلة ابن جبير بصورة اوضح ، اذا قدرنا الظروف التاريخية التي كتبت فيها ، فقد كان العالم العربي الاسلامي آنذاك هدفا لحرب توسعية استعمارية شنها الغرب المسيحي باسم الدين على العالم الاسلامي ، تلك هي الحروب المعروفة في التاريخ باسم الحروب الصليبية ، وقد كان العالم الاسلامي موزعا ضعيفا مختلفا مختلا ، ولولا الدولة الموحدية في المغرب والدولة الايوبية الفتية في مصر والشام ، لما كان من الصعب على الغرب المسيحي ، ان يبتلع الشرق المسلم وان ينتقم منه شر انتقام ، اذا ذهبنا الى ان الحملات الصليبية كانت حملات انتقامية كما يفهمها بعض المتاخرين من المؤرخين .

ويظهر من بعض المقارنات التي يعقدها ابن جبير ان الحالة في المغرب العربي والاندلس في ظل الدولة الموحدية ، كانت تتسم بطابع الاستقرار والامن والنظام والطاعة ، وان الدولة الايوبية في عهد صلاح الدين الايوبي ، كانت مشغولة بالحروب المتوالية والمعارك المتسلسلة ، عن أن تفرغ لشأن المجتمعات لتنظم احوالها ، وتحملها على الطاعة واحترام النظام ، ومن ثم كانت الامور في غاية من الفوضى والاختلال والارتباك وكانت ايدي الولاة والمسؤولين المحليين واعوانهم مطلقة في اموال الناس ، وكانت المعاملات تقوم على الاحتكار والغش والاستهتار والسرقة ، وكان ابن جبير يضج من كل ذلك ، فيقف بين الحين والحين يذكر فيها الدولة الموحدية ويثني عليها ، بل ويتمنى لو يتحقق ما سمع الناس يتهامسون به في مصر والحجاز وغيرهما من التنبؤ بقرب الخلاص على يد الموحدين ، وانهم يجدون ذلك مكتوبا عندهم في بعض كتب **(الجفر)** وقد تحققت بعض علاماته واشراطه ، ولم يبق الا ان يصبح واقعا ، مصداقا لما تحدثت به كتب **(الجفر)** وما اشارت اليه العلامات والاشراط .

وابن جبير هنا مجرد ناقل ومدون لما يسمع ، ولعلنا نستطيع ان نستشف من هذه الاسطورة التي سمع الناس يتناقلونها في مصر والحجاز مدى ماكانت تتمتع به الدولة الموحدية آنذاك في العالم الاسلامي من الاعجاب ، ونحن نعلم ان الاسطورة لاتتدخل ، الا عندما يبلغ الاعجاب حدا يصبح من الصعب معه على الجماهير ان تعبر عنه بغيرها .

وابن جبير ، لايؤكد الاسطورة ولا ينفيها ، ولكنه يتمنى تحقيقها ، ويؤكد ايمان الناس بها هناك ، بل يذكر : **«ان بعض فقهاء هذه البلاد المذكورة قد حبر خطبا أعدها للقيام بين يدي سيدنا امير المؤمنين ، أعلى الله امره ، وهو يرتقب ذلك ارتقاب يوم السعادة وينتظره انتظار الفرج الذي هو عبادة ، والله عز وجل يبسطها من كلمة ، ويعليها من دعوة ، انه على ما يشاء قدير»** .

ويتحدث ابن جبير في كل مناسبة ، وبحرارة كبيرة احيانا ، عن اختلال الاحوال في البلاد الاسلامية التي مر بها ، ويذكر الشيء الكثير عن عسف الولاة وظلمهم وشجعهم ، ولا يخص بثنائه الا شخصا واحدا هو صلاح الدين الايوبي .

والحقيقة ان اعجاب ابن جبير بشخصية صلاح الدين يفوق حد الوصف ، فهو لايفتأ في كل مناسبة يتحدث عن تقواه ، ويعدد اخلاقه من كرم وحلم وشجاعة وتواضع وغير ذلك ، ويسوق قصصا يدلل بها على صحة ما يقوله ، ويدعو له باخلاص لامزيد عليه ولا ينسى في بعض وقفاته عندما يذكر الدولة الموحدية ويثني عليها ، ان يقرن ذلك بالثناء على صلاح الدين والدعاء له والتنويه به .

يقول ابن جبير في احدى هذه الوقفات : **«وليتحقق المتحقق ، ويعتقد الصحيح الاعتقاد ، أنه لا اسلام الا ببلاد المغرب ، لانهم على جادة واضحة لا بنيات لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية ، فاهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، الا من عصم الله عز وجل من أهلها ، كما انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه الا عند الموحدين اعزهم الله ، فهم آخر ائمة العدل في الزمان ، وكل من سواهم من ملوك هذا الاوان ، فعلى غير الطريقة ، يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذلة لديهم ، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب ، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها ، اللهم الا هذا السلطان العادل صلاح الدين الذي قد ذكرنا سيرته ومناقبه ، لو كان له أعوان على الحق»** .

ويطول بنا المقام جدا اذا حاولنا ان نتتبع ابن جبير في كل مراحل رحلته ، فقد كانت رحلة طويلة مفصلة ، ابتداها من غرناطة ، واجتاز البوغاز الفاصل بين المغرب والاندلس ، وركب البحر الى الاسكندرية مارا ببلاد كثيرة ، وانتقل الى القاهرة واجتاز الصعيد المصري الى أسوان فعيذاب ، ثم ركب البحر الاحمر الى جدة ، وحج ، وزار المقامات المقدسة ، وانتقل الى

العراق والشام ، وركب البحر مرة اخرى من عكـــة قاصد الاندلس ، مارا في طريقه بصقلية وغيرها من الجزر ، وكان في كل قطر حل به يزور مدنه وقـراه، ويقف على كل معالمه وآثاره التاريخية ، ويجول فـي الاسـواق ، ويختلف الى حلقا تالدراسة والوعـظ ، ويعني بوصف احوال الناس في معاملاتهم ولباسهــم وسلوكهم اليومي وطريقتهم في التحيــة ، ويصــف النســاء ، والاطفال «في محاضرهم» ويتحدث عــن طرق التعليم ، بل لاينسى ان يحاول تعليل جـــودة « **الخطوط** » في الشرق بصفة عامة عنها في المغـرب ، الى غير ذلك مما لاتتاتى هنا الاشارة اليه .

وبعض الصور التي يعرضها ابن جبير من رحلته صور فكهة ممتعة ، لايقصد بها هو تنكيتا ، فقد كان اطيب واعف من ان يقصد التنكيت بالناس ، وانمـا يعرضها كمشاهدات ، ويحاول ان يستخرج منهـــا العبرة .

نذكر من هذه الصور على سبيل المثال ، ماتحدث به عن بعض القبائل اليمنية ، وتدعى « السـرو » كانت تحمل البضائع التجارية الى مكة في موسم الحــج ، فتتجر ، وتؤدي الفريضة ، وقد استلفتت احوال هذه القبائل انتباه ابن جبير فوصفها وصفا دقيقا في كثير من تصرفاتها ، وكان مما وصف من ذلك طريقتهم في الصلاة ، يقول :

«واما صلاتهم فلم ير في مضحكات الاعــراب اظرف منها ، وذلك انهم يستقبلون البيت الكريــم ، فيسجدون دون ركوع ، وينقرون بالسجود نقــرا ، ومنهم من يسجد السجدة الواحدة ، ومنهم من يسجد الثنتين والثلاث والاربع ، ثم يرفعون رؤوسهم مــن الارض قليلا وايديهم مبسوطة عليها ، ويلتفتون يمينا وشمالا التفات المروع ، ثم يسلمون او يقومــون دون تسليم ولا جلوس التشهد ، وربما تكلموا في اثناء ذلك وربما رفع احدهم راسه من سجــود الى صاحبـــه وصاح به ووصاه بما شاء ، ثم عاد الى سجوده ، الى غير ذلك من احوالهم الغريبة» .

ومع ذلك فـان ابن جبير يثنــي علــى هــؤلاء «الســرو» ويذكر نجدتهم واعتقادهم الصحيح ، وربما كان ذلك تكفيرا منه على ما لعله تبادر اليـــه من انــه ذكرهم بسوء .

وهذه صورة اخرى من الصور الفكهة في رحلة ابن جبير ، تصور لنا دهشتـه من مبالغة الشـرقييــن في المجاملة والتحية والاحترام والتعظيم ، وهي صورة لايزال المغربي حتى الآن يقف مندهشا منها اذا الــم بالشرق ، فقد تعود المغاربة في معاملاتهم وصلاتهم الاجتماعية على نحو من الجد قد يبلغ الى حد الخشونة احيانا ، وتعود الشرقيون في ذلك على المبالغة فـــي المجاملة واظهار التعظيم الى حد يبلغ الميع احيانــا ، يقول ابن جبير :

«ومخاطبة اهل هذه الجهات قاطبة بعضهــم لبعض بالتمويل والتسويد ، وامتثال الخدعة ، وتعظيم الحضرة ، واذا لقي أحد منهم آخر مسلما يقول : جاء المملوك أو الخادم برسم الخدمة ، كناية عن الســلام ، فيتعاطون المحال تعاطيا ، والجد عندهم عنقاء مغرب، وصفة سلامهم ايماء للركوع أو السجود ، فتــرى الاعناق تتلاعب بين رفع وخفض ، وبسط وقبض ، وربما طالت بهم الحالة في ذلك ، فواحد ينحــط ، وآخر يقوم ، وعمائمهم تهوى بينهم هويا ..

.. فيا للعجب منهم اذا تعاملوا بهذه المعاملــة ، وانتهوا الى هذه الغاية في الالفاظ بينهــم ، فبماذا يخاطبون سلاطينهم ويعاملونهم ؟ لقد تساوت الاذناب عندهم والرؤوس ، ولم يميز لديهم الرئيــس مــن المرؤوس ، فسبحان خالق الخلق أطوارا لاشريك لــه ولا معبود سواه .

ولا يلبث ابن جرير الا قليلا بعد الاستمرار في وصف هذه الحالة ، أن يحس بالحاجة الى التكفيــر والاستغفار ، فيقول : **استغفر الله منهم ، فــان لهــم من آداب (المصافحة) عوائد تجدد لهــم الايمــان ، وتستوهب لهم من الله الغفران»** ويمضي في تعــداد محاسن «**(فضيلة)**» المحافحة ، وانت تحس في كــل ذلك ، انه لايقصد الا البحث عن «**(فضيلة)**» يمعن فـي تحليلها ، تكفيرا عما بدر منه من التنكيـت باحــوال القــوم .

اما القضية الكبرى التي لم تطقها اعصاب ابــن جبير ، ولم يستطع صبرا عليها ، والتي تعرض لها في كل مكان مر به ، خصوصا عند نزوله في الاسكندرية، وعند وصوله الى (عيذاب) في اقصى الصعيد المصري، وعندما اجتاز البحر الاحمــر الى جدة ، فهــو قضيــة «المكوس» او الرسوم الجمركية كما نسميها اليوم ، او ضريبة المرور التي كان على كل مسـافر ان يؤديها في كل بلد حل به .

ويبدو من شدة ضيق ابن جبير بهذه (المكوس) انها لم تكن معروفة بالمغرب على عهده ، او انها على الاقل لم تكن تستخلص من الناس بمثل العنف والقسوة والامعان في الاستنطاق والاستحلاف والتفتيش ، وما الى ذلك مما عانى منه ابن جبير ، وهو الذي لايعترف الا بالزكوات والاعشار ، على الصفة التي هي عليه في الشرع ، من تمام النصاب ومرور الحول وما الى ذلك ، وهو يرى في استخلاص المكوس من المسلمين اذلالا لهم ، ومعاملة لهم كذميين .

ومع ذلك فقد عاد ابن جبير الى الشرق العربي مرة اخرى ، بمجرد ان سمع بفتح القدس . وعاد اليه مرة ثالثة بعد وفاة زوجه ، واستقر اخيرا بالاسكندرية التي كان في رحلته الاولى يضج بالشكوى مما لقيه من العذاب عند النزول بها .

ان الوطن العربي كل لايتجزا ، وقد كان ابن جبير واضرابه من الرحالين العرب ، احدى صلات الوصل بين اجزاء هذا الوطن العربي الكبير .

عبد القادر الصحراوي

تاريخ مدنية الهند وباكستان

للاستاذ محمد العربي الهلالي

لعل شخصية الاستاذ محمد العربي الهلالي لا تخفى على كثير من اخواننا ممن يتتبعون صدى (اولئك) الذين لم يحتملوا الاحتلال الفرنسي فراحوا نحو المشرق **فلقد غادر وطنه المغرب** وهو ما يزال في طور الشباب، ودرس في مختلف المعاهد بتلك الديار ، ثم القى عصا التسيار بالبلاد الهندية حيث اخذ على عاتقه تعليم اللغة العربية في مدارسها وكلياتها . . . والاستاذ الهلالي الى جانب هذا يقوم بحركة واسعة لصالح العروبة والاسلام. فلقد كان في جملة من نظم ـ مؤخرا ـ جماعة تحت اسم **(لجنة الجزائر)** من كبار المفكرين والادباء هناك ، هذه اللجنة التي كان لها الفضل في تخصيص يوم 23 مايه كيوم للجزائر ، ينشر فيه ويكتب كل ما يمكن ان يقدم الجزائر الجريحة الى الامة الباكستانية .

هذا هو الاستاذ محمد العربي الهلالي الذي عني ـ وهو يقوم بالتدريس في جامعة لاهور ـ بتاريخ البلاد الهندية وجغرافيتها وعوائدها ولغاتها ، فامكنه بذلك ان يسجل في كتاب حافل معلومات قيمة حول هذه البلاد ولقد رأى ان يصدر هذا البحث المهم ، في شكل اجزاء متتابعة من الحجم المتوسط لفائدة القراء العرب . .

واليوم يصدر الجزء الاول من تاريخ مدينة الهند وباكستان في خمس وثمانين صفحة ، ولقد ابى حضرة الاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية الا ان يقدم الاستاذ الهلالي الذي تعرف به عند انعقاد الجمعية العامة لمنظمة اليونيسكو ، بدهلي الجديدة ، اواخر سنة 1956 . . لقد اثنى حضرة الرئيس على الاستاذ الهلالي الذي **(اشبع بالايمان والاخلاص والمحبة للوطن والتشبث بالمبادىء الاسلامية السامية)** على حد تعبيره . .

والكتاب يشتمل على تمهيد بليغ ومفيد للاستاذ الهلالي عن بلاد الهند التي الم تزل محط اعجاب العلماء والفلاسفة والصناع والشعراء والسياح والفاتحين ، لانها عالم بنفسها تختلف عن غيرها في الهواء والتربية والعقائد والآداب والصنائع وسائر النظم الحيوية ، وفي هذا العالم العجيب : الهند ، نجد خلاصة لجميع ادوار التاريخ الانساني ومدارج الرقي التي قطعها من مبدا وحشيته الى غاية ما وصل اليه من الحضارة ، فاذا اردنا ان ننظر الى ذلك الزمان الغابر الذي اختفى عن ابصارنا وكان اساسا لعقائدنا وعواطفنا وتصوراتنا الحاضرة ، فيمكننا ذلك بتتبع احوال الامم التي هي الآن سائرة في درجات الرقي ، وخصوصا امة الهند التي تقطنها أمم تمثل جميع فترات التقدم الانساني درجة درجة .

ولم يفت الاستاذ الهلالي في مقدمته ان يلاحظ ان ما قام به مستشرقو اوروبا نحو الهند، انما اعتمدوا فيه على تراجم بعض الكتب السنسكريتية الدينية ، واللغة السنسكريتية لغة ميتة عند الهنادك من قديم الزمان وحالتها في الهند كحالة اللاتينية في اوروبا بل انها اقل من ذلك، وتقدير المدنية الهندية من كتبها الدينية القديمة كتقدير المدنيات الاروبية القديمة من مطالعة الانجيل وقصائد هرمز .

وكان مما اسف له الاستاذ الهلالي في كتابه ، عدم العناية ببنايات الهند القديمة والآثار النادرة ، مع العلم بان الحكومة الانجليزية مضى عليها في الهند ازيد من خمسين ومائة سنة ، ولكنها لم تبذل الا شيئا يسيرا لصالح التنقيب على تلك الآثار ، هذا الى جانب الفكرة التي تسيطر على الهنادك والتي تتلخص في عدم المحافظة على شيء مما مضى ! فليس التاريخ شيئا مهما فضلا عن ان يكون فنا علميا ! او ليسوا هم القائلين : **(ان الذي مضى من الاحياء ودفن لاينبغي البحث عنه ، ولا عما كان عليه من خير او شر . .)** .

والكتاب بعد هذا يشتمل على قسمين : الاول يتناول جغرافية الهند ، والثاني جغرافية الباكستان ، فالقسم الاول يتحدث الباب الاول فيه عن وصف جغرافي للبلاد الهندية وشرح واف لاسباب التضاد الملموس بين المناظر والهواء الخ .. اما الباب الثاني فيتعرض فيه لاقطار الهند بما فيها بلاد البنغال وبلاد البنجاب وقطر دهلي (بتقديم الهاء على اللام) عرش الملوك الهنود الاقدمين والمركز الدائم للحكومات الهندية المتعاقبة ، هذا بينما يخصص الباب الثالث للنباتات والحيوانات والمعادن .

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول الفصل الاول فيه حدود باكستان وجغرافيتها بقسميها الشرقي والغربي ، وانهارها وامطارها وهوائها وطرق الري بها ومزروعاتها ومعادنها وصنائعها وطرق المواصلات بها واشهر مدنها . . .

حقا لقد كان اول مؤلف من نوعه ـ فيما نعلم ـ قدم للعروبة هذا البحث الذي يعتبر مجهودا يشكر عليه الاستاذ الهلالي ، ولقد احسنت وزارة التربية الوطنية المغربية صنعا حينما شجعت في هذا المواطن المغربي هواية البحث في بلاد نائية بعيدة ، وحبذا لو يتمادى في (منح) سائر الذين تتجه قرائحهم الى التنقيب والاستطلاع . .

واذا كان لي ما الاحظه على حضرة المؤلف ، فهو انه لم يحل كتابه المفيد بالصور والرسوم اللازمة ، فلقد كان مما يبعث الشوق ـ سيما ونحن على علم من اثر الصور اليوم ـ ان يشتمل الكتاب على خرائط للقارة الهندية وبلاد الباكستان ، الى المزيد من المناظر الطبيعية والمباني التاريخية . . وعسى ان يطالعنا الجزء الثاني وقد توفر على عدد من الرسوم التي تقرب الحقيقة الى ذهن القارىء .

ولا ارضى ان اختم حديثي عن هذا الكتاب دون ان استغفر الله لرجال المطبعة الذين (استروحوا) اكثر من اللازم ، فاقلقوا بذلك القارىء للتأليف ، ولعله آن الاوان لكي لانسترسل في التغني بـ «الخطوة الاولى»! فلقد قطعت مطبعتنا خطوات وخطوات ، وما على المشرفين عليها ـ وهم من خيرة المتذوقين عند ما يريدون ! ـ الا ان يسهروا على ما يخرج من مطابعهم ويتعهدوه بما يظهره لدى القارىء في احسن عرض واجمل ترتيب . . انهم بذلك يستدرون شكر الجمهور الذي لايرحم ـ والحق معه ـ والقارىء الذي «يحترف» في ابرز ما يحترف ، النقد والتعليق والتعقيب .

عبد الهادي التازي

المؤتمر الاقليمي الاول بفاس للجان الوطنية العربية لليونسكو

اصدرت اللجنة المغربية لليونسكو كتابا عن (المؤتمر الاقليمي الاول للجان الوطنية العربية لليونسكو) الذي انعقد بفاس من 27 الى 30 يناير 1958 والكتاب يقع فى 134 صفحة مزينة بكثير من الصور والرسوم ، وقد ورد في آخر مقدمته العبارة التالية :

ولقد رأت اللجنة الوطنية المغربية انه من المفيد ان تجمع في هذه الوثيقة ، نصوص القرارات التي اتخذها المؤتمر الاول للجان الوطنية العربية ، بالاضافة الى التقرير العام ، والخطب التي القيت اثناء انعقاده ، وبعض الوثائق الاخرى التي تضفي ضوءا على هذه المظاهرة الثقافية التي شهدها المغرب، وكان العالم جميعه يردد صداها طيلة حقبة من الزمان .

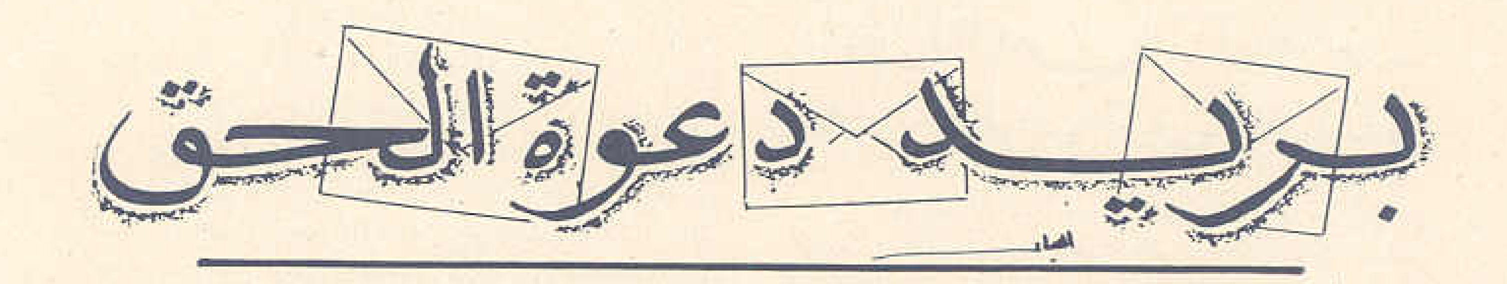
ولعل هذه العبارة كافية فى اظهار الغرض من اصدار هذا الكتاب ، او هذا (السجل) اذا توخينا الدقة فى التعبير .

وفى اول هذا (السجل) صور متعددة من حفلة افتتاح المؤتمر التي تفضل بالحضور فيها جلالة الملك سيدي محمد الخامس ، والقى بها خطابه التاريخي المعروف .

وبعد المقدمة نجد عرضا مستوفيا ضافيا لاعمال المؤتمر وجلساته واعمال لجانه المختلفة ، تحت عنوان (ايام اليونيسكو بفاس) ثم جدول الاعمال ، والقانون الداخلي ، والبرنامج العام للمؤتمر ، وكلمات الوفود في حفلة الافتتاح ، ثم التقرير العام ، فتقارير وتوصيات لجان المؤتمر المختلفة ، واخيرا وصفا لحفلة الاختتام ، «وتسجيلا» للكلمات التي القيت فيها .

انه عمل تشكر عليه اللجنة المغربية لليونسكو ، فنحن اذ نرجو ان يكون المؤتمر عملا جديا لتدعيم منظمة اليونسكو ومساندتها في أعمالها في حقل السلام والثقافة والتربية ، واذ نرجو أن يكون لقرارات المؤتمر وتوصياته تاثير ملموس لفائدة البلاد العربية المشاركة فى المؤتمر، نرجو ايضا ان لايكون المؤتمر بالنسبة للمغرب مجرد مظاهرة ثقافية او قومية عابرة .

ولعل هذا السجل الذي اصدرته اللجنة المغربية، سيساعد على حفظ أعمال المؤتمر وتوصياته حية في عقولنا وقلوبنا ، وسيحفزنا للعمل من جانبنا على تنفيذ ما شاركنا في وضعه من قرارات وتوصيات ، وسيدفعنا الى مساهمة فعالة اكثر ، فى ميادين الفكر والثقافة والمعرفة ، وتدعيم السلام .



أصداء من بيروت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : وقع بين ايدينا العدد الثاني عشر من مجلة « دعوة الحق » وقد ارسله الينا احد طلبتنا النجباء في الرباط .

تصفحنا العدد المذكور فاكبرنا مضامينه ، واكبرنا المجهود الضخم الذي تصرفونه في سبيل اصدار هذه المجلة الراقية ، ولا ريب عندي ان لعناية ورعاية حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس نصره الله اثرهما في اخراج « **دعوة الحق** » بهذه الحلة القشيبة التي تهناون عليها .

* *

كل ما نشر في العدد (يونيه 1958) تستحقون عليه التهنئة الصادقة ، وبودي ان تعدوني احد مناصري مجلتكم في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، وساغتنم فرصة سانحة لاتحاف « **دعوة الحق** » ببحث اعده خصيصا لها ، واتعشم ان يلاقي من اسرة التحرير بالرضى والقبول .

* *

هل يمكن ... اتحافي بالاعداد الاولى من « **دعوة الحق** » لا سيما الاعداد التي تحمل تحية جلالة الملك ، وسمو ولي عهده ، وكريمته صاحبة السمو الملكي الاميرة لالا عائشة ، الى مجلتكم ، واكون سعيدا وشاكرا اذا تلطفتم باجابة هذه الرغبة الملحة في اقرب فرصة .

في الختام لكم مني ارق التحية ، وارجو لمجلتكم سعة الانتشار في كافة الامصار العربية والاسلامية ، وبانتظار ردكم اقبلوا فائق التحيات .

المخلص : **عبد الرحمن محمود الحص**
صاحب « دار نشر الآداب » في بيروت

حضرة الفاضل المحترم الاستاذ عبد الرحمان محمود الحص . عليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد توصلنا برسالتكم الرقيقة التي تشيدون فيها بالمجهود المتواضع الذي نبذله في سبيل اصدار هذه المجلة ، وقد تأثرنا لها كثيرا جدا ، والذي نرجوه بكامل الاخلاص ، ان نكون عند حسن الظن ، وان نوفق في سعينا للغاية التي نهدف اليها ، وهي بعث الحركة الفكرية الادبية في المغرب ، واتاحة الفرصة لاخواننا في العالم العربي والاسلامي ، للتعرف عليها وتقييمها .

لقد بعثنا لسيادتكم بالفعل مجموعة من اعداد السنة الاولى ، ومن ضمنها الاعداد التي تتضمن تحيات جلالة الملك سيدي محمد الخامس ، وسمو ولي العهد الامير مولاي الحسن ، وسمو الاميرة لالا عائشة ، للمجلة ، ونرجو عند صدور هذا العدد ان تكونوا قد توصلتم بها .

ونحن في انتظار ان تنجزوا وعدكم بكتابة بحث للمجلة ، وسنكون ممنونين اكثر ، اذا كان هذا البحث يتصل بالحركة الفكرية الادبية في المغرب ، ولعل مجموعة السنة الاولى للمجلة – التي نرجو ان تكونوا قد توصلتم بها – تستطيع ان تعطيكم صورة عن هذه الحركة .

اننا نعتز باعتباركم احد مناصري المجلة في ذلك الجزء من الوطن العربي الكبير ، ونكرر شكرنا لاريحيتكم وروحكم العربية الصادقة . ودامت لكم السلامة والتوفيق .

دعوة الحق

حول تطور تشريع الوصية في الإسلام

حضرة الاستاذ العلامة الفاضل سيدي محمد الطنجي .

تحية ملؤها التقدير والاحترام .

وبعد ، فقد حظيت بقراءة مقالكم القيم المنشور في العدد الممتاز من مجلة دعوة الحق (12) والذي تحدثتم فيه في معالجة علمية عن الوصية في الاسلام ، ومدى مسايرتها للتطورات الزمنية التي تتوالى تباعا والى الابد على الانسانية ، فكان المقال في حد ذاته قيما وجليلا ، ولكني اتمنى لو تفضلتم باعارة ملاحظتي هذه بعض اهتمامكم ــ مأجورين سلفا ــ ذلك ان حديث ابي وقاص ختم بهذه العبارة : (... انك ان تذر ورثتك اغنياء ، خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس) وهذه العبارة التي هي في الواقع علة او كالعلة للحكم قبلها ، ذات اعتبارين فيما يبدو ، الاول هو ما اشرتم اليه حين قلتم (... ان الثلث كثير حيث كان هناك وارث من الصلب كما هي صورة السبب في الحديث ، والثاني ــ وهذا بالضبط ما اود ان انبه اليه نظر استاذنا المحقق ــ هو مفهوم هذه الكلمة: **((عالة يتكففون الناس)).**

فان مفهومها يكاد يكون صريح الدلالة في انه عند انعدام هذا الخوف فلن يكون هناك ــ شرعا ــ اي مانع يحول دون الوصية بالثلث مع وجود الوارث من الصلب، وقد يومىء لهذا الاحتمال تعليقكم على قصة مخيريق ، فقد حملتموها احتمالين ، بنيتم على احدهما حكم صحة الوصية بجميع المال ، وهو وجود الوارث المخالف في الدين ، وسكتم عن الاحتمال الثاني من تعليقكم ، واعني به وجود ورثة مسلمين اسلموا معه او قبله ، افلا يمكن مع هذه الوضعية ان يقال بجواز الوصية بالجميع مع مراعاة الظروف حيث تكون العدالة الاجتماعية شاملة وذات انظمة قارة ثابتة ...

فما راي استاذنا ... وتقبلوا كامل اعتباري .. والسلام .

فاس : عبد الكريم محمد التواتي

الوصية بأكثر من الثلث

حضرة الاستاذ الجليل سيدي عبد الكريم محمد التواتي .

ناولني رئيس تحرير مجلة «دعوة الحق» الاستاذ السيد عبد القادر الصحراوي رسالتكم الكريمة التي تضمنت ملاحظتكم على مقالي المنشور بدعوة الحق ، فابادلكم التحية بمثلها ، واكبر فيكم روح البحث العلمي ، واتمنى على الله ان يكثر امثالكم في امتنا الفتية حتى تتسع آفاق الاجواء العلمية بين شبابنا الناهض ، فيرتفع المستوى الفكري والادبي ، وتبلغ امتنا وتسترجع مكانتها العلمية السالفة بين الامم ذات الحضارة الكبرى، ولا يفوتني ان اعترف بانكم انزلتموني في مكانة علمية لست اهلا لها ، وانما انا طالب علم واستفادة كعدد من طلابه الصغار .

وبعد فقد قرات ملاحظتكم القيمة على المقال الذي نشرته بمجلة دعوة الحق تحت عنوان **(تطور تشريع الوصية في الاسلام)** حيث ذكرتم تعليقا على ما جاء في الحديث : **(انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس)** ولفتم النظر الى مفهوم كلمة **(عالة يتكففون الناس)** قائلين ان مفهومها يكاد يكون صريح الدلالة في انه عند انعدام هذا الخوف ، فلن يكون هناك شرعا اي مانع يحول دون الوصية **بالثلث** مع وجود الوارث من الصلب الخ .. ويظهر ان ذكركم **للثلث** في حالة انعدام الخوف في هذه الصورة سبق قلم ، اذ مقصودكم الوصية **بجميع المال** في حالة غنى الوارث بدليل آخر كلامكم .

وانكم يا سيدي الاستاذ في ملاحظتكم قد وافقتم ما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ، عند تعداده للفوائد المستفادة من الحديث ، حيث ذكر من جملتها : ان من لا وارث له تجوز له الوصية باكثر من الثلث ، لقوله صلى الله عليه وسلم **((ان تذر ورثتك اغنياء ..))** قائلا فمفهومه ان من لا وارث له لايبالي بالوصية بما زاد ، لانه لايترك ورثة يخشى عليهم الفقر ، ثم قال الحافظ وتعقب بانه ليس تعليلا محضا ، وانما فيه التنبيه على الاحظ والانفع ، ولو كان تعليلا محضا لاقتضى جواز الوصية بأكثر من الثلث لمن كانت ورثته اغنياء ، ولنفذ ذلك عليهم بغير اجازتهم ، ولا قائل بذلك . ويمكن ان يبحث في هذا التعقب نظريا ، الا ان المتبادر الى الفهم من جهة الاسناد ، ان الموصي يترك الورثة اغنياء بماله ، لا بمال آخر من غير طريق ارثه بعد موته .

ويؤيد هذا النظر امران : الاول نقلي ، حسب ما تقرر في القواعد الاصولية ونقله القرافي عن الامام الشافعي من ان ترك الاستفصال في حكايات الاحوال ، ينزل منزلة العموم في المقال ، نحو قول النبي عليه السلام لغيلان حين اسلم على عشر نسوة : امسك اربعا وفارق سائرهن ، من غير كشف عن تقدم عقودهن او تأخرها او اتحادها او تعددها ، فلذلك يقال هاهنا :

حيث ان النبي اطلق ولم يستفسر عن حالة الوارثة او الورثة هل لهم مال ام لا فيعم الحكم الحالتين .

الامر الثاني ما في رواية النسائي واحمد بمعناها من قول سعد : عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضي فقال : اوصيت ؟ قلت : نعم . قال : بكم ؟ قلت : بمالي كله في سبيل الله . قال : فما تركت لولدك ؟ قلت : هم اغنياء . فقال : اوص بالعشر ، فما زال يقول واقول حتى قال اوص بالثلث والثلث كثير او كبير) فانت ترى كيف عبر سعد عن ورثته بقوله . **(هم اغنياء)** بالجملة الاسمية التي تفيد الاتصاف بالغنى حالا ، من غير ماله الذي سيخلفه بعد موته ، لانه اوصى به كله حسب اخباره في هذه الرواية ، حتى راجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما سكوتي عن احتمال وجود ورثة مسلمين لمخيريق الذي اوصى بجميع ماله ، فان القصد من سياقه هو اجازة الرسول للوصية بجميع المال ، اما التفصيل بين وجود ورثة مسلمين له او عدم وجودهم فليست له اهمية هنا ، بحيث انه لايفيدنا الفائدة التامة، بل العبرة بالتشريع التفصيلي الوارد في حديث سعد ابن ابي وقاص ، فاي تفصيل يستفاد من حديث مخيريق ينسخه ويقدم عليه ما يستفاد من حديث سعد ، لان قصة مخيريق في غزوة احد في السنة الثالثة من الهجرة ، وحديث سعد كما في كثير من رواياته في حجة الوداع ، وبهذا يتبين الاساس الصحيح الذي اشرت اليه في مقالي المنشور بالعدد الثاني عشر من مجلة **(دعوة الحق)** وهو ما صرح به الحافظ بن حجر من استقرار (الاجماع على منع الوصية باكثر من الثلث ، لكن اختلف فيمن ليس له وارث خاص) اي فمن كان له وارث خاص وقع الاجماع على منعه من الزيادة على الثلث كيفما كانت حال الوارث غنيا او فقيرا ، وقد نقل هذا الاجماع الشوكاني والصنعاني .

والله يحفظ الاستاذ الباحث عبد الكريم محمد التواتي ، ويزيد في معناه ، والسلام عليك اولا واخيرا .

الرباط : محمد الطنجي

رسالة مفتوحة الى الاستاذ عبد الوهاب بن منصور

حضرة الاستاذ المحترم السيد عبد الوهاب بن منصور ، احييكم تحية طيبة ، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

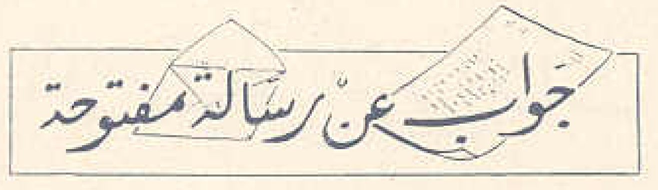
فاني اتتبع بكل اهتمام المقالات القيمة التي تنشرها مجلتنا «دعوة الحق» هذه المجلة التي سدت فراغا كبيرا في ميدان الثقافة بالمغرب ، واغلقت ثلمة كانت وصمة في جبين هذه الامة العزيزة ، وصمة الركود وقلة الانتاج ، كما اتتبع بالخصوص مقالاتكم القيمة التي تنشرونها تباعا في كل عدد ، وقد لاحظت في مقالتيكم القيمتين حول **(الكتابة العربية واصلاحها)** نوعا من القصور في اللفظ ، وانقباض النفس في التعبير ، الامر الذي جعل الافادة تنقص القارىء ، ولا يحصل الا على الفكرة العامة من الموضوع ، فكرة الكتابة العربية واصلاحها ، فلو استمررتم في تبيين الفكرة وشرح الموضوع واعطاء الخطة والبرنامج الذي يمكن ان تسير به الكتابة العربية في المستقبل ، وما هي الطريقة المجدية في ذلك ، وما هو نوع الوسيلة التي يتوصل بها الى قلب نظام الكتابة الحالي ، لكان هذا اجدى وانفع ، ولكان تتمة محمودة للموضوعين ، ثم لكان فاتحة عهد بطرح الفكرة على بساط البحث والنقد ، وتبيين محاسنها ومساوئها ، واعطاء وجهات النظر فيها ، حتى يمكنها ان تخرج من حيزنا الضيق الى مجال اوسع ، لتشترك فيها عقول اخرى كعقل مخترعنا المغربي ، الذي اخترع آلة طابعة مبسطة .

ان الفكرة وان كانت مسبوقة – فقد راجت في العالم العربي قبل هذا الزمان – الا اننا في هذا الوقت احوج اليها من اي وقت آخر ، نظرا للسرعة التي اكتسحت اعمال القرن العشرين ، ونظرا للاختصار الذي اجتاح ميادينه ، ثم ايضا نظرا للصعوبة الملموسة في تعليم الحروف الهجائية باشكالها المتعددة وصورها المختلفة ، لكل حرف اشكال والوان ، وبناء على هذا فالسعي لايجاد صورة واحدة للحرف العربي لايحيد عنها اصلا ، سوف يكون له الاثر المحمود والعاقبة الطيبة .

ان عقبة كؤودا تقف حائلا دون الوصول الى هذه الغاية تلك هي الاجيال العديدة التي سارت على هذا المنوال المعهود بيننا في الكتابة ، فمن الخطل ان يحيدوا عنها الا اذا آمنوا بضرورة ذلك .

وفي الاخير تقبلوا تحياتي وسلامي مع تقديري لكم .

عبد الصمد العشاب



اطلعت على الكلمة الطيبة التي كتبها السيد عبد الصمد العشاب ، حول اصلاح الكتابة العربية وطباعتها واني لاحس بزهو اذ اسمع صدى لبعض المقالات

المتواضعة التي اسجل بها احيانا خواطري وافكاري الدينية والادبية والاجتماعية في بعض الصحف والمجلات التي في طليعتها **(دعوة الحق)** .

واستبشر خيرا بهذه الكلمة الطيبة ايضا ، لانها اظهرتنا على ان في المغرب قراء لايكتفون بتصفح الاوراق ، وقراءة عناوين المواضيع قراءة عابرة ، بل يتعدون ذلك الى القراءة المتأنية والفهم الصحيح ، ثم مناقشة ما يقرأ ويفهم ، وقبوله ان كان جديرا بالقبول ورده ان كان جديرا بالرد .

واشكر السيد العشاب على كلمته الطيبة كذلك لا لانه علق بها على مقالاتي ، بل لانه هتك حجاب القطيعة الحائل بين الكتاب والقراء في المغرب ، فما اعرف بلدا قل فيه التجاوب بينهم كالمغرب ، وما اعرف قوما خبت في افئدتهم جذوة النقد الادبي كما خبت في افئدة المغاربة هذه السنين الاخيرة ، حتى ليظن الظان ان الكتاب في المغرب يكتبون لغير قراء ، وان القراء يحلو لهم أن يكفوا الاقلام عن الكتاب ، مدفوعين الى ذلك بمجاملة تشبه النفاق .

وما لم تشحذ الاقلام وتصر فوق الطروس لمناقشة الافكار والتعقيب على الانتاج ، فلن يرجى للادب والعلم في هذه البلاد نهوض .

وأعود بعد هذا الى كلمة السيد العشاب او تعقيبه ، فقد اتهمني بقصور اللفظ وانقباض النفس في التعبير عما اردت الخوض فيه من امر اصلاح هذه الكتابة العربية وطباعتها ، ولست اريد تصديقه في التهمة ما دمت لااجد وقتا للبحث عن المجلة ومعاودة قراءة المقالين والاقتناع بصدقه ، فاشترك معه في اتهام نفسي بقصور اللفظ وانقباض النفس في التعبير ، كما أني لااريد تكذيبه في اتهامه ، لاني اعلم عن قلمي انه يعتسف الكتابة اعتسافا في بعض الاحيان ، لانه لايجد متسعا للتفكير الهادىء والكتابة المتأنية ، ومناقشة ما يفكر وتنقيح ما يكتب قبل نشره على العموم ، فلولا بقية باقية في القلب من حب الادب والتعلق بالثقافة ، ولولا الحاج اخي الاستاذ عبد القادر الصحراوي ، وحمله علي ، ومطاردته اياي حتى افك رقبتي منه بكتابة مقال ، لما راى احد لي اثرا ، فليكن السيد العشاب صادقا في اتهامه او ليكن كاذبا فيه ، فما يهمني صدقه ولا كذبه بقدر ما يهمني اصلاح الكتابة العربية وطباعتها ، فالتعقيد الحاصل فيهما لايخفى الا على من لم يحترف مهنة التعليم ولم يقف امام ادراج الحروف العربية ، وهم مع الاسف عدد كثير ، وضرر هذا التعقيد باللغة العربية وآدابها بين واضح كذلك ، ولا اريد ان اعود الآن الى الشرح والبيان من جديد ، فلا اكره شيئا كما اكره التكرار ، ولا اثقل علي من ان ابين للمبصرين الشمس في رائعة النهار ، ومن لم يسلم بالموضوع فليرجع الى المقالين ، فهما على الاقل يزيحان شيئا من غموض ، ومن اراد ان يلم به من سائر اطرافه فعليه ان يسأل معلمي الصفوف التحضيرية ليخبروه عن حيرتهم واشفاقهم وهم يحاولون تعويد الناشئة الفتية على فتح قاف (تلقى) (الفعل) بعد ان عودوهم كسرة في (تلقي) (المصدر) ، وعليه ان يسأل كتاب الادارات الحكومية وغيرها عن الحيرة التي تبدو على المثقفين فيما يختلف في رسائلهم من كتابة كراسى الهمزة ، وعليهم ان يسألوا العقل عن السر في حذف الفات اسماء الاشارة ، ولا مآت الاسماء الموصولة ، وزيادة الف الفرق ، وواو عمرو .

وعليهم ان يقفوا ساعة او بعض الساعة بجانب طباع عربي ليروه مشتت الفكر ، تعب اليد ، وهو يتنقل بين ادراج الاحرف العربية وثقبها التي تعد بالمئين ، ثم عليه بعد ذلك ان يقف ساعة او بعض الساعة بجوار زميله الطباع الاوربي ، ليرى كيف يقف امام صندوقه الوحيد مستجمع العقل ، مستريح اليد ، وهو يلطف الجو بصوته الرخيم ، او يرفه عن اصدقائه بنكتة لطيفة او مزاح .

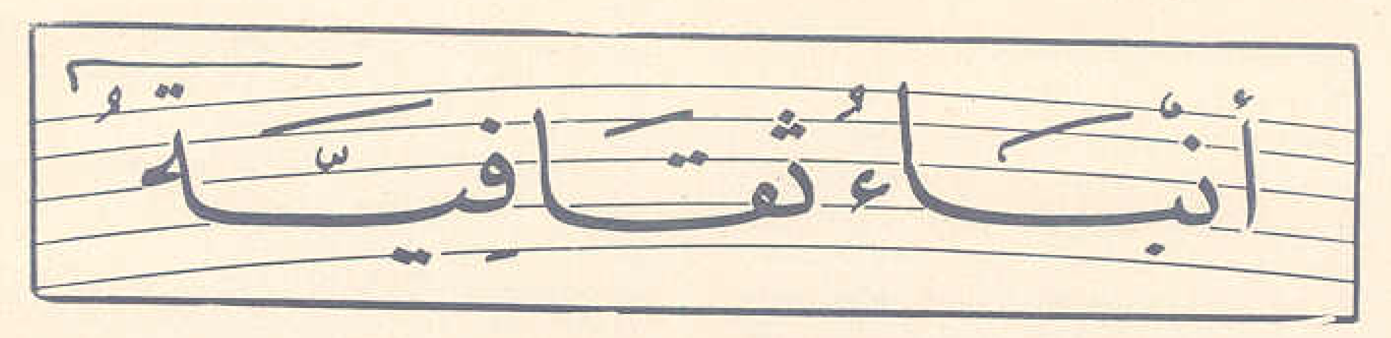
عيوب الكتابة العربية وطباعتها ليست بخافية ، واصلاحهما ليس بعسير ، فقد اصلحت الصين الشعبية في المدة الاخيرة كتابتها وهي اشد عسرا وتعقيدا من الكتابة العربية ، ولكن العسير هو اقتناع الحكومات العربية بالضرورة العاجلة لهذا الاصلاح ، ووجود الارادة الحازمة التي تحمل الافراد والجماعات عليها حملا طوعا او كرها .

اما آلة الطباعة الجديدة التي طبلنا حولها وزمرنا فقد دخلت الآن في حيز النسيان ، أو قل انها وضعت فوق رفوف المعارض والمتاحف التي توقف السائحين امامها ليشاهدوا ما للعقل المغربي الجبار في ميادين الثقافة والحضارة من آثار ، واظن ان مخترعها المسكين يقف امامها مثل اولئك السائحين عند كل شروق وقبل كل غروب ، يندبها او يندب الجهود التي بذلت في اختراعها بمثل ما ندبت به الخنساء اخاها صخرا .

فليس من داع لزيادة شرح او بيان ، سيما وان الفكرة مسبوقة كما ذكر السيد العشاب ، وان الادباء العرب اهرقوا فيها انهارا من مداد وسودوا اطنانا من ورق ، والمهم ان نخرج من الاقوال الى الافعال .

وختاما اجدد للسيد العشاب شكري على كلمته التي ارجو أن لاتكون بيضة ديك .

عبد الوهاب بن منصور



* لا يفوتنا ان نسجل في هذا الباب زيارة الدكتور طه حسين للمغرب رغم فوات اوانها ؛ نظرا لاحتجاب هذه المجلة في عطلتها الصيفية ، وذلك احتفاظا بذكرى هذه الزيارة التي قام بها عميد الادب العربي لهذا الوطن — الذي يقدره — بدعوة من وزارة خارجيتنا . وقد حل الدكتور ضيفا مكرما على المغرب في يوم 24 يونيه الماضي ، وغادره بعد عشرة ايام. وقد تشرف الدكتور بزيارة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس الذي وشح صدره بوسام الكفاية الفكرية . وهو اول وسام من هذا النوع يمنحه العاهل الكريم الى أديب البلاد العربية الاول في هذا العصر، تقديرا لخدماته ومجهوداته في الحقل الادبي — الفكري ودفاعه المشرف عن العروبة ، وعن كفاح بعض اقطارها ضد الاستعمار ، وخصوصا دفاعه المتواصل عن معركة التحرير المغربي التي ابلى فيها الدكتور حسين بلاء حسنا . وقد اقيمت على شرفه تكريمات واحتفالات عديدة في كل بلدة ينزل بها ، او مدينة يحاضر فيها من جانب المسؤولين في الحكومة ، ورجال الفكر ، والثقافة ، والادب . وقد القى الدكتور خمس محاضرات في المدن الاتية : الرباط ، الدار البيضاء مراكش ، فاس ، تطوان . والمتتبع لهذه المحاضرات يستخلص من وراء عمق كلماتها ، وحرارة معانيها ، هدفا واحدا ، هو مدار كل محاضراته ، ونقطة انطلاقها . وهذا الهدف هو التمسك باللغة العربية وثقافتها ، وتراثها ، وتاريخها ، وامجادها . وملاحظة استنتجناها من جونا الثقافي ، ازاء هذه المحاضرات لابد من ذكرها لمساسها بواقعنا الادبي المستسلم لخموله في غير مبالاة . فقد ادركنا ان الافكار والاراء التي عرضها الدكتور في معرض محاضراته واحاديثه لم تثر فينا ، ولا في صحفنا ومجلاتنا نشاط النقاش بل لم يفتح باب النقاش ، او لم نجرؤ على فتحه امام الدكتور بعد انتهائه من كل محاضرة من محاضراته ، وقنعنا بالاستماع ، ثم الاستسلام . نسجل هذه الملاحظة مع تقديرنا الكبير لآراء الدكتور وتوجيهاته وعسى ان نتمسك برسالته التي حملها الينا .

* من مستملحات الدكتور طه حسين التي تذكر له في المغرب . ان حضرته عندما زار مدينة القصر الكبير ، احتفى عليه الدكتور عبد العزيز الاهواني الملحق الثقافي بسفارة الجمهورية العربية المتحدة والذي كان يرافقه في هذه الرحلة ، وعندما اقبل عليه انشده الدكتور طه حسين هذا البيت الذي ارتجله :

اسأل عن القصر الكبير وسره
تجد الجواب لدى الفتى الاهواني!

* في اواخر شهر يوليو الماضي اجتمعت في تونس اللجنة المشتركة الدائمة للتعاون الثقافي والفني بين المغرب وتونس في اطاره العملي ، بعدما حددت مبادئه واهدافه في معاهدة الاخوة والتضامن في البلاغ المشترك الذي صدر عقب زيارة رئيس الحكومة المغربية لتونس . وتتناول هذه الاتفاقية دراسة العلاقات الثقافية في المناهج الدراسية ، وتبادل الاساتذة والبعثات الثقافية والرياضية ؛ كما تتناول تبادل الفنيين والخبراء في ميادين الطب ، والاشغال العمومية ، والبريد ، والاذاعة .

* انعقدت الدورة الثالثة لمؤتمر اتحاد الطلبة في يوم 24 يوليو الماضي بتطوان . وجرى افتتاح هذا المؤتمر في قاعة المحاضرات بنيابة التربية الوطنية باشراف وزير التربية الوطنية الاستاذ الجليل السيد الحاج عمر بن عبد الجليل ، وبحضور رئيس المجلس الوطني الاستشاري الاستاذ السيد المهدي بن بركة ، وممثل التعليم الحر الاستاذ ابي بكر القادري ، كما حضر جلسة الافتتاح ممثلون عن اتحادات الطلبة في الخارج . وتكلم في هذا التدشين رئيس اتحاد طلبة المغرب ، ثم تلاه مندوبون عن اتحادات الاقطار الاخرى وفي نهاية الحفلة تكلم وزير التربية الوطنية ، ونوه بنشاط الطلبة واتحادهم ، والدور الذي يلعبونه في النهوض باممهم ، كما المع الى المشاريع التعليمية والتربوية التي ستقوم وزارته بانجازها في المستقبل

القريب ، ثم تلاه بالكلمة رئيس المجلس الاستشاري فممثل التعليم الحر . ودامت هذه الدورة من يوم 24 يوليو الى 31 منه، تخللتها عدة اجتماعات تدارس فيها الطلبة شؤونهم ومشاكلهم .

※ في سنة 1957 كان عدد الطلبة الذين يتابعون دراستهم في فرنسا بمنحة من وزارة التربية الوطنية المغربية 414 طالبا ، منهم 362 فرنسيون واجانب ، أي أكثر من 85 في المائة ، وذلك حسب «حولية الثقافة العربية» ـ المجلد الخامس التي استقت معلوماتها عن المغرب من التقرير الذي قدمته وزارة التربية الوطنية الى المؤتمر الدولي المنعقد في جنيف سنة 1957 .

ومن الملاحظ ان عدد الطلبة الاجانب الذين يتقاضون منحة من الدولة المغربية ، ويدرسون في فرنسا يفوق عدد الطلبة المغاربة ، وهذا في السنة الدراسية 56 ـ 1957 . ومما لاشك فيه ان المسؤولين قد فكروا في تخفيض نسبة المعانين بمنحة مغربية من الطلبة الاجانب ، ومضاعفة عدد المعانين من الطلبة المغاربة ، الذين تتوقف عليهم البلاد لسد حاجتها . وقد علمنا أن نيابة وزارة التربية في الشمال قد أسقطت ابتداء من فاتح يناير 1958 جميع الطلبة الاجانب من قائمة المعانين الذين يتقاضون منحة مغربية للدراسة في اسبانيا .

※ انهى في شهر شتمبر الفارط ستة طلاب مغاربة دراستهم في اسبانيا : واحد في الطب ، وواحد في الحقوق ، وخمسة في التربية ، كما انهى طالب مغربي دراسته ، فحصل على اجازة استاذ في النحت من مدرسة الفنون الجميلة العليا باشبيلية .

※ تعد الآنسة زينب عبد الرحمن اول فتاة مغربية نجحت في امتحان السنة الاولى للحقوق بالمغرب .

※ اعلنت وزارة التربية الوطنية ان نسبة الناجحين في الباكالوريا المغربية للسنة الفارطة كانت 20 في المائة .

※ أصدر الزعيم الاستاذ علال الفاسي في طنجة مجلة وطنية باللغة الفرنسية تحت عنوان «الآفاق الصحراوية» يشارك فيها صفوة من الكتاب المغاربة . وتهدف هذه المجلة الى التعريف بالصحراء المغربية وميادينها الاقتصادية والاجتماعية . وهذا عمل وطني جليل ضمه حضرة الزعيم الى شتى اعماله الوطنية الكبرى ، ومشاريعه القومية العظمى . فنهنيء الاستاذ علال بصدور مجلته التي ستلعب دورا مهما في تاريخ الصحراء المغربية ، راجين لها الازدهار ، والانتشار ، والحياة الطويلة .

※ احتفل بسلا بالعيد الفضي لمدرسة « النهضة » التي تأسست سنة 1933 . ويرجع الفضل في تأسيسها الى الاستاذ ابي بكر القادري .

※ اصدرت الاذاعة الوطنية بالرباط مجلة تحمل اسمها ، وتصدر مؤقتا مرة في كل شهر في حجم مجلة «دعوة الحق» وتقع في اربعين صفحة مزينة بالصور الملونة ، يتولى ادارتها الاستاذ قاسم الزهيري ، مدير الاذاعة الوطنية . وهدفها هو ربط العلاقة بين الاذاعة والقراء ، واطلاعهم على نشاط الاذاعة والعاملين فيها من محررين ، ومذيعين ، وممثلين ، ومطربين . فنهنيء الاستاذ الزهيري على صدور مجلته بهذه الحلة الانيقة ، داعين لها بالانتشار ، وبعد الصدى .

※ صدرت مؤخرا في المغرب الكتب الآتية : «مظاهر الحضارة المغربية» الجزء الثاني للبحاثة المعروف الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله . «تعليم الآلة الكاتبة العربية» طبعة ثانية للاستاذ محمد الجحرة، سكرتير نائب التربية الوطنية بتطوان . «المغرب المستقل ضد اللادينية » للاستاذ ادريس الكتاني . « البيبليوغرافيا المغربية» اعداد وترتيب محمد الصباغ ، وهو ملحق بالعدد الاول لمجلة تطوان .

※ خصصت الاذاعة الوطنية ساعتين يوميا من الثانية عشرة ونصف الى الثانية بعد الزوال برنامجا خاصا بالشرق العربي .

※ يقوم مكتب التوزيع وتبادل المنشورات التابع لادارة المكاتب والمحفوظات بتطوان بنشاط ملموس في ربط العلاقات الثقافية بين المغرب وسائر الاقطار العربية والاوربية ، وذلك عن طريق تبادل المنشورات التي يصدرها معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان . وقد تسلم هذا المكتب اخيرا من معاهد الابحاث والدراسات في الشرق العربي كمية وافرة من الكتب النفيسة النادرة في شتى العلوم والفنون . ويرجع الفضل في تنشيط هذا القسم الى مديرها الاستاذ المقتدر السيد محمد الخطابي الذي تولى ادارتها .

* قطعت جريدة «منار المغرب» عامها الثالث من عمرها الطويل ان شاء الله . ولا ينكر ان هذه المجلة قد قامت بخدمات جليلة في حقل التربية الوطنية . وتعد هذه الجريدة هي اول جريدة صدرت من هذا النوع في العالم العربي والاسلامي .

* من الكتب التي اعدها للطبع معهد مولاي الحسن بتطوان : «الجزء الاول من تاريخ تطوان» المطول للاستاذ محمد داود «ديوان ملك غرناطة — يوسف الثالث بتحقيق الاستاذ عبد الله كنون «الجزء الرابع من كتاب البيان المغرب » بتحقيق المستشرق امبروسيويسي والاستاذ ابراهيم الكتاني والاستاذ محمد بن تاويت «الجزء الثاني من كتاب بن الخطيب من خلال كتبه» لمؤلفه الاستاذ محمد بن ابي بكر التطواني «جغرافية بن سعيد» بتحقيق الدكتور برنيط والاستاذ محمد بن تاويت «ديوان الامير سليمان الموحد» بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت .

* يشتغل المؤرخ المعروف الاستاذ محمد المنوني في كتاب عن العلاقات التاريخية والثقافية بين المغرب وتونس .

* ستصل الى المغرب لجنة من معهد الدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية برئاسة الدكتور صلاح الدين المنجد للبحث عن المخطوطات العربية وتصوير مهمها والقيام ببعض الدراسات حول هذه المخطوطات .

* يؤلف الشاعر السوري المعروف الاستاذ انور الجندي كتابا عن الادب المغربي المعاصر . وقد اتصل ببعض رجال البحث والفكر والادب في المغرب، وطلب منهم ان يزودوه بالمعلومات الكافية التي تهمه عن الادب المغربي فى ماضيه وحاضره . ويعمل الاستاذ الجندي اليوم محررا بجريدة «الجمهورية» بالقاهرة . وينوي زيارة المغرب قريبا للاطلاع على تياراته الفكرية عن كثب والاتصال برواده وادبائه . وللاستاذ الجندي مؤلفات عديدة منها ماهو شعري محض ، ومنها ما هو دراسي

* عكف السيد احمد العلج على كتابة مسرحية شعبية لتقدمها فرقة المسرح المغربي في الموسم المقبل في مختلف مدن المغرب .

* في أول غشت الماضي دشن وزير التهذيب الوطني الاستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل متحف قصبة الاوداية الذي احتوى على نفائس نادرة يرجع عهدها الى القرن السابع عشر ، وخاصة منها الالبسة القديمة التي عرفت عند اهل سلا ، والرباط ، وفاس ، وباقي المدن المغربية ، الى جانب ازياء البادية وازياء الصحراء وموريطانيا وتيزنيت . ويحتوي هذا المتحف ايضا على قسم زاخر بالجواهر التي كانت النساء المغربيات تحملنها للزينة وقسم آخر جمعت فيه كل البحوث والمخطوطات النادرة عن تاريخ الفنون المغربية.

* في المدة الاخيرة قدم الى المغرب الاستاذ مشكور الاسدى ، موفودا من وزارة الارشاد القومي العراقي للقيام بدراسة عن الحركة الفكرية في المغرب بقصد كتابة تاليف عنها . وقد اجتمع في المغرب برجال القلم والثقافة فيه . والاستاذ الاسدى له عدة جولات موفقة في عالم الادب والبحث .

* صدرت في تونس مجلة «التعليم» التي يديرها الاستاذ المربى بوسلامة وهي تعنى بشؤون التعليم في الخضراء .

* بمناسبة الذكرى السادسة لتاسيس الاتحاد العام للطلبة التونسيين نظم المكتب التنفيذي احتفالا رائعا ببورصة الشغل بالعاصمة تحت اشراف رئيس الجمهورية التونسية ، وكاتب الدولة للتربية القومية الروائي الشهير الاستاذ محمود المسعدي .

* قدمت في ختام عامها الثالث سلسلة كتاب «البعث» التونسية كتابا عن بطلة الجزائر جميلة بوحيرد . ويشتمل هذا الكتاب على تفاصيل مهمة عن محاكمة هذه البطلة التي اصبحت رمزا للحركة الجزائرية ، وخصوصا عند الكتاب والشعراء العرب الذين كتبوا عن جهادها روائع كثيرة . وهذا الكتاب من تاليف الاستاذ محمد مبارك الميلي .

* ظهر في تونس حديثا كتاب «القضاء التونسي» لرئيس ودادية الحكام التونسيين الاستاذ محمد بن عمار النتتاني .

* أقيم بتونس في مطلع شهر غشت الماضي تدشين معهد الفن الاسلامي الذي يديره الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، ويحتوي هذا المعهد على مجموعة من المنسوجات الحريرية يرجع تاريخها الى العصر الفاطمي في القرن الخامس عشر للهجرة ، ومجموعة من المنسوجات الخيطية يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام ، كما يضم مخطوطات على الجلد مخطوطة بالقيروان في القرون الاسلامية الاولى ، ومخطوطات على البردى خططت بالقيروان في القرن الثالث قبل الهجرة ، وصور نفيسة جميلة يعود تاريخها الى القرن السابع عشر ، واوراق مالية لما قبل الاحتلال ، ووثائق كثيرة كوثيقة الاحتلال المضاة من

طرف باي تونس اذ ذاك والجنرال بريار ، ورسالة من نابليون بونبرت الى باي تونس بتاريخ 1849 وغيرها من الوثائق التاريخية المهمة .

* انجزت دار المعارف للطباعة والنشر بمصر طبع الجزء العاشر من «تفسير الطبري» للامام المؤرخ ابن جرير الطبري ، وقام بتحقيقه الاستاذ محمد محمد شاكر ، وقام بمراجعته واخراجه احمد محمد شاكر .

* وافق مجلس جامعة الدول العربية على توصية الحكومات العربية بالتوسع في تقديم المنح الدراسية للطلبة الافارقة وخاصة القادمين منهم من البلدان المستعمرة .

* صدر كتاب عن الدكتور محمد حسين هيكل جمع صورا من حياته في ادوار نشاطها ، الى جانب الكلمات والقصائد والدراسات التي القيت في حفلات تابينه .

* تنوي حكومة الجمهورية العربية المتحدة تاسيس معهد لها بالمغرب ، تكون مهمته القيام بنشر المخطوطات المغربية وتقديم بعض الدراسات حولها . وهذا المعهد سيكون على غرار معهدها بمدريد .

* شرعت وزارة التربية المصرية في تعميم الطريقة الصوتية لدراسة اللغات . فسجلت اشرطة واسطوانات لشرح دروس اللغات الاجنبية في مختلف مراحل التعليم .

* صدرت في القاهرة الكتب الآتية : «ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان «للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي «مشكلة الحرية» للدكتور زكريا ابرهيم «علم النفس» لو فيفر ترجمه الدكتور انور عبد العزيز «في تيار الحياة» مجموعة قصص لامينة قطب « ديوان جميل بن معمر » تحقيق الدكتور حسين نصار « الهدف الكبير » لامينة السعيد « اسس النقد الادبي عند العرب » للدكتور أحمد بدوي « عودي الى البيت » قصة للاستاذ صالح جودت «اليمن ، البلاد السعيدة» للدكتور حسن ابراهيم «العقد النفسية التي تحكم الشرق الاوسط» لمحمد حسين هيكل «أساطير في الشرق» في سلسلة كتاب الشعب .

* اصدر المفكر الجزائري الاستاذ مالك بنبي كتابا مهما جديرا بالمطالعة وهو : «الاتجاه الافريقي الاسيوي» . وقد طبع هذا الكتاب بالعربية والفرنسية في القاهرة محتويا على ثلاثة ابواب : «الرجل الافريقي الاسيوي أمام عالم الكبار» «نشأة الفكرة الافريقية الاسيوية» «الدعوة الافريقية الاسيوية» . والكتاب عبارة عن استنتاجات من مؤتمر باندونج ، وهو الى جانب ذلك دراسة فلسفية تاريخية سياسية ، وتفسير جديد لحقيقة الصراع بين الغرب ، والاقطار الافريقية الاسيوية التي كانت هدفا لاطماعه .

* ذكرت وزارة التعليم اللبنانية ان عدد التلاميذ اللبنانيين اللذين في التعليم الابتدائي والثانوي خلال العام الفارط هم 300 الف تلميذ بين ذكور واناث .

* ظهرت ترجمة كاملة عربية لكتاب «السياسة» لارسطو ضمن مجموعة اليونيسكو لروائع الفكر التي تشرف على اصدارها لجنة اليونيسكو لترجمة الروائع ببيروت . ومنذ عام 1948 نشرت اليونيسكو عن طريق لجنة بيروت ترجمات من اللغتين العربية والفارسية لمؤلفات ابن سينا ، وابن رشد ، والغزالي ، والجاحظ .

* قدم للطبع في لبنان الاستاذ مراد ابو ماضي شقيق الشاعر المرحوم ايليا أبي ماضي ديوانا ضخما بعنوان «تبر وتراب» لشقيقه الراحل الذي لم يتح له نشر ديوانه . وقد جمع في هذا الديوان كل قصائد شقيقه الجديدة ، كما هيأ للطبع ايضا مذكرات تحت عنوان «يوميات ابي ماضي» .

* عطلت الحكومة اللبنانية كثيرا من جرائدها التي كانت تناصر المقاومة الشعبية ، وتندد بتصرفات الحكومة .

* قام بنقل رواية «الطاعون» للكاتب الفرنسي الشهير البير كامو الاستاذ سهيل ادريس ، وصدرت في هذه الايام ببيروت .

* صدر في بيروت ديوان ضخم جمع بين دفتيه كل الدواوين التي اصدرها الشاعر السوري المبدع الاستاذ نزار قباني الى اليوم . وهذه الدواوين هي : «طفولة نهد» «سامبا» «قصائد نزار قباني» .

* «الثقافة» هو عنوان مجلة ثقافية صدرت اخيرا في دمشق .

* وقع الاكتشاف أخيرا قرب مدينة تدمر القديمة على خمسة اضرحة ، ويعود تاريخ هذه الاضرحة الى القرن الاول بعد المسيح .

* كان مقررا من جانب الحكومة العراقية السابقة اقامة معرض فني لها في المغرب وتونس في هذا الصيف ، وقد اجلت الحكومة الحالية للجمهورية العراقية موعد هذا المعرض الى أواخر الخريف المقبل.

* وافق وزير المعارف العراقية على اقتراح البعثة الثقافية فى المغرب بتاسيس مركز لها ثقافي . وطلب الوزير من البعثة دراسة امكانية تاسيس مثل هذه المراكز فى تونس وليبيا .

* ستصدر في الكويت قريبا مجلة ثقافية جامعة . وقد سافر الى هذه البلاد الدكتور احمد زكي للاشراف على هذه المجلة بدعوة من حكومة الكويت .

* جاء فى جريدة «البيان النيويوركية» ان الشاعر المهجري الكبير رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي قد اعتنق دين الاسلام . والشاعر الخوري هو أحد أعضاء رابطة «العصبة الاندلسية» بسان باولو بالبرازيل . وله اكثر من ثمانية دواوين مطبوعة جمعها أخيرا واصدرها في ديوان كبير في اكثر من الف صفحة تحت عنوان «ديوان القروي» .

* اصدر البروفسور بجامعة السربون بيير غريمال كتاب «قاموس التراجم» الذي يشتمل على مجموعة من الوثائق التي جمعها وأعدها مع فريق من مساعديه . وقال مؤلفه عن هذا الكتاب انه يرمي من ورائه الى تقديم الشخصيات التي خدمت المدنية والفكر الغربي .

* تصدر للفيلسوف الوجودي سارتر ثلاثة كتب في هذه السنة هي : «مشكلة المنهج» يحتوي على مباحث عن مواقف الوجودية من الماركسية ، والثاني «عبط العائلة» وموضوعه حياة وفلسفة جوستاف فلوبير ، والثالث «الرسام تنتدرين» حياته وفلسفته.

* ظهرت في فرنسا دائرة معارف موسيقية اشترك في تاليفها : هيدجان ، وكوكتو ، وسارتر .

* اصدر المستشرق الفرنسي المعروف ريجس بلاشير مدير مؤسسة الدراسات الاسلامية في جامعة باريس طبعة جديدة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية .

* احرزت الكاتبة الفرنسية جرار دوفيل على جائزة الشعر الكبرى التي منحتها لها الاكاديمية الفرنسية ، كما منحت هذه الاكاديمية جائزة الرواية الى الروائي الفرنسي كيفيلاك عن روايته الاخيرة «مملكة تحت البحر» .

* نال غبرييل مرسيل فيلسوف الوجودية المسيحية جائزة الآداب القومية الفرنسية .

* من المؤلفات التي تصدرها الصهيونية العالمية ضد الاسلام كتاب صدر اخيرا بباريس بعنوان «من موسى الى محمد» الفه حنا زكريا . والكتاب تحامل خبيث على الاسلام باسلوب بعيد كل البعد عن رزانة المنهج العلمي في البحث ، واستدلالات يبرز من خلالها التعصب الصهيوني والحقد المبيت . ويحاول مؤلف هذا الكتاب ان يثبت بحجج واهية لاتستند الى اساس علمي وتاريخي ، أن : الاسلام جملة من التعاليم الموسوية لقنها رباني يهودي للنبي محمد عليه السلام، وان القرآن ليس كتابا سماويا منزلا من عند الله ، وانه يضم في مجموعه التعاليم التي اخذها محمد عن الرباني اليهودي الذي كان يسكن بمكة . والغريب ان الحجج التي يريد المؤلف الصهيوني ان يستدل بها ليثبت مزاعمه تقف كلها ضده على طول الخط . والكتاب بعد هذا ، لايستحق اية مناقشة ، لانه بعيد كل البعد عن الدراسة المتزنة والبحث الرصين . فهو وسيلة فقط من وسائل الدعاوة الصهيونية لايستحق ان يقرأ ، او ان يلتفت اليه .

* صدر في الايام الاخيرة في ايطاليا كتاب «خصائص الادب الحديث» للكاتب الايطالي البرتو فواتيرنو ، تعرض فيه الى الادب العربي الحديث وخصائصه بالنسبة للآداب العالمية .

* توثيقا للعلاقات بين اسبانيا والدول العربية تقوم اتصالات بين بعض الشخصيات الثقافية الاسبانية والدول العربية على انشاء «جمعية الاصدقاء الاسبان للحضارة العربية» .

* قرأنا في احدى مجلات الآثار الاسبانية انه وقع الاكتشاف في اسبانيا على هيكل فيل يرجع عهده الى مليون سنة .

* عين اخيرا المستشرق الاسباني المعروف ايميليو كرثيا كوميث ، عضو المجمع الملكي الاسباني للغة سفيرا لدى الجمهورية العراقية . وقد قام هذا المستشرق بعدة ترجمات من العربية الى الاسبانية . فقد ترجم «طوق الحمامة» لابن حزم و «الايام» لطه حسين و «يوميات نائب في الارياف» للاستاذ توفيق الحكيم .

※ اصدرت مجلة «انسولا» المدريدية عدداخاصا بالشاعر والناقد الاسباني الكبير دامسو الونسو عضو المجمع الملكي للغة بمناسبة بلوغه عامه الستين . وقد شارك في هذا العدد كبار الشعراء والكتاب الاسبانيين

※ يستعد الكتاب الاسبانيون على اختلاف نزعاتهم لتقديم انتاجهم الى المسابقات الادبية التي سيعلن عن نتائجها في آخر هذه السنة . واهم هذه الجوائز هي : «جائزة الدولة» للشعر ، والقصة، والنقد تمنحها الحكومة الاسبانية ، «جائزة بوشكان» للشعر، وهي من ريع الشاعر البرشلوني بوشكان ، وتمنح في برشلونة «جائزة ندال» للقصة الطويلة ، تمنح في برشلونة «جائزة مدينة برشلونة» للشعر ، «جائزة فسطنراراط» القصة ، يمنحها المجمع الملكي الاسباني للغة بمدريد .

※ اصدرت بعض المجلات في اسبانيا واميركا اللاتينية اعدادا خاصة ممتازة عن الشاعر الاسباني الكبير خوان رامون خيمينث الملقب بـ «الاشبيلي العالمي» و «اب الشعر الاسباني» الذي مات في 29 ماي الماضي ، وهو في مهجره الاميركي ببوير توريكو . وبعد ايام من وفاته نقل جثمانه مع جثمان زوجته ثينوبيا – مترجمة روائع طاغور الى الاسبانية – الى مسقط راسه موكير – ويلبا . وزوجته كانت قد فارقت الحياة بعامين ، اي في اسبوع احرازه على جائزة نوبل للآداب

※ احتفل في الايام الاخيرة بمدريد بعيد الكتاب الاسباني . فقد اقيمت على جوانب شارع ريكوليتوس اكثر من مائة مكتبة ، عرض فيها اهم انتاج السنة الى جانب الكتب الجديدة . وقد لوحظت في هذا السوق مكتبة جديدة خاصة بمطالعات الاطفال .

※ اتفق بعض النقاد الاسبانيين على ان احسن كتاب صدر في هذا الموسم ، هو كتاب «التلاقي» للشاعر الاسباني الكبير فينثطي الكسندري ، عضو المجمع الملكي الاسباني للغة .

※ نعت هيدلبرغ بالمانيا البروفسور فيبر العالم الشهير في علم الاجتماع .

※ اكتشف اخيرا في لينغراد عدة رسائل وقصائد للشاعر الانجليزي اللورد بيرون .

※ «وجهة نظر» هو آخر كتاب سينشره القاص الانجليزي سمرت موم .

※ بتاريخ 29 يونيو الماضي توفى في انجلترا الشاعر الانجليزي الشهير الفريد نويس عن 77 سنة

※ خصص في جامعة مانشستير للمرة الاولى جناح خاص للدراسات الاسلامية . وقد عين استاذا لها البروفسور تشارلز بكنهاكم . وهو من كبار المحاضرين في التاريخ الاسلامي بهذه الجامعة .

※ اهتمت الاوساط الروسية بظهور كاتبة في روسيا في سنها العشرين لنشرها قصة خليعة كان لها أعمق الصدى . واسم هذه الفتاة داجينا سيلافا.

من بين المهرجانات الثقافية التي سيقيمها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة ، ذكرى الشاعر الكبير احمد شوقي ، فلقد قرر ان يخصص (اسبوع شوقي) ابتداء من منتصف شهر اكتوبر الحالي ويتوقع ان يشتمل برنامج المهرجان على الكلمات والقصائد والبحوث التالية :

1) كلمة الافتتاح
السيد وزير التربية والتعليم

2) كلمة السيد مقرر اللجنة
الاستاذ عباس محمود العقاد

3) تحية الشعر ....
الاستاذ شفيق جبري
الاستاذ محمود عماد

4) شوقي ، نشأته واطوار حياته
الاستاذ عادل الغضبان

5) الشرق العربي في شعر شوقي
الدكتور جميل صليبا

6) حياة الشاعر من شعره ....
اختيار الاستاذ عبد الرحمن صدقي
القاء الاستاذ احمد علام

7) التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي
الدكتور محمد صبري

8) الوصف والغزل في شعر شوقي
الدكتور سامي الدهان

9) الفنون البلاغية في شعر شوقي
الاستاذ علي الجندي

10) ذكريات عن شوقي ....

الاستاذ كامل الشناوي

الاستاذ طاهر الطناحي

11) نثر شوقي

الدكتور شكري فيصل

12) المسرحيات

الدكتور محمد مندور

ونحن اذ نورد هذا النبأ مكبرين تقدير ابناء العروبة لعظمائهم ورجالاتهم ، نتساءل لماذا لم يفكر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة في ان يشارك في هذا الاسبوع **(رجال عن مختلف جهات العروبة لا بحضورهم الشرفي فقط ، ولكن بمشاركتهم الفعلية ، فان شخصية شوقي لم تعد شخصية مصرية بل انها شخصية لكل واحد من ابناء العروبة الحق في الاعتزاز بها ، ولدى كل واحد من أبناء العروبة مايقوله عن شاعرية شوقي ...)**

وعسى ان يحتوي برنامج (الاسبوع المقبل) على مواضيع جديدة ، أو بالاحرى ، على محاضرين ينتمون لجهات مختلفة من الوطن العربي الكبير ..

* في يوم 5 غشت الماضي توفي في احدى مستشفيات الاقليم المصري الكاتب الشهير الاستاذ سلامة موسى عن سبعين سنة حيث كانت ولادته في سنة 1888 في شارع الزقازيق بمصر . تلقى دراساته الاولى بمصر ، ثم استأنفها في باريس ولندن ، الى جانب رحلاته الدراسية التي كان يقوم بها في مختلف عواصم اوربا واميركا . ويعتبر سلامة موسى اول من آمن في الشرق العربي بالعقلية العلمية النابعة من المجتمع الصناعي ودعا اليها ، كما يعتبر المؤسس للحزب الاشتراكي المصري الذي اسس سنة 1920 بمصر . ترك وراءه اكثر من خمسة واربعين كتابا في الادب ، والنقد ، والاجتماع ، وعلم النفس ومن اشهرها «التثقيف الذاتي» و «اليوم والغد» و «تربية سلامة موسى» و «حرية الفكر وابطالها في التاريخ» و « نظريات التطور واصل الانسان » و « مصر اصل الحضارة» و «غاندي والقضية الهندية» .

* كما توفي في القاهرة الشاعر المصري المبدع الاستاذ محمود رمزي عظيم . وقد عمل في الحقل الصحفي زمنا ثم التحق بوظيفة حكومية حتى وافاه الاجل .

* نعت انباء المانيا الصحفي المصري المعروف الاستاذ محمود ابو الفتح ، صاحب جريدة «المصري» التي احتجبت بعد قيام الثورة في مصر ، وهاجر صاحبها الى اوربا لانه لم ينسجم مع رجال الثورة ومبادئهم .

* في منتصف شهر غشت الماضي مات العالم الذري الفرنسي البروفسور (جوليه كوري) بعد عملية جراحية . وقد احرز هذا العالم على جائزة نوبيل لسنة 1953 . وتقلب في عدة وظائف علمية عالمية هامة ، فشغل منصب رئيس مجلس الطاقة الذرية ، كما كان رئيسا للمجلس العالمي للسلام ، وعضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي . وعقب وفاة هذا العالم صرح رئيس مجلس نوبيل بالسويد : «تألمت كثيرا لغياب هذا العالم الكبير ، كما تألمت لعدم معرفته شخصيا» . ويرجع تاريخ ولادة هذا العالم الى سنة 1900 . والى جانب تفوقه في العلوم فقد كان متفوقا ايضا في الموسيقى ، وخلف وراءه قطعا موسيقية خالدة .

* سيعقد في طشقند من 1 الى 5 اكتوبر مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا . ويشتمل جدول اعمال المؤتمر على الموضوعات الاتية :

1) تقدم الآداب في بلاد آسيا وافريقيا
2) الآداب في الشرق والغرب وعلاقتهما المتبادلة
3) التوتر الدولي واثره في الكتاب .
4) ادب الاطفال وقيمته التعليمية .
5) مساهمة المرأة في الادب .
6) تقدم التاليف المسرحي في الدول الاسيوية والافريقية .
7) علاقة الاذاعة والسينما بالمسرح والادب .
8) تنمية العلاقات الودية بين الكتاب الاسيويين والافريقيين .

وقد شارك في اعداد هذا الجدول مندوب المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالجمهورية العربية المتحدة الاستاذ يوسف السباعي . وقرر المجلس ان يكون اختيار الوفود العربية التي تشارك في هذا المؤتمر عن طريق المكاتب الدائمة لمؤتمر ادباء العرب ، حتى يكون هناك تنسيق بين هذه الوفود ، وحتى لاتتكرر البحوث . وقد وجهت دعوة الحضور لهذا المؤتمر الى الاستاذ البحاثة السيد عبد الله كنون يمثل المغرب في هذا المؤتمر .

فهرس العدد الاول ـ السنة الثانية